



جامعة القاهرة

كلية الآداب/قسم التاريخ

التاريخ السياسي والحضاري لبطائح العراق خلال عصري البويهيين والسلاجقة

(٣٣٤-٥٩٠هـ/٩٤٥- ١١٩٤م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد

نرمين مصطفى كامل مصطفى

إشراف

أ. د/ محمد بركات البيلي

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب- جامعة القاهرة

أ. د/ محمد علاء الدين منصور

أستاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب- جامعة القاهرة (رحمه الله)

١٤٣٩هـ/٢٠١٨م

الإجـــازة

أسم الطالبة :نرمين مصطفى كامل مصطفى

عنوان الرسالة : التاريخ السياسى والحضارى لبطائح العراق خلال عصرى البويهيين والسلاجقة (٣٣٢-٥٩٠هـ/٩١٥-١١٩٤م)

أجازت لجنة المناقشة هذه الرسالة للحصول على درجة الماجستير فى التاريخ

بتقدير / بمرتبة ممتاز **بتاريخ** ١٢/ ٩/ ٢٠١٨

بعد استيفاء جميع المتطلبات

اللجنــــة

الاســم	الدرجة العلمية	التوقيع
١/ أ.د/ [illegible]	أستاذ	
٢/أ.د/ [illegible]	أستاذ	
٣/ أ.د/ [illegible]	[illegible]	
٤/أ.د/		


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى رمزين لعطاء لم يعرف الحدّ

أبي العزيز وأمي الغالية..

وإلى داعم صِدْق لم يسْأم البذْل

زوجي الحبيب..

لعلي أقتبس من شِيَمكم ما أرُدُّ به جميل الصنيع

وإلى ينبوع فرحة روح يفيض بالبهجة

ولدي يحيَى..

لعلي أقتبس منه طاقة إيجاب.. وحبًّا للحياة..

شكر وعرفان

أتوجه بجزيل الشكر وعظيم التقدير وموفور العرفان إلى أستاذي العالم الجليل الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، الأستاذ الدكتور/ محمد بركات البيلي، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة القاهرة، الذي شملني بعطفه وأعطاني كثيرًا من وقته، ولم يبخل علي بفيض علمه الغزير؛ فشَرُفت بإشراف سيادته وأفدت من توجيهاته، فجزاه الله عني وعن طلابه خير الجزاء.

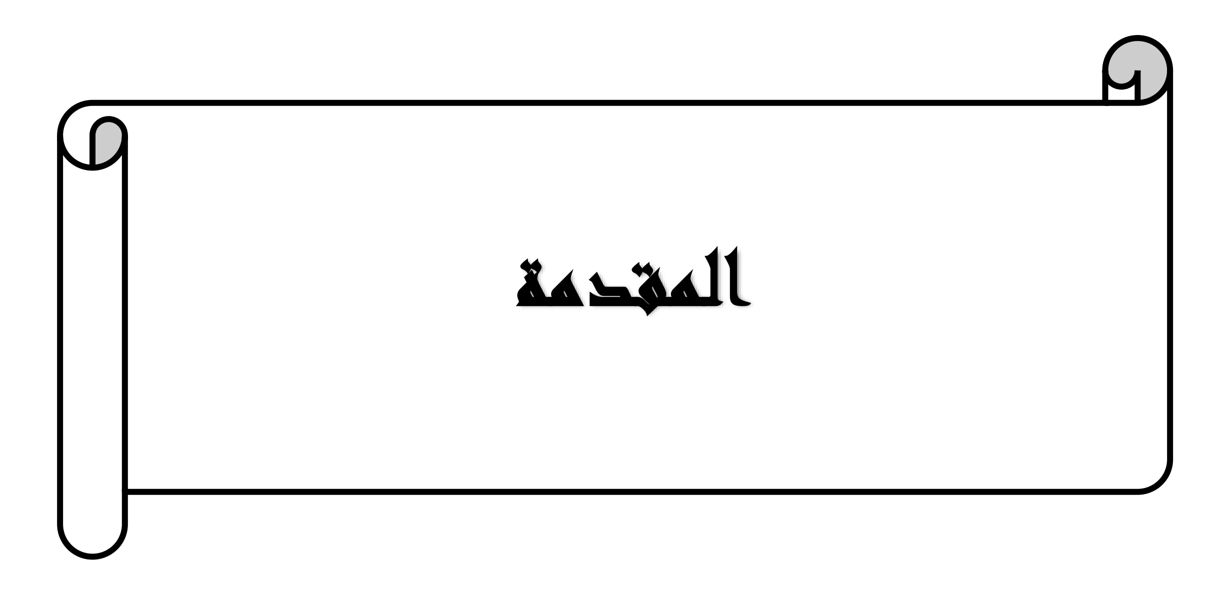
كما أدعو الله بالرحمة للأستاذ الدكتور/ محمد علاء الدين منصور، الأستاذ بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة، الذي تعهد البحث منذ كان بذرة، غير أن القدر لم يمهله حتى يجني الثمار.

وأتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من الأستاذة الدكتورة/ زنوبة نادي مرسي، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة القاهرة، والأستاذ الدكتور/ صلاح أحمد عيد، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة المنيا، على تفضلهما بقبول مناقشة هذا العمل، فلهما خالص التقدير.

وأسأل الله تعالى أن أكون قد وُفِّقت إلى عرض هذا الموضوع، وأرجو أن أكون قد أسهمت –بجهدي المتواضع– في إفادة المكتبة التاريخية الفائدة المرجوة. والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.


المحتويات

الموضـــوع	رقم الصفحة


المقدمة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾. {سورة الكهف١ ، ٢} وصلاة وسلامًا على سيدنا محمد الذي أنزل عليه الفرقان؛ ليكون للعالمين نذيرًا.

أما بعد،،،

فهذه الدراسة تتناول "التاريخ السياسي والحضاري لبطائح العراق خلال عصري البويهيين والسلاجقة (٣٣٤-٥٩٠هـ/٩٤٥-١١٩٤م)". ففي تلك الحقبة برز دور البطائح في الاستقلال عن الخلافة العباسية، بعد أن كانت قبل ذلك مجرد مخبأ للصوص وقطاع الطريق والخارجين على الدولة؛ وذلك بفضل كثرة مستنقعاتها التي تكونت نتيجة تصريف المياه الزائدة لنهري دجلة والفرات هناك؛ مما أدى إلى تعذُّر الوصول إليها واجتياز أراضيها؛ لذلك فلم تحظَ بأهمية لدى الدولة العباسية؛ والدليل على هذا أنها لم تكن ولاية يُعيَّن عليها العمال، بل كانت مجرد بقعة تقع في نطاق واسط أو البصرة أو الكوفة. أما خلال فترة الدراسة فقد تمتعت البطائح بقدر كبير من القوة السياسية والاستقلال الذاتي خاصة تحت حُكم عمران بن شاهين، الذي نجح في استغلال أهوار البطائح استراتيجيًّا؛ مما حال دون نجاح الخلافة العباسية -والقوة البويهية المسيطرة عليها- في استعادتها؛ لتشكل بذلك خطرًا سياسيًّا واقتصاديًّا على الخلافة العباسية.

ففي العصر العباسي الثاني؛ لاسيما في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ومع بداية التسلط البويهي على العراق وضعف السلطة الفعلية للخليفة العباسي، ومع تفاقم المشكلات الاقتصادية وإفلاس الخزينة المركزية ببغداد، لتصبح عاجزة عن دفع رواتب الجند، بالإضافة إلى اضطراب الأمن الداخلي، كل ذلك أدى إلى نجاح عمران بن شاهين، في تكوين أول إمارة بالبطائح، ساعده على ذلك أيضًا ما تتميز به المنطقة من تحصينات طبيعية، جعلت من الصعوبة على الخلافة العباسية -أو بالأحرى القوة البويهية المسيطرة- بسط نفوذها عليها، وأتاحت في الوقت نفسه لأمراء البطائح، قدرًا كبيرًا من الاستقلال عن الخلافة.

ومن هنا تدور إشكالية الدراسة حول سؤال محوري: كيف كانت الأوضاع السياسية والحضارية بالبطائح زمن الدراسة؟

ومن الإجابة عن هذا السؤال، يستمد الموضوع أهميته؛ الأمر الذي يظهر من خلال النقاط الآتية:

* بيان أثر الصراعات الداخلية العباسية في إقامة عمران بن شاهين دويلة مستقلة داخل الدولة العباسية بالعراق، ومن ناحية أخرى كان لظهور عمران بن شاهين في البطائح أثر كبير في قيادة التمرد على الدولة العباسية والقائمين عليها؛ مما أفضى إلى اعتراف الخلافة نفسها بتلك الدويلة.

* الكشف عن الخصوصية الاجتماعية لأهل البطائح وحكامها، وقدرتهم على الابتعاد عن التحالفات الخارجية، ورفضهم الامتثال للسلطة المركزية، وعدم خرق سنة الاستجارة بهم؛ حيث يقول أهل البطائح في ذلك: "وما جرت العادةُ بتسليم مَن يحصل عندنا، لا في قديم الزمان ولا في حديثه"[(١)]، حتى وجد الخلفاء العباسيون في هذه الإمارة ملاذًا لهم يهربون إليه وقت الأزمات والاضطرابات.

* تعميق البُعدين الاجتماعي والاقتصادي، وذلك من خلال البحث في الحياة الثقافية بالبطائح. فقد برز هناك بعض من مشايخ الصوفية، أولئك الذين وجدوا صدى كبيرًا من إعجاب السكان وخصوصًا العامة، ويمثل ذلك تجسيمًا لجانب من جوانب الشخصية البطائحية في مقابل الذين ضيقوا عليهم الخناق في مسلك الحياة.

* كما تتعرض الدراسة لبعض الجوانب التي جمعت بين ما هو سياسي وما هو حضاري بمنطقة البطائح؛ حيث نجح بعض أمرائها -وعلى رأسهم مهذب الدولة (الأول)- في جعل منطقة

(١) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق محمد أنس الخن، وكامل محمد الخراط، ط١، دمشق (دار الرسالة العالمية)، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، جـ١٨، ص٢٧٥- ٢٧٦.

البطائح واحدة من أهم بقاع المشرق الإسلامي؛ لما تمتعت به من قوة ومنعه، فشهدت نهضة حضارية وعمرانية كبيرة بلغت ذروتها عندما لجأ إليها القادر بالله العباسي (قبل استخلافه) مستجيرًا بأميرها مهذب الدولة دون غيره من أمراء النواحي؛ وذلك لشعوره بأنه الوحيد القادر على حمايته من بطش البويهيين آنذاك. وقد ظل بها حتى آلت إليه الخلافة. **وهنا لابد لنا أن نقف على ضرورة اهتمام الحكومات في كل عصر بالجماعات ذات الخصوصية الجغرافية والاجتماعية.**

ومما يدعم أهمية هذه الدراسة انصراف كثير من الدارسين عن تناول موضوعها على النحو الذي خرجت عليه؛ فلقد كادت الدراسات السابقة تنحصر في بعض الموضوعات القريبة؛ فمنها ما اختلف في الإطار الزماني؛ ينطبق هذا على رسالة ماجستير بعنوان: "إقليم الأهوار في جنوب العراق (دراسة جغرافية)"، لعادل عبد الله خطاب، كلية الآداب (قسم الجغرافيا)، جامعة القاهرة، ١٩٦٧م. كذلك رسالة ماجستير أخرى بعنوان: "بطائح العراق منذ ظهورها في عهد قباذ بن فيروز ٤٨٨-٥٣١م حتى دخول البويهيين بغداد ٣٣٤هـ/٩٤٦م"، لمريم إبراهيم إسماعيل عبد الفتاح، كلية الآداب (قسم التاريخ)، جامعة القاهرة، ٢٠١٨م. كما أن هناك العديد من الأبحاث والدراسات التي انصب اهتمامها على الجانب السياسي للبطائح فقط؛ من ذلك بحث لسعاد عبد الله محمود: "أمراء البطيحة في العصر العباسي الثاني" دراسة سياسية، بمجلة كلية الآداب جامعة حلوان (العدد١٨، جـ١، يوليو ٢٠٠٥م)، كذلك فايزة إسماعيل أكبر: "البطائح تحت نفوذ عمران بن شاهين من حوالي ٣٣٠-٣٦٩هـ/٩٤١- ٩٧٩م"، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، العدد١، ١٩٩٥م، مج٧، ص١١٣- ١٣٧، أيضًا هناك بحث لوفاء محمد علي: "دولة البطائح في عهد البويهيين"، مجلة ندوة التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد ٨، ١٩٩٠م.

وقد واجهت هذه الدراسة عدة صعوبات: فالمادة التي جاءت عن البطائح في المصادر جاءت مبعثرة، وقد عانت بعض النقص؛ ومن أهم أسباب ذلك أن الكتب التي أُلِّفت عن البطائح -مثل تاريخ البطائح لأبي العباس الواسطي المعروف بابن المندائي المتوفى سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م)- لم يصل إلينا منها شيء، ثم إن المعلومات عن البطائح جاءت إلينا من بعض المؤرخين الذين انصب تركيزهم على الجوانب السياسية دون الحضارية التي لم يرد منها إلا أقل القليل، بل إنهم -فيما

يخص البطائح- أسقطوا أحيانًا بعضًا من الجوانب السياسية نفسها، أما الجغرافيون فعلى الرغم من اهتمامهم بالجوانب الحضارية بصفة عامة، فقد جاء نصيب البطائح منها ضئيلًا إلى حد كبير، ولكني استطعت التغلب على هذه الصعوبات بعد أن رجعت إلى مصادر كثيرة ومتنوعة، فجمعت منها النصوص التي تتعلق بالبطائح، وقمت بتنظيمها حسب المنهج التاريخي، ثم تحليلها؛ وصولًا إلى استخلاص صورة للحياة في البطائح. أما النقاط التي ظلت غامضة فقد استعنت لتوضيحها بالمعلومات المتوفرة عنها في المادة التاريخية المتعلقة بالمدن القريبة؛ خصوصًا كسكر وواسط والبصرة، دون تحميل النصوص ما لا تحتمل. ومن ناحية التوثيق فقد جرى البحث على إيراد بيانات المصدر أو المرجع كاملة مع أول ذكر فقط، ثم الإحالة إليها بعد ذلك باستخدام عبارة: المصدر السابق أو المرجع السابق، مع الاكتفاء بذكر اسم المؤلف. أما في حالة تعدد الأعمال الواردة في البحث لمؤلف واحد، فبجانب إيراد البيانات كاملة مع أول ذكر فقط، عمدت إلى المنهج المذكور نفسه، لكن مع الحرص على إثبات اسم العمل في المواضع التي قد يحدث فيها اللبس؛ وذلك تسهيلًا على القارئ.

ولئن تحركت الدراسة في إطار منطقة البطائح العراقية على الصعيد المكاني، فإنها بدأت - على الصعيد الزماني- بدخول البويهيين بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، وهي الفترة التي برزت بها الأحداث من الناحية السياسية بالبطائح، وإن رجعت قليلًا لتتناول بداية وجود عمران بن شاهين بالمكان. ثم امتدت الدراسة إلى نهاية الوجود السلجوقي بالعراق سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م، إلا أنها تجاوزت ذلك التاريخ قليلًا لتتناول بني معروف آخر من حكم إمارة البطائح.

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وملاحق وقائمة بالمصادر والمراجع وملخصين أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية. جاء التمهيد تحت عنوان: "**الجغرافيا التاريخية لبطائح العراق**"، وقد اختص باستعراض شامل لجغرافية البطائح؛ حيث تناولت بالبحث تعريف البطائح لغة واصطلاحًا، ثم تحديد أنهار البطائح، ومدنها وقراها وتلالها، بالإضافة إلى توضيح أثر الطبيعة الجغرافية للبطائح في الأوضاع السياسية قبل حركة عمران بن شاهين.

أما الفصل الأول، فجاء بعنوان: "**الحياة السياسية بالبطائح خلال عصري البويهيين والسلاجقة**"، وقد تتبعت في هذا الفصل العوامل التي ساعدت عمران بن شاهين على إقامة الإمارة الشاهينية هناك من خلال تتبع الظروف السياسية التي كانت سائدة في العراق عمومًا والبطائح خصوصًا قبل تأسيس عمران لإمارته؛ مثل: ضعف الدولة العباسية، والطبيعة الجغرافية لأرض البطائح، والظروف الاقتصادية والاجتماعية لأهلها، وطبيعة شخصية عمران بن شاهين مؤسس الإمارة. ثم استعرضت –على نحو مفصَّل– أحوال البطائح السياسية في ظل سيطرة البويهيين ثم السلاجقة على الخلافة من خلال استعراض: حكام البطائح، وكيفية توليهم الحكم، وعلاقتهم بالسلطة المركزية ببغداد. ونظرًا لكثرة الأحداث السياسية بالبطائح، وامتداد الإطار الزماني للدراسة لما يقرب من ثلاثة قرون، فقد تضخم هذا الفصل وزادت صفحاته مقارنة بسائر الفصول.

ثم الفصل الثاني، وعنوانه: "**الحياة الاقتصادية بالبطائح خلال عصري البويهيين والسلاجقة**"، وقد خُصِّص لدراسة الأنشطة الاقتصادية في البطائح من خلال الحديث عن: الزراعة، والصناعة، والتجارة، والصيد. كما تضمن هذا الفصل أيضًا دراسة النظام المالي في البطائح من خلال الحديث عن: الموارد، والمصارف، والعملات المتداولة.

بينما أتى الفصل الثالث تحت عنوان: "**الحياة الاجتماعية بالبطائح خلال عصري البويهيين والسلاجقة**"، وقد تحدثت فيه عن عناصر السكان بالبطائح وأدوارهم الاجتماعية، كما تناولت طبقات المجتمع البطائحي، كذلك مظاهر الحياة الاجتماعية، والمنشآت الاجتماعية بالبطائح.

ثم الفصل الرابع: "**الحياة الثقافية بالبطائح خلال عصري البويهيين والسلاجقة**"، وقد بدأ بدراسة أثر الأوضاع السياسية بالبطائح في الحياة الثقافية، ثم تناول مراكز النشاط العلمي، ثم كان الانتقال إلى دراسة العلوم الدينية الإسلامية، والعلوم اللسانية، والعلوم الإنسانية التي عرفت طريقها إلى تلك المنطقة، مع التطرُّق إلى العلماء الذين برزوا في هذه العلوم ومؤلفاتهم.

دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث وأبرز مراجعه:

قبل ذِكر المصادر التي اعتمدت عليها في هذا البحث، لابد من الإشارة إلى أن البطائح كانت قد استرعت اهتمام المؤرخين؛ فأفردوا لتأريخها مؤلفات مستقلة؛ مثل "**تاريخ البطائح**" لأبي العباس الواسطي المعروف بابن المندائي المتوفى سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م)، إلا أن هذا الكتاب مفقود؛ فكان علي عند جمْع أخبار هذه المنطقة أن أرجع إلى مصادر عديدة ومتنوعة؛ لتكوين صورة واضحة للحياة بالبطائح.

وهذه المصادر هي: المصادر التأريخية، والتراجم، والجغرافيا، والمصادر الأدبية، وكذلك الفقهية، ومعظم هذه المصادر تمتاز بمعاصرتها للفترة التي تناولتها هذه الدراسة، أو كانت قريبة منها. وسوف نتكلم في هذه المقدمة عن أبرز الكتب التي قدمت لهذا البحث مادته الأساسية.

اعتمد البحث على كتاب "**نشوار المحاضرة**" للتنوخي المتوفى سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م)؛ حيث قدَّم معلومات مهمة في الفصل الأول عن عمران بن شاهين، ونسبه، وعلاقته بالبويهيين. والمؤلف شاهد عيان على تلك الحقبة.

وكذلك يأتي في مقدمة المصادر التي اعتمدت عليها كتاب "**تجارب الأمم**" لمسكويه المتوفى سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م)، فقد قدَّم معلومات وافية عن الحياة السياسية بالبطائح؛ مثل تمرد عمران بن شاهين، واتخاذه البطائح قاعدة لإدارة العمليات العسكرية في إطار صراعه مع الأمراء البويهيين، كما قدَّم معلومات مفَّصلة عن العلاقة بين الأمراء البطائحيين والسلطة المركزية ببغداد. أما في دراسة الحياة الاجتماعية بالبطائح، فقد انفرد هذا المصدر بالتحدث عن إقامة الديلم والأتراك في إقطاعاتهم بالبطائح، ووصف لنا حالة الفلاحين في ظل النظام الإقطاعي، ولا نجد ذكرًا لهذه المعلومات في كتب التأريخ المعاصرة لفترة الدراسة.

أما عن كتاب" **ذيل تجارب الأمم**" لأبي شجاع المتوفى سنة (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، فهو يحتوي على أحداث عشرين سنة؛ ابتداء من سنة ٣٦٩هـ حتى سنة ٣٨٩هـ(٩٧٩-٩٩٨م). وتليه قطعة من

تاريخ هلال الصابئ تمتد إلى سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م. وقد انفرد الأول بذكر الدور الذي أداه الحسن ابن عمران بعد وفاة أبيه في البطائح، وعلاقته ببختيار وعضد الدولة البويهيَّيْن، والحديث عن مهذب الدولة الأول وعلاقته بالأمراء البويهيين. أما الثاني فقد وصف قصر مهذب الدولة بالصليق وهو شاهد عيان له.

ومن المصادر المهمة التي اعتمدت عليها في هذا البحث كتاب "**المنتظم في أخبار الملوك والأمم**" لابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) وقد دوَّن الأحداث على السنين، وهو ينتهي بنهاية سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م. وقد قدَّم معلومات مهمة عن الأحداث السياسية خلال تلك الفترة، وخاصة فيما يتعلق بمهذب الدولة الأول وأبي العباس بن واصل، وعلى الرغم من أن معلوماته هذه جاءت مختصرة، إلا أنها مهمة؛ لأنه كان معاصرًا لجانب من زمن الدراسة.

وهناك أيضًا كتاب "**أخبار الدولة السلجوقية**" للحسيني المتوفى سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، وقد انفرد بذكر معلومات، ورد ذكرها بالفصل الأول عن حكم بدر الدين بن المظفر للبطائح، لم نجدها عند غيره.

ولابن الأثير المتوفى سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) أهمية كبيرة؛ خاصة في دراسة البطائح؛ فكتابه "**الكامل في التاريخ**" من المصادر الأساسية التي رجعت إليها، يأتي هذا على الرغم من أنه استقى معلوماته من مسكويه وأبي شجاع الروذراوري وابن الجوزي، لكن ترجع أهمية هذا المصدر إلى أنه يستمر في رواية الأحدث إلى سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م؛ وهو بذلك قد غطى مدة طويلة تشمل زمن الدراسة. وقد أورد معلومات موسَّعة ووافية ودقيقة عن التطورات السياسية والعسكرية في البطائح وعلاقة الأمراء البويهيين والسلاطين السلاجقة بأمرائها، كما أبرز علاقة البطائح بالقوى المجاورة؛ مثل الإمارة المزيدية، وكذلك علاقتها بالمناطق القريبة؛ مثل واسط والبصرة.

وهناك كتاب "**مرآة الزمان**" لسبط ابن الجوزي المتوفى سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)؛ حيث أفاد منه الفصل الثالث من البحث؛ إذ انفرد بالحديث عن عادات أهل البطائح وتقاليدهم حين تطرق إلى استجارة ابن سهلان بالشرابي حاكم البطائح.

أما كتب: "**المختصر في أخبار البشر**" لأبي الفدا المتوفى سنة (٧٣٢هـ/١٣٣١م) و"**البداية والنهاية**" لابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)، و"**العبر وديوان المبتدأ والخبر**" لابن خلدون المتوفى سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، فقد تابع مؤلفوها ابن الأثير في منهجه ومادته، غير أن المعلومات التي وردت في هذه المصادر أفادت في تثبيت المعلومات الواردة عند ابن الجوزي وابن الأثير والتأكد من صحتها.

كما اعتمدت في الفصل الرابع "الحياة الثقافية بالبطائح" على العديد من كتب التراجم؛ منها "**ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد**" لابن الدبيثي المتوفى سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، فقد انفرد بذكر بعض الفقهاء القضاة؛ من أمثال أبي الحسن البطائحى علي بن جابر بن زهير بن علي.

كذلك هناك كتاب" **الوافي بالوفيات**" للصفدي المتوفى سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٣م) فقد استقى منه البحث معلومات عن بعض ساسة البطائح وعلمائها.

ولا يمكن الاستغناء عن كتب الأدب العربي في كتابة التاريخ؛ لاسيما إذا كانت تلك الكتب تجمع بين الأدب والتراجم؛ حيث تقدم مادة جيدة عن الأحوال الاجتماعية، والثقافية، بجانب الاقتصادية أيضًا، كما نجد فيها كثيرًا من الحقائق التاريخية التي أهملتها المصادر الأخرى. ينطبق هذا على كتاب "**خريدة القصر وجريدة العصر**" للعماد الأصبهاني المتوفى سنة (٥٩٧هـ/١٢٠١م)، وهو كتاب في تراجم الشعراء، خصص المؤلف قسمًا منه لتراجم شعراء البطائح ونتاجاتهم الشعرية، علاوة على ذكره لبعض أمراء البطائح وأشعارهم. ويلاحَظ أن قسمًا ممن تحدث عنهم من الشعراء لم يرد له ذكر في بقية المصادر المعاصرة له. كما تمتاز المعلومات التي قدَّمها عن الشعراء ونتاجهم الشعري بالشمول والدقة. ولا شك في أن لمعلوماته أهمية كبيرة على أساس أنه كان قد أقام بواسط سنوات عديدة ناظرًا في أعمال الوزير ابن هبيرة؛ مما أتاح له فرصة الاتصال ببعض شعراء البطائح والسماع منهم؛ ومن بين هؤلاء المظفر بن حماد أمير البطائح، كذلك سمع الأمير نجم الدولة أحمد ابن أبي الفتوح بن أبي الجبر وغيرهما.

كما أفاد البحث من بعض كتب الطبقات، تلك التي قدمت معلومات عن أصحاب الطرق الصوفية في البطائح؛ مثل كتاب "**لوائح الأنوار في طبقات الأخيار**" لعبد الوهاب الشعراني المتوفى سنة (٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)، الذي ذكر بعض أصحاب الطرق في البطائح؛ من أمثال أبي بكر بن هوار البطائحي، وأيضًا عزاز بن مستودع البطائحي.

أيضًا حوت كتب الجغرافيا معلومات قيِّمة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالبطائح؛ ومن هذه الكتب كتاب "**البلدان**" لابن الفقيه الهمذاني المتوفى (في حدود سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)؛ حيث ذكر بعض مدن البطائح وقراها.

وقدَّم المقدسي المتوفى سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م) في كتابه "**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**" معلومات قيمة عن موقع البطائح، وذكر بعض مدنها، كذلك أورد معلومات عن النبط بالبطائح ولغتهم.

أما ياقوت الحموي المتوفى سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) فعلى الرغم من أن رواياته التي أوردها عن البطائح –في كتابه "**معجم البلدان**"– منقولة عن المصادر المتقدمة؛ خاصة ما أورده ابن الفقيه الهمذاني في كتابه "البلدان"، فقد قدم معلومات واسعة أفادت التمهيد الذي تناول جغرافية البطائح، من مدن وقرى وأنهار.

وقد زودت المصادر الفقهية هذه الدراسة بمعلومات مهمة عن الحياة الاقتصادية بالبطائح؛ ومن أهم هذه المصادر: كتاب "**الخراج**" لقدامة بن جعفر المتوفى سنة (٣٣٧هـ/٩٤٨م)، وقد رجعت إليه في دراسة الأراضي بالبطائح.

وللفقيه ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٤م) مجموعة من الرسائل المتنوعة طبعت باسم "**رسائل ابن حزم**"، وقد انفردت إحداها بذكر أن عمران بن شاهين كان نبطيًّا يدعي أنه عربي سُلَميّ.

ولابد من الإشارة إلى إفادتي مما كُتب عن البطائح في **دائرة المعارف الإسلامية**، فقد قدمت معلومات مفيدة لدراسة النواحي الجغرافية بالبطائح. وقد أفدت أيضًا من مؤرخين وكُتاب محدثين؛ من أمثال عبد القادر سلمان المعاضيدي في كتابه "**واسط في العصر العباسي**"، كذلك أيضًا كتاب "**تاريخ العراق الاقتصادي**" لعبد العزيز الدوري.

ومن الأبحاث المهمة التي تناولت بعض الجوانب السياسية في موضوع الدراسة: "**أمراء البطيحة في العصر العباسي الثاني**" لسعاد عبد الله محمود، وهو بحث منشور بمجلة كلية الآداب جامعة حلوان (العدد١٨، يوليو٢٠٠٥م، جـ١)، كذلك هناك: "**إمارة عمران بن شاهين بالبطائح**" لصلاح خليل إبراهيم سلام المنشور في مجلة كلية الآداب، جامعة بنها(العدد٣٧، ٢٠١٤م، جـ٢). وعلى الرغم من أن هذه الأبحاث قد اعتمدت كليًّا على ما أوردته المصادر العربية، إلا أنها حوت استنتاجات وقدمت آراء مفيدة فيما يتعلق بالحياة السياسية بالبطائح.

التمهيد

الجغرافيا التاريخية لبطائح العراق

١- المقصود بالبطائح.

٢- أنهار البطائح.

٣- مدن وقرى البطائح.

٤- تلال البطائح.

٥- أثر الطبيعة الجغرافية للبطائح في الأوضاع السياسية قبل حركة عمران بن شاهين.

١- المقصود بالبَطَائِح:

البطائح: جمع بَطِيحة، بفتح الباء وكسر الطاء، والبطيحة والبطحاء واحد(١)؛ وهي مسيل فيه دقاق الحصى، وقيل البطحاء: تراب ليّن مما جزته السيول، وتبطَّح السيل إذا اتسع في الأرض، وبهذا سميت بطائح العراق(٢)؛ لأن المياه تبطحت فيها؛ أي سالت واتسعت في الأرض.

كما يتباين منسوب مياه البطائح بين القلة والكثرة؛ ومن هنا يظهر مصطلح الآجام الذي يطلَق على المستنقعات والبحيرات الساحلية، والأجزاء الضحلة من البطائح المغطاة بالبردي والقصب(٣)؛ فيقول الإدريسي (ت٥٦٠هـ/١١٦٦م): "في حدود البصرة وبين عماراتها وقراها آجام كبيرة وبطائح ماء معمورة، وتسير عليها السماريات(٤)، والزوارق(٥) بالمدافع لقرب قعرها وارتدام مجاريها بالتراب"(٦).

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان (مادة البطيحة)، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، جـ١، ط١، بيروت (دار الكتب العلمية)، ١٩٩٠م، ص٥٣٤.

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، جـ١، ط٣، (دار الفكر)، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٢٦٠- ٢٦١.

- يطلق مسمى البطائح على عدة مناطق في العالم؛ حيث يقول مؤلف كتاب حدود العالم: "المعروف منها تسع: ثلاث منها في المناطق غير العامرة من الجنوب على الجانب الآخر من النوبة قرب جبل القمر؛ حيث تتفرع منها عشرة أنهار، تتكون من كل خمسة منها بطيحة واحدة، يخرج من كل بطيحة ثلاثة أنهر تتجمع في مكان واحد، فيتكون من كل ستة منها بطيحة واحدة، ومن تلك البطيحة ينبع نهر النيل، ويمر من النوبة وبلاد مصر حتى يصب في بحيرة تنيس. واثنتان أخريان هما بطيحتا البصرة، تحيط بهما العمارة، وكثير من القرى والمدن الصغيرة. بطيحة الكوفة، وما حولها، وخيراتها كثيرة. السابعة: بطيحة بخارا وتدعى أوازه بيكند، وتقع في مفازة. الثامنة: في أعالي الصين على حدود مدينة خكدان . . . التاسعة: في شمال الصين". (مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، ط١، القاهرة (الدار الثقافية)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص١٧).

(٣) الآجام: جمع أجمة، وهى الشجر المتلف، وقولهم بيع السمك في الأجمة يريدون البطيحة التي هي منبت القصب. (المطرزي: المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، جـ١، ط١، حلب (مكتبة أسامة بن زيد)،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٣٠).

(٤) السماريات: ربما يقصد بها السميريات وليس السماريات. مفردها سميرية، وهي ضرب من السفن. (الجوهري: الصحاح (مادة سمر)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،جـ٢، ط٢، بيروت (دار العلم للملايين)، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٦٨٩). كما تعددت استعمالات هذا الضرب من السفن، فقد استخدمت خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين؛ لغرض القتال النهري في العراق؛ حيث كانت تعد لحمل آلات الحرب والسلاح والمقاتلة والرماة والملاحين. ويبدو أيضًا أنه كان منها الكبير ذوات الأربعين مجدافًا، كذلك منها الصغير ما لايزيد عدد مجاديفها عن الأربعة. (درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية (جامعة الإسكندرية)، ١٩٧٤، ص٦٧).

(٥) ذكر علماء اللغة أن من أسماء المراكب المائية الصغيرة: الزورق: وهو السفينة الصغيرة، وقيل هو القارب الصغير. (الفيروزآبادى: القاموس المحيط، جـ٣، ط٣، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)،١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٢٣٣).

(٦) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج١، بورسعيد (مكتبة الثقافة الدينية)، ص٣٨٥.

أما مصطلحا الهول[١] أو الهور[٢]: فهما يطلقان على المناطق التي يكثر فيها الماء بالبطائح؛ أي المسطحات المائية الواسعة، التي لا ينمو فيها أي نوع من أنواع النباتات المائية، وتسير فيها السفن النهرية الكبيرة. كما أشار سهراب إلى ذلك بشيء من التفصيل، حين ذكر أن أول البطيحة القطر، وهو زقاق قصب نابت وبعده هور، (واسم هذا الهور بحَصَي وبعده زقاق قصب، ثم الهور الثاني واسمه بكَمصِي وبعده زقاق قصب، ثم الهور الثالث اسمه بصريَاثًا وبعده زقاق قصب، ثم الهور الرابع واسمه المحمّديّة وفية منارة حسّان[٣]، وهو أعظم الأهوار وبعده زقاق قصب، وهو ماد إلى نهر أبي الأسد، ويمر النهر بالحلة وقرية الكوانين، ويصب إلى دجلة العوراء"[٤].

إن بطائح العراق: هي المنطقة الواقعة جنوبي العراق؛ حيث تقع بين واسط[٥] شمالًا، والبصرة[٦] جنوبًا، وهي مغيض[٧] ماء دجلة والفرات، وهي كذلك مغايض ما بين البصرة والأهواز[٨]. وهناك من حدد موقع البطائح على نحو أدق؛ حيث ذكر القزويني أن البطيحة "أسفلها ميسان[٩]، وأعلاها كسكر"[١٠]؛ مما يمكن أن يفهم منه أن كسكر وميسان هما حدا

---

(١) الهول لغة هو: المخافة من الأمر الذي لا يدري المرء ما يهجم عليه منه؛ كهول الليل وهول البحر. (ابن منظور: لسان العرب (مادة هول)، مج١١، بيروت (دار صادر)، ص٧١١). أما فيما يخص البطائح فالهول يعنى: موضع بالبطائح به مساحات مائية عميقة ويعرف بالهول الكبير. (ابن رسته: الأعلاق النفيسة، مج٧، ليدن (مطبعة بريل)،١٨٩١م، ص١٨٥؛ ماجد السيد ولي محمد: "الجغرافية التاريخية لأهوار العراق"، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، دار الطباعة الحديثة، السنة الخامسة، العدد ٦، ص٢٠٥- ٢٢٨).

(٢) سهراب: عجائب الأقاليم السبعة، تحقيق هانس فون مزيك، فيينا (مطبعة آدولف هولز هوزن)، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، ص١٣٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة هور)، جـ٥، ص٤٨١.

(٣) حسان النبطي: هو مولي بني ضبة، وقد تولى خراج العراق في عهد الوليد ثم هشام بن عبد الملك، كما ينسب إليه حوض حسان بالبصرة، وقناة حسان بالبطائح، وقرية حسان بواسط. (ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ليدن (مطبعة بريل)، ١٨٨٩م، ص٢٤٠).

(٤) سهراب: المصدر السابق، ص١٣٥.

(٥) واسط: مدينة بالعراق سميت بذلك؛ لأنها متوسطة بين الكوفة والبصرة؛ لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخاً. (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة واسط)، جـ٥، ص٤٠٠).

(٦) البصرة: مدينة واقعة في الإقليم الثالث، بالقرب من الكوفة، طولها أربع وسبعون درجة. (نفس المصدر، جـ١، ص٥١٠)

(٧) المغيض: مغيض الماء مدخله ومجتمعه، والجمع مغائض، والغيضة: الأجمة وهي الشجر الملتف وجمعها غياض. (المطرزي: المصدر السابق، جـ٢، ص١٢٠).

(٨) البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، جـ١، بيروت (عالم الكتاب)، ص٢٥٩؛ ابن منظور: المصدر السابق (مادة بطح)، مج٢، ص٤١٤.

- والأهواز: تقع في الإقليم الثالث، طولها من جهة المغرب خمس وسبعون درجة، وعرضها من ناحية الجنوب اثنتان وثلاثون درجة، وهى كورة بين البصرة وفارس. (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة الأهواز)، جـ١، ص٣٣٩).

(٩) مَيْسَان: اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين واسط والبصرة قصبتها ميسان كذلك، وفيها قبر عزير النبي. (نفس المصدر (مادة ميسان)، جـ٥، ص٢٨٠).

(١٠) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت (دار صادر)، ص٤٤٦.

البطائح، وليستا منها بالضرورة. ومن قبله صرح ابن رسته بأن نهر الفرات مصبه في البطائح بموضع كسكر[١]، وهو ما كرره ابن العديم كذلك[٢]، وفي حديثه عن قرية سمرقند، أكد ياقوت وقوعها "بالبطيحة من أرض كسكر"[٣]. وقد حدد سهراب (أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) بدايتها من القطر[٤] على دجلة ومن جنوب شرق الكوفة، كما أن الطريق من الكوفة إلى واسط على طريق البطائح ست مراحل[٥]. وتغمر البطائح المجرى السفلي لكل من دجلة والفرات[٦] .

وتُعرف منطقة البطائح بوفرة المستنقعات الناتجة عن تصريف المياه الزائدة لنهري دجلة والفرات بها؛ مما جعل أرضها صعبة الاجتياز وصعبة العيش أيضًا؛ لذلك لم تكن ذات أهمية من الناحية السياسية في بداية الخلافة العباسية؛ والدليل على ذلك أنها لم تكن ولاية مستقلة، بل كانت مجرد بقعة تقع في نطاق مدينة واسط أو البصرة أو الكوفة[٧]؛ ولذلك تسمى أحيانًا ببطيحة واسط[٨]، أو بطيحة البصرة، أو بطيحة الكوفة؛ نسبة إلى تلك المدن.

أما خلال فترة الدراسة، فقد لُوحظ أن المصادر التاريخية ذكرت البطائح صراحةً بوصفها كيانًا سياسيًّا مستقلًا عما حوله، كما أشارت إلى مدن بعينها اتخذها أمراء البطائح مركزًا للحكم

- مدينة كَسْكَر: قيل سميت كسكر بذلك الاسم؛ نسبة إلى ملك الفرس كسكر بن طهمورث، وهو أصل الفرس، وقال آخرون معنى كسكر: بلد الشعير (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة كسكر)، جـ٤، ص٥٢٣)، وقيل إنما هو كشتكر، (فعرب) ومعناه: عامل الزرع (البكري: المصدر السابق، جـ٤، ص١١٢٨)، فهي تقع على الجانب الغربي لنهر دجلة مقابل مدينة واسط (الإدريسي: المصدر السابق، مج١، ص٣٨٢).

(١) الأعلاق النفيسة، ص٩٣- ٩٤.

(٢) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، جـ١، بيروت (دار الفكر)، ص٣٥٨.

(٣) معجم البلدان (مادة سمرقند)، جـ٣، ص٢٧٩.

(٤) عجائب الأقاليم السبعة، ص١٣٥.

- القَطْرّ: كأنه من قَطَرَ الماءُ يقطر قَطراً بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره راء: موضع في جوانب البطائح بين البصرة وواسط على مسافة ٢٢ فرسخا إلى الجنوب من الأخيرة، وفي القطر مصب نهر دجلة. (المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، جـ١، ط٥، بيروت (دار الفكر)، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص١٠٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة القطر)، جـ٤، ص٤٢٣).

(٥) الإصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦١م، ص٥٥.

(٦) المسعودي: المصدر السابق، جـ١، ص١٠٥. وقد ورد أن دجلة يجري إلى البطيحة في القطر، وأن الفرات يجري إليها في نقطة مقابلة. (سهراب: المصدر السابق، ص١١٨؛ ابن رسته: المصدر السابق، مج٧، ص٩٤).

(٧) الكوفة: مدينة واقعة في الإقليم الثالث، وهى من سواد العراق، طولها تسع وستون درجة ونصف، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلثان. (ياقوت: المصدر السابق (مادة الكوفة)، جـ٤، ص٥٥٧).

(٨) Al- Hamdani A., Kingdom of Reeds: The Archaeological Heritage of Southern Iraqi Marshes, Iraq Heritage Report, 11th September, 2015, p. 5

ودارًا للإمارة؛ مثل الجامدة[١] (وهى على مقربة من واسط[٢]، حيث تقع بينها وبين البصرة[٣])، كذلك الغَرَّاف (وهى آخر البطائح[٤]). وهناك أيضًا الصليق[٥] (تقع قرب الكوفة[٦])؛ وهو ما يفهم منه أن حدود البطائح السياسية خلال فترة الدراسة كانت معلومة وواضحة، حتى وإن حوت جغرافيًّا على مستنقعات وأهوار متباعدة، ومدن وقرى متفرقة.

ويصعب تحديد مساحة البطائح تحديدًا دقيقًا؛ فلقد اختلف الجغرافيون العرب حول تحديد مساحتها؛ إذ قدَّرها ابن رسته (ت ٢٩٠هـ/٩٠٣م) –بعدما استصلح العرب مساحات منها– بثلاثين فرسخًا[٧] في الطول؛ أي حوالي مائة ميل، وبمثل ذلك القدر تمامًا من حيث مقدار العرض[٨]، بينما قدر المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٥م) أبعادها بخمسين فرسخًا في الطول، ومثلها في العرض[٩]، في حين ذكر المقدسي (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) أن مدينة واحدة من مدن البطائح– وهي الصُّليق– تقع على هور طوله أربعون فرسخًا[١٠]، وقدر أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) مساحة البطائح بثلاثة وسبعين في الطول، واثنين وثلاثين في العرض[١١]، وحددها ياقوت (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) بالمنطقة الواقعة بين واسط والبصرة، وبأنها ماء مستنقع لا يُرى طرفاه من سعته[١٢]. وقد ذهب كي لسترنج –بعد دراسة متعمقة في كتب الجغرافيين العرب– إلى أن مساحة

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، محمد يوسف الدقاق، مج٧، ط١، بيروت (دار الكتب العلمية)، ص٢٣٠.
(٢) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة الجامدة)، جـ٢، ص١١١.
(٣) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، بيروت (مكتبة لبنان)، ١٩٨٤م، ص١٥٣.
(٤) ابن حجر العسقلاني: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت (المكتبة العلمية)، القسم ٣، ص١٠٠١.
(٥) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة الصليق)، جـ٣، ص٤٨٠.
(٦) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن (مطبعة بريل)، ١٨٧٧م ، ص١١٩.
(٧) الفرسخ: مصطلح فارسي معرب أصله فرسنك، وقد قال بعض اللغويين: الفرسخ عربي محض يعادل ثلاثة أميال أى ١٢٠٠٠ ذراع هاشمي أي يساوي ٥٥٤٤ متراً. (الفيروزآبادى: المصدر السابق (مادة الفرسخ)، جـ ١، ص٢٦٤).
(٨) ابن رسته: المصدر السابق، مج٧، ص٩٤؛ الحميري: المصدر السابق، ص٩٢.
(٩) مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ١، ص١٠٣.
(١٠) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١١٩.
(١١) تقويم البلدان، بيروت (دار صادر)، ص٤٣.
(١٢) معجم البلدان (مادة البطيحة)، جـ١، ص٥٣٤.

البطائح –في الحقبة التي نحن بصددها– كانت تقترب من مائتي ميلٍ طولًا، وخمسين ميلًا عرضًا[١].

وربما يرجع اختلاف الجغرافيين العرب حول تحديد مساحة البطائح إلى عدم ثباتها أمام الفيضانات؛ حيث قيل في ذلك: "إذا وجد الماء سيلًا منخفضًا وانصبابًا وسع بالحركة وشدة الجري لنفسه فاقتلع المواضع من الأرض إلى أبعد غايتها، وكلما وجد موضعًا متسعًا من الوهاد ملأه في طريقه من شدة جريه حتى يعمل بحيرات وبطائح ومستنقعات، وتخرب بذلك بلاد وتعمر بذلك بلاد"[٢]. كما يرجع ذلك أيضًا إلى مشاريع تجفيف المستنقعات التي كانت تقوم بها الدولة؛ ويتضح هذا مما ذكره البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) عن كيفية اهتمام الدولة الأموية باستصلاح أرض البطائح؛ من حيث سد البثوق، وحفر الأنهار، وإقامة السدود [٣]، ويتضح ذلك أيضًا مما ذكره الماوردي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) بقوله: "إحياء اليبس بسوق الماء إليه، وَإحياء البطائح بحبس الماء عنها حتى يمكن زرعها وغرسها"[٤]، ولا شك أن هذه العوامل لا تساعد على تحديد المساحة بدقة.

(١) بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط٢، بيروت (مؤسسة الرسالة)، ١٩٨٢م، ص٤٣.
(٢) المسعودي: المصدر السابق، جـ١، ص١٠٤.
(٣) فتوح البلدان، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، بيروت (مؤسسة المعارف)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٤١١- ٤١٣.
(٤) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، ط١، الكويت (مكتبة دار ابن قتيبة)، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٢٣١.

٢- أنهار البَطَائح:

إن الحديث عن أنهار البطائح ليس بالأمر اليسير؛ نظرًا لأن البطائح تحتوي أنهارًا ومستنقعات وآجامًا كثيرة، كما أن هناك تغيرات عديدة طالت مساحة البطائح وأنهارها على نحو ما ذكرنا سابقًا؛ وذلك نتيجة حدوث الفيضانات، وإقامة الدول الحاكمة مشاريع تجفيف المستنقعات؛ مما أدى إلى تبدلات كثيرة في مجال الأنهار، كما اختفت أنهار قديمة وبرزت أخرى جديدة، يضاف إلى هذا أن هناك من المصادر ما ذكر أنهار البطائح دون تحديد أسمائها(١)؛ وربما يرجع هذا إلى كثرة أنهار البطائح ومياهها؛ حيث يقول المقدسي: "هذه البطائح بحيرات ومياه ثم مزارع وللعراق منها رفق عظيم"(٢).

تنقسم الأنهار التي تغذي البطائح بالمياه إلى قسمين: أولهما من دجلة شرقا جنوب واسط وثانيهما من الفرات غربا جنوب الكوفة. والأنهار الواصلة من دجلة إلى البطائح هي:

* نهَر الجَنْب: ذكره ابن خرداذبه (ت نحو ٢٨٠هـ/٨٩٣م) بقوله: "كان بكسكَرَ قبل خراب البطيحة نهر يقال له الجنب وكان عليه طريق البريد إلى مَيسان ودستميسان(٣) والأهواز في جنبه القبلي فلما تبطحت البطائح، سمي ما استأجم من طريق البريد آجام البريد، وسمى الشق الأخر بالنبطيه أغمار بتى؛ وتفسيره بالعربية الآجام الكبرى، ويقال ربما ظهرت آبار النهر فيما يستخرج من البطائح في هذا الوقت"(٤).

* نهَر قريش: ذكره سهراب بقوله: "هو يأخذ مياهه من نهر دجلة من أسفل واسط، وأوله من القرية التي تسمى نهر قريش، ويمر بقرى وضياع، ويصب بالبطائح غربي واسط(٥).

---

(١) نستنتج ذلك مما ذكره ابن خلدون في حديثه عن عساكر البطائح الذين "نزلوا الجامدة وسدوا الأنهار التي تصب إليها". (العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، بيروت (دار الفكر)، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٦٧٨).
(٢) أحسن التقاسيم، ص١١٩.
(٣) دَستُميسَانُ: ذكرها ياقوت بقوله: "كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز وهي إلى الأهواز أقرب، قصبتها بَسَامَتَى، وليست ميسان لكنها متصلة بها، وقيل: دستميسان كورة قصبتها الأُبلة فتكون البصرة من هذه الكورة".(معجم البلدان (مادة دستميسان)، جـ٢، ص٥١٨).
(٤) المسالك والممالك، ص٢٤١.
(٥) عجائب الأقاليم السبعة، ص١٢٨- ١٢٩.

* نهَر الغرّاف: ذكره ياقوت بقوله: "هو فعّال، بالتشديد، من الغرف ... وهو نهر كبير متشعب من نهر دجلة أسفل واسط؛ حيث يقع بينها والبصرة، وعليه كورة فيها قرى كثيرة وهي بطائح[١].

كما يلاحظ أيضًا أن هناك خمسة أنهار تنبع من أسفل أو جنوب واسط، وتمر بأرض البطائح؛ ويتضح لنا ذلك مما ذكرة ياقوت بقوله: "فإذا انفصل (نهر دجلة) عن واسط، انقسم إلى خمسة أنهر عظام تحمل السُفُنَ؛ منها **نهر ساسي ونهر الغرَاف ونهر دَقلة ونهر جعفر ونهر مَيسان،** ثم تجتمع هذه الأنهار أيضًا، وما ينضاف إليها من الفُرات كلها قرب مَطارة؛ قرية بينها وبين البصرة يوم واحد"[٢].

* نهَر بان: ويلفظ أيضًا أَبانُ[٣]، وهو متشعب من نهر دجله، أوله أسفل واسط مع القرية التي تسمى نهر بان، ثم يمر بقرى وضياع، ويقلب فيصب في البطائح[٤].

* هناك أيضًا نهَر الصِّلَةِ، و نهَر برقة، و نهَر الريان؛ حيث قال ابن خرداذبه: "كورة كسكرّ، وفيها نهر الصلة وبرقة والريان"، والنهر الأول –الصلة– أمر بحفره الخليفة المهدي (١٥٨- ١٦٩هـ/٧٧٥- ٧٨٥م) من أعمال واسط، فحفر وأحيا ما عليه من الأراضي[٥]، وربما ارتبط اسم النهر الثاني –الريان– بفوائده وعظمته وغزارة مياهه؛ ففي اسم الريان معنى مضاد لمعنى العطشان[٦].

* نهَر السّيب: ذكره سهراب من جملة الأنهار التي تحمل من نهر دجلة من أسفل واسط؛ حيث قال: "هو سيب العقر ومدينة العقر[٧]، راكَبْتُه؛ أوله أسفل نهربان بفرسخين يمر في قرى وضياع ويمر بالجوامد، ويتفرع منه أنهار كثيرة ويقلب فيصب في البطيحة"[٨].

(١) معجم البلدان (مادة الغراف)، جـ٤، ص٢١٦.
(٢) نفس المصدر (مادة دجلة)، جـ٢، ص٥٠٣.
(٣) لسترنج: المرجع السابق، ص٦١.
(٤) سهراب: المصدر السابق، ص١٢٨.
(٥) المسالك والممالك، ص١٢، ٢٤١- ٢٤٢.
(٦) الجوهري: المصدر السابق (مادة روى)، جـ٦، ص٢٣٦٣.
(٧) العقر: ذكرها ياقوت الحموى باسم عقر السدن، وقال إنها: "من قرى الشرطة بين واسط والبصرة". (معجم البلدان (مادة عقر)، جـ٤، ص١٥٤).
(٨) سهراب: المصدر السابق، ص١٢٩.

* نهَر[١] بردودى: وذكره سهراب بقوله: "هو من جملة الأنهار المتفرعة من دجلة في جنوب واسط، أوله من القرية التي تسمى الشديدية، وهو نهر جليل ويصب مياهه بالبطائح"[٢]، وقد ذكر الطبرى (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م) نهرًا باسم بردودا، وقد ذكر أنه متفرع من دجلة ويتجه نحو البطائح، بين واسط والبصرة[٣]؛ وربما يعني ذلك أن نهر بردودى هو نفسه ما ذكره الطبري باسم بردودا.

* نهْر مُرّة: ذكره ابن رسته بقوله: "يخرج من هذه البطائح أنهار؛ من ذلك نهر المرة ويصب هذا النهر في دجلة العوراء"[٤]، كما ذكره أيضا أبو الفدا بقوله: "يحمل من دجلة أيضًا من تحت البطائح عدة أنهر في الجانب الشرقي والجانب الغربي ... وأما التي في الجانب الغربي فهي الأنهار المشهورة، وأنهار الجانب الغربي وإن كانت كثيرة جدًا حتى قيل إنها تزيد على مائة ألف نهر، فإن أصولها تسعة أنهر ... منها يقال له نهر المرة، ويخرج من دجلة إلى جهة الغرب فيسقي الأراضي التي هي غرب دجلة وشمالي البصرة، وينصب فضلاته إلى النهر الثاني، والنهر الثاني يقال له **نهر الدير**"[٥]، وينسب هذا النهر إلى رجل يقال له مرة بن أبي عثمان، مولي عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وكانت عائشة (ت ٥٨هـ/٦٧٨م) رضي الله عنها، قد كتبت إلى زياد بن أبي سفيان[٦]؛ لأجل أن يمنحه من العطاء شيئًا؛ فأقطعه هذا النهر فنسب إليه[٧].

---

(١) النهَر: إذا جرى الماء في الأرض وجعل لنفسه نهراً (طبيعي). أما ال نهْر: إذا تم حفره وأجريت فيه الماء (صناعي). (ابن منظور: المصدر السابق (مادة نهر)، مج٥، ص٢٣٧.
(٢) سهراب: المصدر السابق، ص١٢٩.
(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جـ٩، ط٢، القاهرة (دار المعارف)، ١٩٦٠م، ص٨.
(٤) الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٩٤.
(٥) تقويم البلدان، ص٥٦.
- نهر الدير: ذكره ياقوت بقوله: "نهر كبير بين البصرة ومطارا، بينه وبين البصرة نحو عشرين فرسخاً، سمي بذلك لدير كان على فوهته يقال له دير الدهدار". (معجم البلدان (مادة نهر)، جـ٥، ص٣٦٩).
(٦) زياد بن أبي سفيان: ذكره الذهبي بقوله: "هو زياد بن عبيد الثقفي، وهو زياد ابن سمية، وهي أمه، وهو زياد بن أبي سفيان الذي استحلفه معاوية بأنه أخوه ... ولد عام الهجرة، وأسلم زمن الصديق وهو مراهق، وهو أخو أبي بكر الثقفي الصحابي لأمه، ثم كان كاتبا لأبي موسى الأشعري زمن إمرته على البصرة". (سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، جـ٣، ط٢، بيروت (مؤسسة الرسالة)، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص٤٩٤).
(٧) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة نهر)، جـ٥، ص٣٧٣.

* نهْر أبي الأسَد: ذكره ياقوت بقوله: " كنية رجل، والأسد بفتح السين: أحد شعوب دجلة بين المذار[1]، ومطارة في طريق البصرة يصب هناك في دجلة العظمى، ومأخذه أيضًا من دجلة قرب نهر دقلة، وأبو الأسد أحد قواد المنصور كان وجه إلى البصرة أيام مقام عبد الله بن علي ابن عبد الله بن العباس[2] عم أبي جعفر المنصور بها، فحفر بها النهر المعروف بأبي الأسد، وقيل: بل أقام على فم النهر؛ لأن السفن لم تدخله لضيقه فوسعه حتى دخلته، فنسب إليه وكان محفوراً قبله"[3].

* نهْر ابنِ عُمَرَ: هو نهر يمر بأرض البطائح إلى فيض البصرة[4]، ولقد ذكره ياقوت بقوله: "نهر بالبصرة منسوب إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وهو أول من احتفره؛ وذلك أنه لما قدم البصرة عاملًا على العراق من قبل يزيد بن الوليد بن عبد الملك[5]، شكا إليه أهل البصرة ملوحة مائهم فكتب بذلك إلى يزيد بن الوليد، فكتب إليه: إن بلغت النفقة على هذا النهر خراج العراق ما كان في أيدينا فأنفقه عليه، فحفر النهر المعروف بابن عمر"[6].

(١) المذَار: تقع في مَيسان بين واسط والبصرة، وهي قصبة ميسان، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام. (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة المذار)، جـ٥، ص١٠٤).

(٢) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس: هو عم الخليفتين السفاح وأبي جعفر المنصور، وهو الذي هزم مروان بن محمد بموقعة الزاب ١٣٢هـ/٧٥٠م، وتبعه إلى دمشق، وفتحها وهدم سورها، وقتل من أعيان بني أمية ثمانين رجلا بأرض الرملة، ومهد دمشق لدخول السفاح، وظل أميرا على بلاد الشام مدة خلافته، فلما ولي المنصور خرج عبد الله عليه، ودعا إلى نفسه، فانتدب المنصور لإخضاعه أبا مسلم الخراساني، فقاتله في نصيبين، فانهزم عبد الله واختفى، وصار إلى البصرة، فأمنه المنصور، فاستسلم، وحبس ببغداد، فوقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله، وذلك سنة ١٤٧هـ /٧٦٤م. (الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف، مج١١، ط١، بيروت (دار الغرب الإسلامي)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١٧٦-١٧٧؛ الزركلي: المرجع السابق، جـ٤، ص١٠٤).

(٣) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة نهر)، جـ٥، ص٣٦٤.

(٤) ابن رسته: المصدر السابق، مج٧، ص٩٤، ١٨٥.

- فيض البصرة: الفيض، من فاض الماء أي كثر حتى سال على ضفة الوادي. وفيض البصرة: نهرها، غلب ذلك عليه لعظمه.(ابن منظور: المصدر السابق (مادة فيض)، مج٧، ص٢١٠-٢١١). كما ذكره أحمد سوسة بقوله: "أما فيض البصرة فهو يعرف اليوم باسم شط العرب". (أحمد سوسة: المرجع السابق، جـ٢، ص٤٤٣).

(٥) الخليفة الأموي يزيد بن الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ١٢٦هـ/٧٠٥- ٧٤٤م)، ثار على ابن عمه الخليفة الوليد ابن يزيد بن عبد الملك لسوء سيرته، ومات يزيد بالطاعون، وقيل: مسموما. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٥، ص٣٧٤- ٣٧٦).

(٦) معجم البلدان (مادة نهر)، جـ٥، ص٣٦٤.

* زِقاق الهَفَّة: موضع بالبطيحة، كثير القصب، فيه مخترَق للسفن، ويسمى زقاق الهفة؛ لأن الهفيف سرعة السير"[١]. وذكر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) أيضًا أن زقاق الهفة في أجمة البصرة[٢]، وربما يكون زقاق الهفة هو أحد أزقة الهول الكبير الذي أشار إليه سهراب.

* نهْر أَبّا: ذكره ياقوت أيضا بقوله: "نهر كبير بالبطيحة"[٣].

* نهَر خَزّازُ: "نهر كبير بالبطيحة بين البصرة وواسط"[٤].

* نهَر الزُّطّ: ربما ينسب إلى جماعات الزط الذين سكنوا البطائح على عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، كما ذكره ياقوت بقوله: "نهر قديم من أنهار البطيحة"[٥].

* نهَر العروس: هو نهر متفرع من نهر دجلة، وقد ذُكر من ضمن الأنهار التي جرى سدها زمن الخليفة المعتصم (٢١٨- ٢٢٧هـ/٨٣٣- ٨٤٢م)، في إطار بعض الصراعات السياسية التي وقعت بالبطائح[٦].

* نهَر يَمّا: ذكره ياقوت من ضمن أنهار البطائح[٧].

أما الأنـهار الواصلة من الفرات إلى البطائح فهي:

* نهَر سُورَا: ويقال سوراء[٨]، وقد ورد ما يفيد أن نهر الفرات إذا جاوز نهر كوثى[٩] بستة فراسخ، انقسم إلى قسمين: الغربي وهو النهر الأيمن، عمود الفرات، وكان يماسُّ مدينة

---

(١) البكري: المصدر السابق، جـ٤، ص١٣٥٤.
(٢) الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، جـ٥، ط٢، مصر (مطبعة مصطفى البابي الحلبي)، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص٣٩٩.
(٣) معجم البلدان (مادة أبا)، جـ١، ص٧٩.
(٤) نفس المصدر (مادة خزاز)، جـ٢، ص٤١٩.
(٥) نفس المصدر (مادة الزط)، جـ٣، ص١٥٨.
(٦) الطبري: المصدر السابق، جـ٩، ص٨.
(٧) معجم البلدان (مادة يما)، جـ٥، ص٥٠٥.
(٨) نفس المصدر (مادة نهر)، جـ٥، ص٣٧١.
(٩) نهر كُوثَى: ذكره ياقوت بقوله: "سمي نهر كوثا بالعراق بكوثى من بني أرفخشد بن سام بن نوح، عليه السلام ... وهو أول نهر أخرج بالعراق من الفُرات". (معجم البلدان (مادة كوثي)، جـ٤، ص٥٥٤).

الكوفة، وينتهي إلى البطائح [١]، والشرقي وهو النهر الأيسر، وهو يمر بإزاء قصر ابن هبيرة[٢]، عند طول سبعين ونصف وعرض اثنتين وثلاثين وخمس وأربعين دقيقة، ويعرف هذا القسم الأعظم الثاني بنهر سورا[٣]. ويقول ابن حوقل عن نهر سورا: "نهر كثير الماء وليس للفرات شعبة أكبر منه وتنتهي إلى سائر سواد الكوفة ويقع الفاضل منه إلى بطائح الكوفة، وسورا هذه بين تلك النواحي أكثرها كرومًا وأشربة"[٤].

* نهَر الصَّلِيقُ: الصليق تعني في اللغة: الأملس[٥]، وينسب نهر الصليق إلى مدينة الصليق، وهي واقعة على مقربة من الكوفة؛ حيث قال المقدسي: "وكل بلد يحيط به أنهار فإن في أهله شغبًا وخروجًا؛ مثل ... الصليق"، كما قال أيضًا: "الصليق: مدينة على بحيرة[٦]، طولها أربعون فرسخًا، يتصل ضياعها بسواد الكوفة"[٧].

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ٤، القاهرة (دار الكتب المصرية)، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م، ص٣٩٩.

(٢) قصر ابن هبيرة: ذكره ياقوت بقوله: "ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ... كان لما ولي العراق من قبل مروان بن محمد بن مروان بَنَى على فرَات الكوفة مدينة، فنزلها، ولم يستتمها حتى كتب إليه مروان بن محمد يأمره بالاجتناب عن مجاورة أهل الكوفة، فتركها وبَنَى قصره المعروف به بالقرب من جسر سُوَرا، فلما ملك السفاح نزله واستتمَ تسقيف مقاصير فيه وزاد في بنائه وسماه الهاشمية، وكان الناس لا يقولون إلا قصر ابن هبيرة على العادة الأولى، فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنه". (معجم البلدان (قصر بن هبيرة)، جـ٤، ص٤١٤).

(٣) أبو الفدا: المصدر السابق، ص٥٣.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ط٢، ليدن (مطبعة بريل)، ١٩٦٧م، القسم الأول، ص٢٤٣.

(٥) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس (مادة صلق)، تحقيق عبد الكريم العزباوي، جـ٢٦، الكويت (التراث العربي)، ١٩٩٠م، ص٣٨.

(٦) بحيرة: ربما يعني هنا أن البحيرة هي مياه نهر الصليق؛ حيث ذكر أبو الفدا البحيرات بقوله: "البحيرة والبطيحة بمعنى واحد وهي المياه المجتمعة التي هي في القدر دون البحار المذكورة". (تقويم البلدان، ص٣٧).

(٧) المقدسي: المصدر السابق، ص١١٩.

٣- مدن وقرى البَطَائح:

وجد بالبطائح بعض البقع المبعثرة من الأرض اليابسة، وهي بقع تعمرها المدن والقرى ومنها:

* مدينة الطَّفُّ: هي ساحل البطيحة[١]، ذكرها ياقوت بقوله: "وإنما سمي طفًا لأنه دانٍ من الريف، من قولهم: خُذْ ما طف لك واستَطف أي ما دنا وأمكن"، و"سمي الطف لأنه مشرف على العراق من أطف على الشيء بمعنى أطل، والطف: طف الفرات أي الشاطئ... وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية، منها الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل وذواتها"[٢]، وهى قريبة من مدينة الكوفة على شط نهر الفرات، وهناك الموضع المعروف بكربلاء الذي قتل فيه الحسين بن علي رضى الله عنهما[٣]. وبالطف أيضا قصر أنس بن مالك[٤].

* الصَّلِيقُ: هي مدينة من مدن بطائح الكوفة، وصفها المقدسي بقوله: "مدينة على بحيرة طولها أربعون فرسخا، يتصل ضياعها بسواد الكوفة، شديدة الحر كربة بليدة بق مهلك، وعيش ضيق، أدامهم السمك وماؤهم حميم وليلهم عذاب، وعقلهم سخيف ولسانهم قبيح مع ملح قليل وكرب عظيم، إلا أنها معدن الدقيق وسلطان رفيق وماء غزير وسمك خطير واسم كبير، وفي الحرب كل صبور وبالنهر كل بصير، ولهم موضع يشاكل نهر الأبلة حسن، يليها في الكبر الجامدة، وهما من دجلة على ناحية وسائر المدن دونهما، وهذه البطائح بحيرات ومياه ثم مزارع والعراق منها رفق عظيم"[٥]، كما ذكرها ياقوت بقوله: "كانت دار مُلك مهذب الدولة أبي نصر

---

(١) البكري: المصدر السابق، جـ١، ص٢٥٩.
(٢) معجم البلدان (مادة الطف)، جـ٤، ص٤٠- ٤١.
(٣) الهندي: إظهار الحق، تحقيق محمد أحمد عبد القادر خليل، جـ٤، ط١، السعودية (الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد)،١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ص١٠١٤).
- الحسين بن علي: هو الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد في المدينة المنورة سنة ٤هـ / ٦٢٥م، وقد اشتهر بوقاره وحذقه لأصول الفقه وبراعته في الخطابة وثباته على العقيدة والمبدأ، قتل عند كربلاء (وتعرف بالطف) في يوم الجمعة ١٠ محرم عام ٦١هـ / ٦٨٠م وعمره ٥٧ عاما، والنسبة إليه حسيني. (ابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق محب الدين أبي سعيد ابن غرامة العمروي، جـ١٤، بيروت (دار الفكر)، ١٩٩٥م، ص٢٥٧؛ عاتق بن عيث البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط١، مكة المكرمة (دار مكة)، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص٢٦٨).
(٤) ابن خلكان: المصدر السابق، مج٤، ص١٨٢؛ الحميري: المصدر السابق، ص٣٩٦.
(٥) أحسن التقاسيم، ص١١٩.

المستولي على تلك البلاد وقبله لعمران بن شاهين، وقد خربت الآن، وكانت ملجأً لكل خائف ومأوى لكل مطرود"[١]، كما نسب إليها قوم من أهل العلم، سوف نذكرهم لاحقا.

* المَنْصُورَةُ: ذكرها ياقوت بقوله: "المنصورة مدينة كانت بالبطيحة، عمرها –فيما أحسب– مهذب الدولة في أيام بهاء الدولة بن عضد الدولة، وأيام القادر بالله[٢]، وقد خربت ورسومها باقية"[٣].

* الآجام الكبرى: هي آجامُ البَريد، وتعرف اليوم بالبريدية[٤]، وبآجام أغمريثي؛ حيث قال البلاذري: "كان بكسكر قبل حدوث البطائح نهر يقال له الجنب، وكان طريق البريد إلى ميسان ودستميسان وإلى الأهواز في شقه القبلي، فلما تبطحت البطائح سمي ما استأجم من شق طريق البريد آجام البريد، وسمى الشق الآخر آجام أغمريثي؛ ومعنى ذلك الآجام الكبرى"[٥].

* الغَرَّاف: كورة على نهر الغراف، فيها قرى كثيرة، وهي بطائح[٦]، كما ذكرها ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م) بقوله: "بليدة ذات بساتين، آخر البطائح تحت واسط"[٧].

* الجامدَةُ: قرية كبيرة من أعمال واسط[٨]، تقع بين واسط والبصرة[٩]، وهي قاعدة البطائح[١٠]، وقد ذكر المقدسي أنها تلي مدينة الصليق في الكبر، وهما من دجلة على ناحية، وسائر المدن دونهما[١١]؛ ويبدو من ذلك أن كلًّا من الصليق والجامدة واقع غربي دجلة. ومما

(١) معجم البلدان (مادة الصليق)، جـ٣، ص٤٨٠. وسيأتي الحديث المفصل عن مهذب الدولة، وعمران بن شاهين في موضع لاحق من البحث.
(٢) القادر بالله: (٣٨١- ٤٢٢هـ/٩٩١- ١٠٣١م) هو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر، بويع له بالخلافة بعد خلع الطائع، وقد وصف القادر بالله بكثرة البر والصدقات وإدامة التهجد بالليل. (السيوطي: تاريخ الخلفاء، ط١، بيروت (دار ابن حزم)، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٢٤- ٣٢٧).
(٣) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة المنصورة)، جـ٥، ص٢٤٥.
(٤) علي الشرقي: "بعض مدن البطائح القديمة وقراها"، مجلة لغة العرب، السنة الخامسة، جـ٣، ص١٤٣-١٤٥.
(٥) فتوح البلدان، ص٤١١.
(٦) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة الغراف)، جـ٤، ص٢١٦،
(٧) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، القسم ٣، ص١٠٠١.
(٨) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة الجامدة)، جـ٢، ص١١١.
(٩) الحميري: المصدر السابق، ص١٥٣.
(١٠) أبو الفدا: المصدر السابق، ص٤٣.
(١١) أحسن التقاسيم، ص١١٩.

يجدر ذكره في هذا الصدد أن مصطلح "الجواميد" –ومفرده الجامدة– كان يطلق على الأراضي التي جفت وأصبحت صالحة للزراعة[١].

* قرية أُمّ عُبَيْدَةَ: قرية من قرى البطائح، تقع بين واسط والبصرة[٢]، ويبدو أن قرية أم عبيدة كانت عامرة عندما زارها ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)؛ حيث ذكرها في رحلته بقوله: "لما نزلنا مدينة واسط أقامت القافلة ثلاثاً بخارجها للتجارة؛ فسنح لي زيارة قبر الولي أبي العباس أحمد الرفاعي (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م)، وهو بقرية تعرف بأم عبيدة على مسيرة يوم من واسط"[٣].

* طهيثا: هي كلمة آرامية الأصل؛ ومعناها قرية تائهة لوجودها بين الأهوار، وكان لا يوصَل إليها إلا بالسميريات، (وهي الزوارق الدقيقة)، وكانت واقعة –خصوصا– بين الهورين المجاورين لها؛ وهما هور الربة (كمؤنث الرب)، والعمرقة (وزن الحملقة)[٤]، وقد ذكرها ابن رسته بقوله: "وبالقطر تتشعب دجلة ثلاث شعب؛ إحدى هذه الشعب إلى مدينة يقال لها طهيثا، وهى مدينة كبيرة وبها مسجد جامع ... وينصب هذا الماء إذا جاوز هذه المدينة في البطائح والآجام، والشعبتان الأخريان ينصبان إلى البطيحة، ومنها تجنح السفن، ويحمل بعض ما فيها في الزواريق في هاتين الشعبتين"[٥].

* مدينة الطيب: ذكرها ياقوت بقوله: "بليدة بين واسط وخوزستان وأهلها نبط إلى الآن ولغتهم نبطية... المتعارف عندنا أن الطيب من عمارة شيث بن آدم عليه السلام وما زال أهلها على ملة شيث وهو مذهب الصابئة إلى أن جاء الإسلام فأسلموا وكان فيها عجائب من الطلسمات منها ما بطل ومنها ما هو باق إلى الآن؛ فمنها أنه لا يدخلها زنبور إلا مات. وإلى قريب من زماننا ما كان يوجد فيها حية ولا عقرب ولا يدخلها إلى يومنا هذا غراب أبقع ولا

(١) سترك: دائرة المعارف الإسلامية، مادة البطيحة، ص٦٨٤.
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، جـ١٦، ط١، الجيزة (دار هجر)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٥٥٩؛ الزركلي: المرجع السابق، جـ١، ص١٧٤.
(٣) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مج٢، الرباط (سلسلة التراث)، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٩.
(٤) علي الشرقي: "بعض مدن البطائح القديمة وقراها"، مجلة لغة العرب، السنة الخامسة، جـ٣، ص١٤٣-١٤٥.
(٥) الأعلاق النفيسة، مج٧، ص١٨٥.

عقعق... والطيب متوسط بين واسط وخوزستان وبينها وبين كل واحدة منهما ثمانية عشر فرسخا، وقد نسب إليها جماعة من العلماء"[١].

* مدينة القَطْر: ذكرها ياقوت بقوله: "القَطْرّ كأنه من قَطَرَ الماءُ يقطر قَطرا بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره راء: موضع في جوانب البطائح بين البصرة وواسط"[٢]، والقطر جنوب واسط مسافة ٢٢ فرسخا[٣]، كما أن نهر دجلة مصبه في القطر، ويذكر ذلك أيضا سهراب؛ حيث قال: "أول البطيحة القطر وهو زقاق قصب نابت"[٤].

* قرية المُحَمَّدية: هي قرية من قرى البطائح، قريبة من مدينة الصليق[٥].

* باذَوَرْد: هي كلمة فارسية الأصل معناها (ملوى الريح)[٦]، والواقع أنها كانت مدينة كبيرة بين واسط والبصرة، وبها أفواه ثلاثة أنهار؛ أحدها يسمى نهر أبي الأسد، والآخر نهر مرة، والثالث نهر ابن عمر، وكان الطريق إلى البصرة يمر منحدرًا بنهر أبي الأسد إلى دجلة العوراء[٧]، ثم منحدرا كذلك حتى فوهة نهر معقل[٨]، ثم إلى البصرة[٩]، وقد كانت خربة زمن ياقوت[١٠] (القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي).

---

(١) معجم البلدان (مادة الطيب)، جـ٤، ص٦٠.
(٢) معجم البلدان (مادة القطر)، جـ٤، ص٤٢٣.
(٣) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، العراق (دار الرشيد)، ١٩٨١م، ص٨٨.
(٤) عجائب الأقاليم السبعة، ص١٣٥؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ١، ص١٠٥.
(٥) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، جـ٤، ط١، بيروت (دار الغرب الإسلامي)، ١٩٩٣م، ص١٨١٩.
(٦) علي الشرقي: "بعض مدن البطائح القديمة وقراها"، مجلة لغة العرب، السنة الخامسة، جـ٣، ص١٤٣-١٤٥.
(٧) دجلة العوراء: اسم لدجلة البصرة وعلم لها. (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة دجلة)، جـ٢، ص٥٠٣).
(٨) نهر معقل: منسوب إلى معقل بن يسار المزني؛ حيث أمر عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعري أن يحفر نهراً بالبصرة، وأن يجريه على يد معقل بن يسار المزني فنسب إليه، وهو نهر معروف بالبصرة مخرجه من دجلة من تحت بثق شيرين بفرسخين، ويسير غربا، ثم يعطف جنوبا كالقوس حتى يتصل بالبصرة من غربيها وشماليها، ويلتقي عند البصرة مع نهر الأبلة؛ وموضع ملتقاهما يقال له الميناء. (نفس المصدر (مادة نهر)، جـ٥، ص٣٧٣- ٣٧٤).
(٩) ابن رسته: المصدر السابق، مج٧، ص١٨٥.
(١٠) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة باذورد)، جـ١، ص٣٧٨.

* جُرْجِينْ: موضع بالبطائح بين واسط والبصرة، صعب المسلك، وإليه ينسب الهور المتقى سلوكه؛ لعظم الخطر فيه إن هبت أدنى ريح(١).

* غُبَرُ: ذكرها ياقوت بقوله: "موضع في بطيحة كبيرة متصلة بالبطائح"(٢).

* قرية الكوانين: وقد ورد ذكرها سابقا في وصف سهراب للهول الكبير؛ حيث قيل إنها تقع على نهر أبي الأسد، وهو أحد الأنهار المارة بالبطائح(٣).

* الحالة: مدينة ورد ذكرها واقعة على أحد الأنهار المارة بالبطائح(٤).

* حُبيبَةُ: ناحية في طفوف(٥) البطائح، متصلة بالبادية، وتقترب من البصرة(٦).

* الجازرة: ذكرها ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) في ظل حديثه عن صراعات خاضها بعض حكام البطائح داخل بلادهم(٧).

* الجَرَّارَةُ: ناحية من نواحي البطيحة قريبة من البر(٨).

* الحَدَّادِيَّةُ: قرية بالبطائح ذكرها ياقوت: "قرية كبيرة بالبطيحة من أعمال واسط، لها ذكر في الآثار، رأيتها"(٩).

* الذُّنابة: قال عنها ياقوت: "موضع بالبطائح بين واسط والبصرة "(١٠).

---

(١) ابن رسته: المصدر السابق، مج٧، ص٩٥؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة جرجين)، جـ٢، ص١٤٤.
(٢) معجم البلدان (مادة غبر)، جـ٤، ص٢١٠.
(٣) سهراب: المصدر السابق، ١٣٥؛ علي الشرقي: "بعض مدن البطائح القديمة وقراها"، مجلة لغة العرب، السنة الخامسة،جـ٣، ص١٤٣- ١٤٥.
(٤) نفس المصدر.
(٥) الطفُوف: جمع طَفٍّ، وهو ساحل البحر وجانب البر. (ابن منظور: المصدر السابق (مادة طفف)، مج٩، ص٢٢١).
(٦) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة حبيبة)، جـ٢، ص٢٦٢.
(٧) الكامل في التاريخ، مج٨، ص٣٠.
(٨) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة الجرارة)، جـ٢، ص١٣٦.
(٩) نفس المصدر (مادة الحدادية)، جـ٢، ص٢٦٢.
(١٠) نفس المصدر (مادة الذنابة)، جـ٣، ص٨.

* الزُّبَيْدِيّةُ: منزل من منازل البطائح[١].

* شَلامُ: بطيحة بين واسط والبصرة[٢].

* قَيْس: ذكرها ابن حجر العسقلاني بقوله: "وقيس مدينة في البطائح "[٣].

* مدينة هرار: ذكرها المقدسي ضمن مدن البطائح[٤].

* مدينة الهُون: هي مدينة بالبطائح غرقت في الماء[٥].

(١) المقدسي: المصدر السابق، ص٢٧.
(٢) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة شلام)، جـ٣، ص٤٠٥.
(٣) تهذيب التهذيب، جـ٢، مؤسسة الرسالة، ص٦٥.
(٤) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٥٣.
(٥) ابن حجر العسقلاني: تبصير المنتبه، القسم ٤، ص١٤٦٣.
- كما ذكر علي الشرقي مدنا وقري أخرى للبطائح، لكنه ذكرها دون أية تفاصيل، ولم يذكر المصادر والمراجع التي اعتمد عليها؛ ومن هذه المدن: بلاس، جستخان، الحصان، دروفدة، دوقرة، الخيزرانية، زواطا، النازور، الغاضري، الشوكة، الشلوة، العلة، الشاهينية، العمرانية، صريفين، الصباغية. ("بعض مدن البطائح القديمة وقراها"، مجلة لغة العرب، السنة الخامسة، جـ٣، ص١٤٣- ١٤٥).

٤- تلال البطائح:

تتمة لملامح الجغرافيا التاريخية للبطائح، يحسن التطرق إلى عدة تلال هناك؛ منها:

* سِرْطَغان[١]، وطستخان، وعقر الصيد؛ حيث ذكر ابن رسته هذه التلال بقوله: "البطائح يومئذ أرضون تزرع، متصلة بأرض العرب جيرانها... فغلب الماء على ما كان اليوم من الأرضين منخفضا، وما كان منها مرتفعا صار تلالًا؛ فتلك المواضع معروفة اليوم في البطائح تسمى سرطغان وطستخان وعقر الصيد"[٢]، وهناك أيضا تل المقبر، وهو تل كبير بالبطيحة بقرب مدينة الغراف[٣]، كما ذكر ابن خلدون وجود تلال بالبطائح كانت معاقل لبعض حكامها[٤]، دون أن يذكر أسماء أي من تلك التلال.

* كذلك تل علم بالبطائح، حيث ذكره ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) في عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م بقوله "خرج ملك البطائح إلى تل علم فشاهده فكان طوله نحو ثمانمائة ذراع وعرضه نحو اربعمائة ذراع"[٥].

---

(١) سرطغان: "كلمة فارسية الأصل معناها رأس الباز الملكي". (علي الشرقي: "بعض مدن البطائح القديمة وقراها"، مجلة لغة العرب، السنة الخامسة، جـ٣، ص١٤٣- ١٤٥).
(٢) الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٩٥.
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج١٠، ص٣٩٧.
(٤) ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٦٧٧.
(٥) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، جـ١٨، ط١، بيروت (دار الكتب العلمية)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٣١.
- الذراع: مقياس يُقارب في طوله ذِراع الإنسان، ويتراوح بين ٥٥ و٨٠ سم حسب البلد أو الشّيء المقيس. (أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج١، ط١، القاهرة (عالم الكتاب)، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٨٠٨).

٥- أثر الطبيعة الجغرافية للبطائح في الأوضاع السياسية قبل حركة عمران بن شاهين:

أثرت الطبيعة الجغرافية للبطائح في الأحداث السياسية التي شهدتها الخلافة العباسية؛ فقد شكلت البطائح ملجأ آمنًا للمعارضين والمتمردين والخارجين عن القانون؛ وذلك لوعورة طرقها وكثرة المستنقعات والبرك والنباتات المتشابكة فيها؛ حتى لعبت طبيعة أراضي البطائح دورًا خطيرًا على الدوام؛ وخاصة في العصر العباسي؛ حيث قال القزويني (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): "وربما فصل المركب في هذه البطيحة شهرًا أو أكثر، وربما يأخذه اللصوص"[١]، وقد تؤدي هذه الظروف إلى اضطراب الأوضاع الأمنية بها. ومن بعض الأمثلة على ذلك:

أ- ثورة الزُّط (٢٠٥- ٢٢٠هـ/٨٢٠-٨٣٥م):

جاءوا إلى العراق من السند[٢]، ومعهم أهلوهم وأولادهم وجواميسهم، فسكنوا بأسافل كسكر، وغلبوا على البطيحة وتناسلوا بها، حتى تكاثرت أعدادهم مع مرور الأيام، وتزايدت قوتهم عندما انضم إليهم أقوام أُخر، فتشجعوا على التمرد على السلطة، وجسدوا تمردهم بإثارة الاضطرابات، حتى تغلبوا على طريق البصرة، وسيطروا على الطريق المائي المؤدي إلى بغداد، وبدءوا يغِيرون على السفن القادمة إلى هناك، وينهبون غلاتها؛ فانقطع بذلك جميع ما كان يُحمَل إلى بغداد من البصرة في السفن[٣].

وعندما شعر المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ/٨١٣- ٨٣٣م) بخطرهم، رأى ضرورة التخلص منهم؛ فأرسل لهم جيشًا سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م، ثم جيشًا آخر سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م. ولكن يبدو أن أيًّا من الجيشين لم يتمكن من القضاء عليهم؛ بدليل صمت المصادر عن ذكر نتائج هذه الحملات[٤].

---

(١) القزويني: المصدر السابق ص٤٤٦.
(٢) السند: بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان. وقصبة السند: مدينة يقال لها المنصورة، ومن مدنها ديبل، وهي على ضفة بحر الهند، وهي أيضا على ساحل البحر فتحت في أيّام الحجاج بن يوسف، ومذهب أهلها الغالب عليها مذهب أبي حنيفة. (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة السند)، جـ٣، ص٣٠٣.
(٣) البلاذري: المصدر السابق، ص٥٢٢- ٥٢٣؛ فايزة إسماعيل أكبر: "الزط وموقعهم في التاريخ الإسلامي"، مجلة العصور، مج٨، جـ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١٢٧-١٤٢.
(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٥، ص٤٦٧،٤٥٥.

وقد أدى عدم تمكن قواد المأمون من السيطرة على فتنة الزط، إلى أن سخِر منه نصر ابن شبث العقيلي(١) الذي امتنع عن بيعته، وتغلب على كيسوم في شمالي الشام، ومنع إرسال خراج منطقته إلى بغداد، وقد رفض المأمون ذلك، وكتب إليه يهدده بالقضاء عليه وعلى أتباعه، وحين سمع نصر ذلك علق عليه ساخراً: "ويلي عليه وهو لم يقوَ على أربعمائة ضفدع تحت جناحه"؛ يعني الزط(٢).

ويتضح من تعليق نصر بن شبث الطريف أن انتفاضة الزط في عهد المأمون كانت قوية وذائعة، حتى عجز قواده عن هزيمتهم، كما يدل تشبيه الزط بالضفادع على أنهم كانوا يسكنون منطقة المستنقعات المائية بالبطائح جنوبي العراق(٣). ويلاحظ أنه أورد عددًا غير صحيح؛ للإمعان في إظهار ضعف المأمون وعجزه.

وعندما استخلف المعتصم بالله، قرر اتخاذ الإجراءات العسكرية الصارمة؛ للقضاء نهائيًّا على فتنة هذه العناصر الساخطة التي هددت مرافق دولته؛ فجهز جيشًا آخر قويًا، وجعل على قيادته عجيف بن عنبسة عام ٢١٩هـ/٨٣٤م، وبلغ اهتمام المعتصم بهذه الحملة أن رتب المحطات على طريق بغداد – البصرة، وجهزها بالمؤن اللازمة والخيول السريعة؛ فكانت أخبار المعركة تصله وهو بمدينة السلام أولًا بأول في ساعات من النهار أو أوائل الليل(٤).

وقد استخدم عجيف مع الزط أسلوب الشدة والحزم، واتبع تكتيكًا حربيًّا؛ فرتب الخيل في كل سكة من سكك البريد تركض بالأخبار، كما أنه عسكر أسفل واسط بالقرب من نهر بردودا حتى سده، وضيَّق عليهم الخناق، وأخذ يسد عليهم المسالك البرية والنهرية، وحبس مياه الأنهار عنهم كانوا يدخلون ويخرجون منها. وحاصرهم من كل جانب حتى يحملهم على الاستسلام، وقد تزعم الزط رجل يدعى محمد بن عثمان وكان له قائد يدعى سملق، وفي أولى جولات عجيف

---

(١) نصر بن شبث العقيلي: ثائر للعصبية العربية، من بني عقيل بن كعب بن ربيعة، كانت إقامته في "كيسوم" بشمالي حلب. وفي أيامه مات هارون الرشيد، وحدثت الفتنة بين الأمين والمأمون، التي انتهت بقتل الأمين؛ فامتنع نصر عن البيعة للمأمون، وثار في كيسوم، وتغلب على ما جاورها من البلاد، وملك سميساط، واجتمع عليه خلق كثير من الأعراب؛ فقويت نفسه، وحاربه المأمون حتى انتصر عليه سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م. (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج٥، ص٤١٢- ٤١٣، ٤٧٣).

(٢) ابن طيفور: كتاب بغداد، بيروت (دار الجنان) ١٩٠٨م، ص٧٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٥، ص٤٧٣.

(٣) محمود كامل محمد السيد عبد الكافي، وآخرون: "ثورة الزط في العراق ودور العباسيين في إخمادها"، مجلة البحث العلمي في الآداب كلية البنات، جامعة عين شمس، العدد١٤ ،٢٠١٣م، جـ٤، ص٥٤٨- ٥٥٩.

(٤) البلاذري: المصدر السابق، ص٥٢٣؛ الطبري: المصدر السابق، جـ ٣، ص٨.

معهم أسر منهم خمسمائة رجل، وقتل ثلاثمائة، وقد ضرب أعناق الأسرى وبعث برءوسهم إلى المعتصم، وبقي بإزائهم خمسة عشر يومًا؛ فظفر منهم بخلق كثير، وظل يحاصرهم مدة تسعة أشهر حتى أرغمهم على طلب الأمان؛ إذ أدركوا أنه لا مفر لهم من ذلك؛ فأمنهم فخرجوا إليه وكان عددهم سبعة وعشرين ألفًا بين رجل وامرأة وطفل، وقد بلغ عدد مقاتليهم اثني عشر ألفاً[١].

وبعد هزيمة الزط، حملهم القائد عجيف في السفن –وهم على هيئتهم في الحرب ومعهم الأبواق– ودخل بهم بغداد يوم عاشوراء سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٥م، وقد أعطى لكل من أصحابه دينارين جائزة[٢].

ب– ثورة الزنج[٣] (٢٥٥ –٢٧٠هـ/٨٦٩– ٨٨٣م):

تعد ثورة الزنج من أقوى الثورات التي شهدتها الدولة العباسية، وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي؛ حيث طالبوا بتحسين أوضاعهم الاجتماعية؛ إذ إن نظام الزراعة في ذلك الوقت كان يعتمد على الإقطاع وتسخير أفواج من العبيد لإصلاح الأراضي، وزرعها ما داموا يمثلون أرخص أنواع الأيدي العاملة[٤].

وقد أعلن هذه الثورة شخصٌ زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٥]، وفي سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م، انضمت إليه جماعات

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٣، ص٨- ١٠؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٦، ص١٦، ١٨؛ خالد حسن الجبالي: "الزط وأثرهم في تاريخ الدولة العربية الإسلامية (١-٢٩٥هـ/٦٢٢-٩١٥م)"، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، العدد٢٣، ٢٠١٠م، جـ٣، ص١٢٠٥- ١٢٤٩.

(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ٦، ص١٨ .

(٣) الزنج: هم سكان الساحل الشرقي لإفريقيا، الذي عرفه جغرافيو العرب قديمًا بساحل الزنج أو زنجبار، وهي المنطقة التي تمتد من حد الخليج المتشعب من أعلى النيل إلى بلاد سفالة والواق واق (وهي أقاصي بلاد الزنج) ومقدار مسافة مساكن هؤلاء الزنج في الطول والعرض نحو سبعمائة فرسخ من أودية وجبال ورمال. (المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٢، ص٦). ويرجع اتصال العرب بهم إلي ما قبل الإسلام للتجارة حينًا، والاستيطان حينًا آخر؛ حتى ترتب على ذلك أن انتشر الإسلام بين سكان الساحل الشرقي لإفريقيا. (فايزة إسماعيل أكبر: "ثورة الزنج (هل هي ثورة عبيد)"، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد١٤، ١٩٩٥م، ص٢١٩-٢٤٠.

(٤) فيصل السامر: ثورة الزنج، ط٢، دمشق (المدى)، ٢٠٠٠م، ص٢٦، ٥٥.

(٥) قيل عن نسبه إنه من عبد القيس، وأمه ابنة علي بن رحيب بن محمد بن حكيم من بني أسد بن خزيمة من قرى الري، وجده محمد بن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على الخليفة هشام بن عبد الملك مع زيد بن علي بن الحسين، فلما قتل زيد هرب فلحق بالري فجاء إلى قرية ورزنين وأقام بها، وأن أبا أبيه عبد الرحيم رجل من عبد القيس كان مولده بالطالقان وقدم العراق واشترى جارية سندية وأولدها محمدا أباه. (ابن الأثير: المصدر السابق، مج٦، ص٢٠٦).

من الزنج؛ تخلصًا من حالتهم؛ حيث كان أولئك الرقيق يستخدَمون في استصلاح الأراضي، عن طريق كسح السباخ والأملاح المجتمعة(١) في بطائح العراق(٢)، وقد تجلت أحوالهم الاجتماعية السيئة في إقبالهم على الخروج على الدولة إقبالا منقطع النظير؛ حيث بلغ عددهم ٣٠٠ ألف مقاتل(٣). وقد امتلئوا بالحماس حين بذل لهم زعيمهم الوعود بالأيمان الغلاظ، وأخبرهم أنه "ما خرج إلا غضبا لله، ولما رأى عليه الناس من الفساد في الدين"(٤). وأنه كان يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الأحوال(٥). حتى إن علي بن محمد المذكور ادعى أن الله قد أرسله لإنقاذ العبيد مما كانوا يعانونه من بؤس، كما ادعى أيضًا العلم بالغيب، وانتحل النبوة(٦).

واجهت الدولة العباسية مصاعب كثيرة في حرب الزنج؛ وذلك نتيجة لاختيار صاحب الزنج الاحتماء بالمستنقعات والأدغال في جنوب العراق، واتخاذها مكانًا للحرب، وقد كان لهؤلاء الزنج خبرة بالحياة في هذه المناطق أكثر من غيرهم؛ حيث يروي الطبري في ذلك أن الزنج كانوا يجرون المياه على السباخ التي تسلكها الجيوش العباسية؛ كيلا يجدوا إلى سلوكها سبيلًا، وكانوا يحفرون خنادق في مواضع عدة يحولون بها دون تقدم جيوش الخلافة. حتى إن جيش الموفق بالله (أخي الخليفة المعتمد وقائد جيشه)(٧)، اضطر إلى إضاعة كثير من الوقت والجهد في طم وردم الخنادق والأنهار والمواضع الضيقة "كي تصلح فيها مسالك الخيل والرجالة". كما يذكر

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٩، ص٤١٠.
(٢) فيصل السامر: المرجع السابق، ص٢٧.
(٣) ابن كثير: المصدر السابق، جـ١٤، ص٥٧٦.
(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ٩، ص٤١٨- ٤١٩.
(٥) نفس المصدر، جـ ٩، ص٤١٥.
- ومن الممكن أن يستنتج من ذلك أن علي بن محمد لم يقصد إلى هدم العبودية كلية، بل إلى تحرير الزنج المنضمين إليه فحسب لاستمالة أكبر عدد حوله. (فيصل السامر: المرجع السابق، ص٧٢).
(٦) أحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر، ط١، الدمام (مكتبة الملك فهد الوطنية)، ١٩٩٦م، ص٢٠٨.
- ويذكر فيصل السامر في ذلك: "أن جميع الحركات الاجتماعية التي سبقتها وتلتها -طوال العصور الوسطى- اتخذت الدين ستارًا لها يحجب أهدافها الاجتماعية. وثمة حقيقة كبرى في التاريخ الاسلامي الوسيط، هي أن الدين لم ينفصل عن السياسة، بل ظلا يسيران جنبًا إلى جنب. ذلك أن الخليفة كان يجمع في يديه السلطتين الروحية والزمنية. على عكس ما نجد في الغرب إبان العصور الوسطى؛ حيث كانت السلطة الروحية بيد البابا والزمنية بيد الإمبراطور". (ثورة الزنج، ص٦٦-٦٧).
(٧) الموفق بالله: أبو أحمد بن المتوكل على الله بن المعتصم. عقد له أخوه المعتمد ولاية العهد بعد ابنه جعفر، وذلك في عام٢٦١هـ/٨٧٥م. وكان الوفق من أجل الملوك رأيا، وأشجعهم قلبا، وأسمحهم نفسا، كما أنه حارب صاحب الزنج وظفر به وقتله. (الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد، مج٦، ط١، بيروت (دار الغرب الإسلامي)، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٦٣٣-٦٣٤).

الطبري أيضا: "ورأى أبو أحمد لما كان يتعذر عليه من العبور إلى عسكر الفاجر في الأوقات التي تهب فيها الرياح وتحرك فيها الأمواج في دجلة ...، وأمر بقطع النخل وإصلاح موضع الخندق، وأن يحف بالخنادق، ويحصن بالسور ليأمن"(١).

واستمرت المعارك بين جيوش الخلافة وجيش الزنج لسنوات عديدة، والحرب سجال بين الطرفين، حتى تمكن الموفق في عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م من قتل صاحب الزنج، وإنهاء هذه الفتنة التي استمرت أربعة عشر عامًا (من ٢٥٥ – ٢٧٠هـ / ٨٦٩ – ٨٨٣م)(٢)، أكلت الأخضر واليابس، وأنهكت دولة الخلافة، وسببت وقف النشاط التجاري؛ بسبب تدمير طرق التجارة، والخوف الذي كان يعم تلك المناطق من كثرة ما قامت به هذه الثورة من الحرق والخراب والسبي، كما قتل من المسلمين عدد كبير بلغ مليون ونصف المليون مسلم على أقل تقدير. وقد أدت هذه الفتنة إلى وقوع وباء شديد وانتشار الأمراض(٣).

(١) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٩، ص٦٢٣،٦١٥.
(٢) نفس المصدر، جـ٩، ص٤١٠، ٦٦٠.
(٣) السيوطي: المصدر السابق، ص٢٨٩؛ أحمد معمور العسيري: المرجع السابق، ص٢٠٨.

الفصل الأول

الحياة السياسية في البطائح خلال عصري البويهيين والسلاجقة

أولًا: العوامل التي ساعدت عمران بن شاهين على إقامة إمارة بالبطائح

١- ضعف الخلافة العباسية.

٢- الطبيعة الجغرافية لأرض البطائح.

٣- الظروف الاقتصادية والاجتماعية لأهل البطائح.

٤- طبيعة شخصية عمران بن شاهين مؤسس الإمارة الشاهينية.

ثانيًا: البطائح في ظل سيطرة البويهيين على الخلافة (ظهور الدولة واتساعها)

١- عمران بن شاهين (٣٢٩- ٣٦٩هـ/٩٤٠- ٩٧٩م).

٢- ولاية الحسن بن عمران على البطائح (٣٦٩- ٣٧٢هـ/٩٧٩م- ٩٨٢م).

٣- مقتل الحسن بن عمران وولاية أخيه أبي الفرج محمد (٣٧٢هـ/٩٨٢م).

٤- قتل أبي الفرج محمد بن عمران وتولية أبي المعالي بن الحسن بن عمران البطائح (٣٧٣هـ/٩٨٣م).

٥- انفراد المظفر بن على (الحاجب) بالبطائح (٣٧٣- ٣٧٦هـ/٩٨٣- ٩٨٦م).

٦- ولاية مهذب الدولة (الأول) للبطائح (٣٧٦- ٣٩٤هـ/٩٨٦- ١٠٠٣م).

٧- استيلاء أبي العباس بن واصل على البطائح (٣٩٤- ٣٩٥هـ/١٠٠٣- ١٠٠٤م).

٨- ولاية مهذب الدولة (الأول) للبطائح (للمرة الثانية) (٣٩٥- ٤٠٨هـ/١٠٠٤-١٠١٧م).

٩- ولاية أبي عبد الله بن يني، (ابن أخت مهذب الدولة الأول) (٤٠٨هـ/١٠١٧م).

١٠- ولاية الحسين بن بكر الشرابي البطائح (٤٠٨- ٤١٠هـ/١٠١٧- ١٠١٩م).

١١- ولاية صدقة بن فارس المازياري البطائح (٤١٠-٤١٢هـ/١٠١٩- ١٠٢١م).

١٢- ولاية سابور بن المرزبان بن مروان البطائح (٤١٢- ٤١٨هـ/١٠٢١- ١٠٢٩م).

١٣- ولاية أبي نصر شيرزاد بن الحسن بن مروان (٤١٨هـ/١٠٢٧م).

١٤- عصيان أهالي البطائح وثورتهم على أبي محمد بن بابشاذ وزير أبي كاليجار، وولاية الشرابي الثانية (٤١٨هـ/١٠٢٧م).

١٥- ولاية ابن المعبراني للبطائح (٤١٨- ٤٣٣هـ/١٠٢٧- ١٠٤٢م).

١٦- ولاية أبي نصر بن الهيثم وحرب أبي كاليجار له (٤٣٣- ٤٣٩هـ/١٠٤٢-١٠٤٧م).

ثالثًا: البطائح في ظل سيطرة السلاجقة على الخلافة (ضعف الدولة وانهيارها)

أ- حكم آل أبي الجبر للبطائح.

١- ولاية أبي علي محمد بن أبي الجبر (المختص) (٤٥٠- ٤٦٨هـ/١٠٥٨-١٠٧٥م).

٢- ولاية أحمد بن محمد بن أبي الجبر (مهذب الدولة الثاني) (٤٦٨-٥٠١هـ/١٠٧٥-١١٠٧م).

٣- ولاية نصر بن النفيس بن مهذب الدولة (٥٠١- ٥١٦هـ/١١٠٧- ١١٢٢م).

٤- ولاية المظفر بن حماد (٥١٦- ٥٥١هـ/١١٢٢- ١١٥٦م).

٥- ولاية بدر الدين بن المظفر بن حماد بن أبي الجبر (٥٥١هـ/١١٥٦م).

ب- ولاية بني معروف (٥٥٨- ٦١٦هـ/١١٦٣- ١٢١٩م).

أولًا: العوامل التي ساعدت عمران بن شاهين على إقامة إمارة بالبطائح:

نشأت إمارة البطائح على يد عمران بن شاهين؛ نتيجة عوامل سياسية وجغرافية، بجانب طبيعة شخصية عمران نفسه؛ حيث أصبحت البطائح –انطلاقًا من كونها ملجأ للفارين من السلطات– مركزًا مهمًا يمثل النزعة المحلية العراقية التي تحتمي بقوة الطبيعة، وقدرتها على فرض متغيرات تاريخية مخصوصة. وتتمثل هذه العوامل فيما يأتي:

١- ضعف الخلافة العباسية:

ضعفت الخلافة العباسية في عصرها الثاني، وكان من مظاهر هذا الضعف:

أ- سيطرة القادة الأتراك:

غلب الضعف على الخلافة العباسية منذ النصف الثاني من القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجريين (النصف الثاني من القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الميلاديين)، وهى الحقبة المعروفة تاريخيا بعصر نفوذ الأتراك[(١)]؛ إذ سيطر القادة الأتراك على أداة الحكم بعد مقتل المتوكل (٢٤٧هـ/٨٦١م)[(٢)]، فاستضعفوا الخلفاء وأرهقوهم بطلب المال، واعتدوا على أشخاصهم؛ ومن ثم فقد تدهورت الأحوال السياسية والاقتصادية في العراق؛ بسبب تنافس وتنازع الأمراء الأتراك على السلطة، وعجزهم عن دفع رواتب الجند وحفظ الأمن في البلاد[(٣)].

ب- ظهور نظام إمرة الأمراء:

حاولت الدولة العباسية أن تنهض من كبوتها أمام ذلك بتنصيب رجل قوي يجمع في يده جميع السلطات المدنية والعسكرية، ويكون أعلى رتبة من الوزير يسمى أمير الأمراء. وقد وقع

---

(١) نادية حسني صقر: مطلع العصر العباسي الثاني، ط١، جدة (دار الشروق)، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٤٧.
(٢) الخليفة المتوكل (٢٣٢- ٢٤٧هـ/٨٤٧- ٨٦١م): أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون هارون بن المهدي بن المنصور القرشي العباسي البغدادي، بويع عند موت أخيه الواثق في سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ١٢، ص٣٠-٣١).
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٦، ص١٣٦- ١٣٩؛ إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ط١، بيروت (دار الكتاب العالمي)، ١٩٨٩م، ص١٥٢-١٥٣؛ حسن أحمد محمود، وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط٥، القاهرة (دار الفكر العربي)، ص٣٢٩.

اختيار الخليفة الراضي(١) سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م على أبي بكر محمد بن رائق الخزري، وبناء عليه انتقل ابن رائق إلى بغداد وتسلم منصبه الجديد في السنة نفسها، وأسند الخليفة إليه مهام هذا المنصب من تدبير أعمال الخراج وأرزاق الجند ببغداد، والإشراف على الدواوين. كما قلده إمارة الجيش، ولقبة بـ "أمير الأمراء"، ثم أمر بأن يخطب له على جميع المنابر(٢). غير أن هذه التدابير البائسة لم تثمر غير المزيد من الفوضى، وفي غضون عشرة أعوام (من ٣٢٤ إلى ٣٣٤هـ/٩٣٦هـ إلى ٩٤٥م) تصارع على هذا المنصب ستة من القادة العسكرين(٣)، وعندما مات الخليفة الراضي خلفه أخوه المتقي (٣٢٩هـ- ٣٣٣هـ/٩٤٤- ٩٤٠م)(٤)، إلا أنه خلع وسملت عيناه عندما حاول التدخل في أمور أمير الأمراء(٥).

---

(١) الخليفة الراضي بالله: محمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل الهاشمي العباسي. استخلف بعد عمه القاهر عندما سملت عيناه سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م. وقيل عنه إن له فضائل؛ منها أنه آخر خليفة خطب يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الندماء، وآخر خليفة له شعر مدون، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش. توفي في سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م (الذهبي: المصدر السابق، جـ١٥، ص١٠٣- ١٠٤).

(٢) مسكويه: تجارب الأمم، جـ١، القاهرة (دار الكتاب الإسلامي)، ص٣٥١؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج ٧، ص١٢٣؛ صلاح خليل إبراهيم سلام: "إمارة عمران بن شاهين بالبطائح (٣٣٠-٣٧٦هـ/٩٤١-٩٨٦م)"، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد ٣٧، ٢٠١٤م، جـ٢، ص٧٩١- ٨٥٤.

(٣) تولى **محمد بن رائق** منصب أمير الأمراء، غير أن نفوذ ابن رائق ضعف سنة ٣٢٦هـ/٩٣٨م؛ نتيجة لمنافسة الأمراء الأتراك له، وقد حاربه أبو عبد الله البريدي، وخرج عليه بجكم وهو أحد قادته سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م، واستولى على بغداد، وآلت إليه إمرة الأمراء، وهرب ابن رائق للشام؛ فحكم **بجكم** مدة ثلاث سنوات سادت فيها الفوضى، ثم قتل بجكم على يد جماعة من الأكراد كان قد نهب أموالهم، ومات الخليفة الراضي سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م فتشاور أهل الحل والعقد، وولوا الخلافة إبراهيم بن المعتضد ولقب بالمتقي بالله، فولى المتقى إمرة الأمراء **كورنكيج**، ثم عاد **ابن رائق** إلى بغداد مرة أخرى وحارب كورنكيج وهزمه فقلده المتقى إمرة الأمراء للمرة الثانية، ثم طمع **الحسن بن حمدان** في إمرة الأمراء فقام باغتيال ابن رائق، ثم انحدر مع المتقى إلى بغداد لقتل البريديين وطردهم من بغداد فلقبه المتقى ناصر الدولة وولاه إمرة الأمراء، ويبدو أن ناصر الدولة الحمدانى أحس بكراهية البغداديين له، فغادر بغداد بعد عام واحد وعاد إلى الموصل. كما ظهر على المسرح السياسي **توزون** وهو قائد عسكري برز في تلك الأحداث فولاه الخليفة المتقي إمرة الأمراء، وكان توزون أقوى الأمراء الذين تولوا هذا المنصب في العصر العباسي الثانى فاستولى على الحكم من منافسيه الحمدانيين والبريديين، وتقرب إلى الخليفة للإيقاع به خوفا من تقربه للإخشيديين حكام مصر، وأجبر الخليفة على خلع نفسه، فسملت عيناه سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م، ثم سجن، واختار توزون عبد الله بن المكتفي خليفة ولقب بالمستكفي بالله وقد استبد توزون بالحكم حتى توفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، ثم خلفه كاتبه **أبو جعفر بن شيرزاد**، وبقي في منصب أمير الأمراء حتى استولى معز الدولة بن بويه على بغداد، وألغي هذا المنصب. ويوضح كل هذا مقدار الاضطرابات التي مرت بها الخلافة. (مسكويه: المصدر السابق، جـ١، ص٥١، ٣٧٥- ٣٩٦، جـ٢، ص٢، ٩ - ٣٠، ٣٩-٤٤، ٨٢؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص١٢٣، ١٢٩، ١٣٨، ١٤٣- ١٥٢، ١٥٤- ١٥٨، ١٦٢، ١٧٢-١٨٧، ٢٠٥).

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٥، ١٠٤- ١١١.

(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص١٥٢، ١٨٦.

ج- انتشار ظاهرة الاستقلال السياسي:

بسبب ضعف الخلافة، فشت ظاهرة الاستقلال السياسي في سائر الولايات التي كانت تابعة لها؛ حيث "لم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها"(١)، وقد لعب هذا النظام دورًا في تهيئة الدولة العباسية للوقوع في يد السلطة البويهية(٢).

ففي عهد الخليفة العباسي المستكفي بالله(٣)، تقدمت القوات البويهية بقيادة معز الدولة(٤) سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، نحو العراق؛ بهدف الاستيلاء على بغداد وإنشاء إمارة وراثية. وقد قبض معز الدولة على الخليفة المستكفي بالله وقام بخلعه، وأجلس المطيع (٣٣٤- ٣٦٣هـ/٩٤٥-٩٧٤م) على عرش الخلافة، بل إنه جرد الخليفة المطيع أيضًا من مخصصاته، وعيَّن له كاتباً يدير أعماله، وخصص له راتبًا قدره ألف درهم يوميًّا، وفوق ذلك فإنه أزال أكثر رسوم وتقاليد الخلافة والوزارة، حتى صار الخليفة مغلوبًا على أمره، ولم يبق بيده شيء عدا ذكر اسمه في

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص١٢٣؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ط١، مصر (المطبعة الحسينية)، ص٨٤.

Bowen H., The Life and the Times of Ali Ibn Isa, The Good Vizir, Cambridge, 1928, pp. 3-6.

(٢) الدولة البويهية: انحدر بنو بويه الديلميون الشيعة من أسرة ذات تاريخ غامض، حتى جاء مطلع القرن الرابع الهجري، حين التحق بالجندية أبناء أبي شجاع بويه الثلاثة: علي والحسن وأحمد، واقتربوا من بعض الأمراء بفارس وما حولها، وترقوا وخاضوا بعض الصراعات حتى تمكنوا من السيطرة على بلاد فارس والكرج فيما بين عامي ٣٢٠- ٣٢٣هـ/٩٣٢- ٩٣٥م، حينئذ اعترف الخليفة الراضي بحكم علي بن بويه لتلك المنطقة، وفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م سيطر البويهيون على بغداد زمن الخليفة المستكفي، الذي منحهم الألقاب: عز الدولة لأبي الحسن أحمد، وعماد الدولة لأبي الحسن علي، وركن الدولة لأبي علي الحسن، وقد استمرت دولتهم إلى أن بدأت في الضعف إبان القرن الخامس الهجري، ثم فقدت بغداد لصالح السلاجقة سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. (حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي في العصر العباسي الثاني، جـ٣، ط١٤، بيروت (دار الجيل)،١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٤٣، وما بعدها).

(٣) المستكفي بالله (٣٣٣ ـ ٣٣٤هـ/٩٤٤- ٩٤٥م) عبد الله بن المكتفي بن المعتضد، أبو القاسم، بويع له بعد خلع المتقي لله وعمره ٤١ سنة ولقب نفسه "إمام الحق" فكان يخطب له بلقبين "إمام الحق المستكفي بالله"، ولم تطل مدته غير سنة وأربعة أشهر. وكان ضعيفا، دخل "آل بويه" بغداد في أيامه، واستولى معز الدولة بن بويه على الأمور، وكان واليا على الأهواز في أيام المتقي، وضربت على النقود ألقاب ثلاثة منهم وكناهم؛ وهم: معز الدولة وعماد الدولة، وركن الدولة، أبناء بويه. وبعث إليه معز الدولة اثنين من الديلم جذباه عن السرير وجعلا عمامته في رقبته، وقاداه إلى منزل معز الدولة؛ حيث سمل وعمي وسجن إلى أن مات. وكان خلعه سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م. (السيوطي: المصدر السابق، ص٣١٥).

(٤) معز الدولة: أحمد بن بوية، استولى على الأهواز عندما استنجد أبو عبد الله البريدي بالبويهيين في حربه ضد ابن رائق، فأمر علي ابن بوية أخاه أحمد بالتوجه إليه لمعاونته. ثم دخل بغداد فولاة الخليفة المستكفي منصب إمرة الأمراء، وذلك سنة ٣٣٤ هـ/٩٤٥م، وخلع عليه ولقبه معز الدولة. (ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، مج١، بيروت (دار صادر)، ص١٧٤- ١٧٥).

خطبة الجمعة ونقشه على السكة، كما أصبح يرافق الأمير البويهي في حملاته العسكرية، في حين صار الأمير البويهي هو الذي يقرر شئون الدولة السياسية والاقتصادية والعسكرية[١].

٢ - الطبيعة الجغرافية لأرض البطائح:

لعبت الطبيعة الجغرافية لأرض البطائح دورًا خطيرًا على الدوام؛ حيث كانت دائمًا مخبأ للصوص وقطاع الطرق والثائرين؛ ومن ثم فقد ساعدت هذه الطبيعة عمران بن شاهين على الاستقلال بالبطائح عن الخلافة وتكوين إمارته. وتتمثل الخصوصية الجغرافية للبطائح في عدة أمور:

أ- تبايُن منسوب مياهها بين القلة والكثرة[٢]، حتى إن الملاحة النهرية بها تواجه صعوبة كبيرة؛ وكما سبقت الإشارة فقد قال القزويني: "وربما فصل المركب في هذه البطيحة شهرًا أو أكثر، وربما يأخذه اللصوص"[٣]، وقال ياقوت الحموي أيضًا عن أهلها: "تحصنوا بالمياه والسفن، وجارت تلك الأرض عن طاعة السلطان، وصارت تلك المياه لهم كالمعاقل"[٤].

ب- وفرة القصب، ولا نستبعد الدور الكبير لغابات القصب بالبطائح[٥]، وذلك لمَنْ استجار بها لاجئًا فأجارته[٦].

جـ- وجود المرتفعات والتلال التي لا يصل إليها الماء بالبطائح[٧]؛ فهي كالمعاقل المنيعة التي من الممكن أن يحتمي بها الفارون من السلطة[٨].

د- البطائح بؤرة للأمراض والأوبئة؛ حيث يقول المقدسي في وصفها: "نعوذ بالله منها ومن شاهدها في الصيف رأى العجب، إنما ينامون في الكلل وثم بق له حمة كالإبرة"[٩].

---

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٨٦ -٨٧ ؛ حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، جـ٣، ص٤٩-٥١.
(٢) سهراب: المصدر السابق، ص١٣٥؛ الإدريسي: المصدر السابق، مج١، ص٣٨٥.
(٣) آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٤٦.
(٤) معجم البلدان، جـ١، ص٥٣٤.
(٥) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ٤، ص٨٤ .
(٦) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١١٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٣٠؛ أبو الفدا: المصدر المصدر السابق، جـ٢، ص١٢١.
(٧) ابن رسته: المصدر السابق، ص٩٥.
(٨) ابن الأثير: المصدر السابق، مج ٧، ص٢٣٠.
(٩) أحسن التقاسيم، ص١٢٥.

وعليه فإنه من الطبيعي أن منطقة تتصف بهذه الصفات الجغرافية تصلح لأن تكون ملاذًا يلوذ به أصحاب المصالح والعصاة والمتمردون، فيستغلون ظروفها الطبيعية لصالحهم؛ إذ هي تساعد على حرب العصابات والكر والفر، في حين تصعب حركة الجيوش النظامية؛ مما يسهل الدفاع عنها، ويعين حركات المتمردين والعصاة على الصمود بها.

٣ - الظروف الاقتصادية والاجتماعية لأهل البطائح:

علاوة على الطبيعة الجغرافية للبطائح المعاوِنة على حرب العصابات والكر والفر، فقد كانت مجمعًا للمتمردين على الدولة، واللصوص وقطاع الطرق عبر التاريخ كما سبقت الإشارة. فبالرغم من تباين واختلاف عناصر السكان بالبطائح من النبط والفرس والعرب والزط والزنج والترك واختلاف مذاهبهم ودياناتهم، كما سيظهر لاحقًا، إلا أن البطائح تعد بيئة صالحة لتكاتف بعض هذه العناصر المختلفة، التي قامت بأعمال اللصوصية وقطع طريق عابري السبيل والتجار ممن كانوا يجتازون طرق البطائح، إلى جانب استقلالهم عن السلطة ببغداد. ويتضح لنا هذا من خلال ثورتي الزط والزنج. كما سبقت الإشارة في ذلك، ثم حركة عمران بن شاهين أيضًا كما سيتضح لنا.

ويستوقفنا هنا أهل البطائح أنفسهم بوصفهم عنصرًا مشاركًا في تلك الظاهرة؛ فعندما يلتجئ إليهم من يقومون بأعمال اللصوصية وقطع الطريق، ومعارضة الدولة يجد ضالته هناك. وربما يرجع هذا إلى عدة أسباب:

فبالنسبة لثورة للزط يستوقفنا هنا أمران؛ الأمر الأول سوء وضعهم الاقتصادي والاجتماعي؛ حيث يشير البلاذري إلى حالهم في بداية سكناهم البطائح بقوله: "وإنما كانت غايتهم قبل ذلك أن يسألوا الشيء الطفيف ويصيبوا غرة من أهل السفينة فيتناولوا منها ما أمكنهم اختلاسه". ويشير إلى حالهم بعدما انضمت إليهم أقوام أخر من العبيد وموالي عرب قبيلة باهلة بقوله: "فشجعوهم على قطع الطريق ومبارزة السلطان بالمعصية... وكان الناس في بعض أيام المأمون قد تحاموا الاجتياز بهم وانقطع عن بغداد جميع ما كان يحمل إليها من البصرة في

السفن"[١]. أما الأمر الثاني فهو كثرة أعدادهم التي تعجز البطائح معها عن الوفاء باحتياجاتهم؛ حيث يقول البلاذري: "فغلبوا على البطيحة وتناسلوا بها"[٢].

أما بالنسبة لثورة الزنج، فيستوقفنا هنا أيضًا تردي الوضع الاقتصادي والاجتماعي لسكان البطائح ممن شاركوا في تلك الثورة، وهم أقوام من العبيد الزنوج الذين كانوا يعملون بالسباخ وإزالة الطبقة المحلية[٣]، كما كانت حالتهم –خاصة الاجتماعية– سيئة إلى أقصى الحدود[٤]. كما انضم إليهم أيضًا بعض القبائل العربية؛ مثل قبيلة باهلة. ويشير الطبري إلى دور قبيلة باهلة في هذه الانتفاضة ومساندتهم لها؛ إذ إن علي بن محمد استخدمهم بوصفهم أدلاء ومرشدين لمعرفتهم بطرق البطائح ومسالكها؛ حيث غلبوا على البطائح وقاموا بقطع الطريق[٥]. وقد قيل عن هذه القبيلة إنها **مرذولة** عند العرب[٦].

أما بالنسبة إلى حركة عمران بن شاهين التي بدأت قبيل دخول البويهيين بغداد (سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م): فيذكر مسكويه أن عمران جنى جنايات وهرب إلى البطائح[٧]. أما ابن الأثير فيشير إلى أنه كان موظفًا بالدولة فجبى جبايات؛ وربما حصل منها على أموال كثيرة اغتصبها، وأنفقها لحسابه، ثم هرب على أثر ذلك إلى تلال البطائح[٨]. أما الذهبي فيرجع هذا الهروب إلى أن عمران بن شاهين" كان عليه دماء"[٩]. ومهما كانت جنايته، فإن ما يستوقفنا هنا أهل البطائح

(١) فتوح البلدان، ص٥٢٣.
(٢) نفس المصدر.
(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٩، ص٤١٠.
(٤) فيصل السامري: المرجع السابق، ص ٣٤.
(٥) الطبري: المصدر السابق، جـ٩، ص٤٨٩، ٥٢١، ٥٢٣
(٦) قبيلة باهلة: يذكر ابن خلكان "وكانت العرب تستنكف من الانتساب إلى هذه القبيلة حتى قال الشاعر: وما ينفع الأصل من هاشم ... إذا كانت النفس من باهله، وقال الآخر: ولو قيل للكلب يا باهلي ... عوى الكلب من لؤم هذا النسب. وقيل لأبي عبيدة: يقال إن الأصمعي دعي في نسبه إلى باهلة، فقال: هذا ما يمكن، فقيل: ولِمَ؟ فقال: لأن الناس إذا كانوا من باهلة تبرأوا منها، فكيف يجيء من ليس منها وينتسب إليها. ورأيت في بعض المجاميع أن الأشعث بن قيس الكندي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتتكافأ دماؤنا فقال: نعم، ولو قتلت رجلا من باهلة لقتلتك به. وقال قتيبة بن مسلم لهبيرة بن مسروح: أي رجل أنت لو كان أخوالك من غير سلول فلو بادلت بهم، فقال: أصلح الله الأمير، بادل بهم من شئت من العرب وجنبني باهلة. ويحكى أن أعرابيا لقي شخصًا في الطريق فسأله: ممن أنت؟ فقال: من باهلة، فرثى له الأعرابي، فقال ذلك الشخص: وأزيدك أني لست من صميمهم، ولكن من مواليهم، فأقبل الأعرابي عليه يقبل يديه ورجليه، فقال له: ولِمَ ذاك؟ فقال: لأن الله تبارك وتعالى ما ابتلاك بهذه الرزية في الدنيا إلا ويعوضك الجنة في الآخرة. وقيل لبعضهم: أيسرك أن تدخل الجنة وأنت باهلي فقال: نعم، بشرط ألا يعلم أهل الجنة أني باهلي، والأخبار في ذلك كثيرة". (وفيات الأعيان، مج٤، ص٩٠٩١؛ ابن كثير: المصدر السابق، جـ ١٢، ص٦١٩).
(٧) تجارب الأمم، جـ ٢، ص١١٩؛ أبو الفدا: المصدر السابق، جـ ٢، ص١٢١
(٨) الكامل في التاريخ، مج ٧، ص٢٣٠؛ الزركلي: المرجع السابق، مج٥، ص٧٠.
(٩) سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص٢٦٧.

البطائح وسهوله استعدادهم للتمرد والعصيان على الدولة؛ حيث تشير المصادر إلى أن عمران من أهل البطائح من الجامدة، وقد كان ابتداء حاله -بعد أن هرب- أنه أقام بين القصب والآجام، واقتصر على ما يصيده من السمك وطيور الماء قوتاً، ثم صار يقطع الطريق على من يسلك البطائح، واستطاع أن يجمع جماعة من سكان البطائح من صيادي السمك وقطاع الطرق وغيرهم ممن اتخذ البطائح ملجأ وملاذًا حتى كثر أصحابه، واستعد بالسلاح، واتخذ معاقل على التلول التي بالمنطقة؛ فقوي أمره وأفاد من هذه الظروف كلها؛ للتغلب على البطائح(١).

وعندما توجس عمران بن شاهين خيفة من القبض عليه، استأمن أبا القاسم البريدي(٢)، فأمَّنه وقلده الجامدة وبعض نواحي البطائح ليقوم بحمايتها، حتى قوى أمره أكثر فسعى إلى توسيع نفوذه(٣).

وقد كانت طرق جباية الأموال وتحصيلها تجري في تلك الحقبة بطرق تعسفية غالبًا؛ إذ كان لا يهم الجباة غير جمع الأموال والحفاظ عليها بعد اقتطاع حصة الخلافة منها، وما كانوا يقدمونه للوزراء في صورة هدايا لكسب مودتهم. وكثيرا ما كان بعض جباة الخراج يمتنعون عن أداء الأموال المقررة عليهم ويهربون بها لإنفاقها على أتباعهم وأنصارهم، مكونين بذلك جيشًا يحاربون به جيوش الخلافة؛ ومن ثم يستقلون عنها بمناطق يحكمونها، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ كالبريديين مثلاً(٤)؛ وهو ما يفسر لنا مساعدة أبي القاسم البريدي لعمران.

كما ترجع أسباب قيام الثورات الاجتماعية في العصر العباسي إلى انكماش النشاط الاقتصادي وزيادة الجبايات والمكوس(٥). ويرى أحد الباحثين أن عمران استهدف النظام المالي نتيجة الشطط في فرض الضرائب، فامتنع عن أداء الأموال المفروضة على البطائح وأنفقها على

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١١٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٣٠؛ أبو الفدا: المصدر المصدر السابق، جـ٢، ص١٢١.
(٢) أبو القاسم البريدي: استأمن إلى معز الدولة البويهي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م فأمنه وضمن له واسط والبصرة، ثم حدث خلاف بينهما سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م، فامتنع أبو القاسم عن تسليم المال المقرر إرساله إلى بغداد فجهز معز الدولة جيشا لطرده من البصرة التي سقطت في يد معز الدولة عام ٣٣٦هـ/٩٤٧م، فولى عليها وزيره أبا محمد الحسن بن محمد المهلبي سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م. (علي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ البصرة، تحقيق عزة رفعت، بورسعيد (مكتبة الثقافة الدينية)، ص١٠٧- ١٠٨).
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٣٠؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٣، ص٥٢٥.
(٤) عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٣، بيروت (مركز دراسات الوحدة العربية)، ١٩٩٥م، ص ٢٢٩.
(٥) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ط٤،القاهرة (ابن سينا)، ٢٠٠٠م، ج١، ص١٥٦.

أنصاره مكونًا جيشًا مكنه من الاستقلال، حتى تعاظمت قوته وتحصن بالبطائح، واستعد بالسلاح واتخذ معاقل التلال، بالإضافة إلى الإغارات المستمرة على كبار التجار ونهب أموالهم وبضائعهم؛ مما هدد أمن الطرق البرية والنهرية في جنوبي العراق(١).

وربما كان مجتمع البطائح هنا مرآة لمجتمع بغداد الذي تكون من أمم وشعوب مختلفة، وبالرغم من أن هذه الشعوب انضوت جميعها تحت لواء الإسلام، إلا أنها عانت انعدام العدالة الاجتماعية في بعض الأحيان؛ نتيجة لتصرفات السلطة الحاكمة، مع انعدام القيم الأخلاقية؛ إذ أصبح الأثر الديني في ذلك العصر أضعف من أن يبلغ الضمائر، ومن أن يتغلغل في أعماق النفوس، وأصبح حب المال داءً متفشيًّا، وغدت طائفة غير قليلة من الناس لا تبالي بالوسيلة التي جلبت بها المال بقدر ما تبالي بالمال في حد ذاته(٢). وقد أشار الصابئ لذلك في حديثه عن ابن الفرات(٣) ورجاله المكلفين بمصادرة الأموال؛ إذ يقول ابن الفرات: "أريد رجلاً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر يطيعني حق الطاعة فأُنفذه في مهم لي، فإذا بلغ فيه ما أرسمه له أحسنت إليه إحساناً يظهر عليه وأغنيته"(٤).

ويستوقفنا هنا أيضًا أنه كان بالإمكان إعادة استخدام الموظف ثانية في الخدمة دون أن تمس تلك المصادرة بشرفه الوظيفي، فقد تعرض وزراء عدة مثل ابن الفرات وعلي بن عيسى آل الجراح للمصادرة. ثم أعيد تعيينهم وزراء في فترة لاحقة(٥).

(١) صلاح خليل إبراهيم: "إمارة عمران بن شاهين بالبطائح (٣٣٠- ٣٧٦هـ/٩٤١- ٩٨٦م)"، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد ٣٧، ٢٠١٤م، جـ٢، ص٧٩١-٨٥٤.

(٢) صلاح خليل إبراهيم سلام: "إمارة عمران بن شاهين بالبطائح (٣٣٠-٣٧٦هـ/٩٤١-٩٨٦م)"، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد ٣٧، ٢٠١٤م، جـ٢، ص٧٩١- ٨٥٤.

(٣) ابن الفرات: أبو الحسن علي بن أبي جعفر محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات العاقولي، كان وزيرا للخليفة المقتدر بالله وزر له ثلاث دفعات. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٧٤-٤٧٥).

(٤) هلال الصابئ: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، بيروت (الآباء اليسوعيين)، ص١٢١.

(٥) مسكويه: المصدر السابق، جـ١، ص٢٥-٢٦. كما يقول ابن الجوزي: "استوزر المقتدر جماعة؛ منهم أبو أحمد العباس بن الحسن بقى فى وزارته أربعة أشهر وسبعة أيام وقتل وأبو الحسن على بن محمد بن الفرات بقى ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما، ثم قبض عليه وحبس، ثم أعيد إلى الوزارة فبقي سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر يوما، ثم قبض عليه، ثم أعيد دفعه ثالثة فبقى عشرة أشهر وثمانية عشر يوما، ثم قبض عليه وقتل واستوزر بعد مديدة أبو على محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان بقى سنة وشهرا وخمسة أيام وقبض عليه، وبعده أبو الحسن على بن عيسى بن داود بن الجراح بقي ثلاث سنين وعشرة أشهر وثمانية عشر يوما وقبض عليه ثم أعيد فبقى سنة وأربعة أشهر ويومين، وقبض عليه، وبعده أبو محمد حامد بن العباس بقى أربع سنين وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما ثم قبض عليه وقتل، وبعده أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان بقى سنة وستة أشهر ويومين، ثم قبض عليه وبعده أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن أحمد الخصيب بقى سنة وشهرين وقبض عليه، وبعده أبو على محمد بن على بن مقلة بقى سنتين

٤ – طبيعة شخصية عمران بن شاهين مؤسس الإمارة الشاهينية:

أغفلت المصادر المتوافرة لدينا ذكر حياة عمران بن شاهين ونسبه بشيء من التفصيل قبل أن يظهر في البطائح. وكل ما ذكر عنه أنه نشأ في سواد العراق وبالتحديد في مدينة الجامدة(١). أما في ما يخص نسبه، فقد قال التنوخي الذي لجأ إلى عمران والتقى به إنه ينتسب إلى بني سليم، حيث قال: "كنت قد لجأت إلى البطيحة، هاربا من نكبة لحقتني، واعتصمت بأميرها معين الدولة أبي الحسن عمران بن شاهين السلمي"(٢).

في حين ذكر ابن حزم الأندلسي أن عمران كان نبطياً يدعي أنه عربي سُلَميّ. وربما يرجع رأي ابن حزم إلى موقفه السلبي من عمران؛ حيث ذكره بقوله: "وكان لعنه الله رافضيًّا غاليًا، ولي البطائح ... اثنتين وأربعين سنة، وعطلت المساجد في أيامه لشدة كفره"(٣).

ويؤكد هذا وجود إشارات إلى أن عمران كان طالبيًّا؛ حيث قال: "وقد خطب إليَّ الطالبيون مع أنهم موال فما أجبت أحدا منهم إلى ذلك لأن نفسي لا تسمح له وهؤلاء أولاد أخي هم أكفاء بناتي ما واصلت أحدًا منهم، ولكن إن شاء أن نتصاهر على سبيل الأخرى فعلت". ويُذكَر أيضًا أنه عندما احتج معز الدولة على تصرفات عمران وتمرده، راسله في ذلك عن طريق أبي الحسين الكوكبي نقيب الطالبيين(٤). أما بخصوص اتهامه بأنه عطل المساجد، فلا توجد لدينا إشارة إلى حال المساجد على عهد عمران.

وأربعة أشهر وثلاثة أيام وقبض عليه، وبعده أبو القاسم عبد الله بن محمد الكواذي بقي شهرين وثلاثة أيام وقبض عليه ،وأبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بقى سنة وشهرين وتسعة أيام وقبض عليه، وأبو على الحسين بن القاسم بن عبيد الله بقى سبعة أشهر وقبض عليه، وبعده أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بقى خمسة أشهر وتسعة وعشرين يوما، وقتل المقتدر فاستتر الفضل. (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جـ١٣، ص٦٠- ٦٢).

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١١٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج ٧، ص٢٣٠.
(٢) الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجي، جـ١، بيروت (دار صادر)، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص١٧٣.
(٣) رسائل ابن حزم الأندلسي، جـ٢، ط٢، تحقيق إحسان عباس، بيروت (المؤسسة العربية للدراسات والنشر)،١٩٨٧م، ص١٠١.
- **وفيماعدا هذا فقد أغفلت المصادر المتوافرة لدينا الإشارة إلى مذاهب حكام البطائح.**
(٤) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٣٠، ١٥٩.
- الطالبيون: (الطالبي) نسبة إلى اسم بعض أجداد المنتسب إليه، وجماعة من أولاد علي وجعفر وعقيل يقال لهم «الطالبي»؛ لانتسابهم إلى أبى طالب، وهم كثر، ونقيب العلويين ببغداد يقال له: نقيب الطالبيين. (السمعاني: الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، جـ٤، ط١، بيروت (دار الجنان)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٨- ٢٩).

ومهما يكن من أمر عمران، فلابد أنه امتلك شخصية قوية، ومواهب قيادية، وحسن سياسية ودهاء عسكريًّا؛ مما ساعده على أن يجمع الأنصار من سكان البطائح من صيادي السمك وقطاع الطرق واللصوص وغيرهم ممن اتخذ البطائح ملجأ وملاذًا. ويبدو أنهم كانوا فئة غير قليلة هناك، على نحو ما سبقت الإشارة. كما أن عمران قد حظى أيضًا بإعجاب بعض المؤرخين الذين وجدوا في حركته درسًا سياسيًّا للقائمين على السلطة؛ حيث قال فيه مسكويه: "وفاضت نفسه بعد أن نصبت له الأرصاد مدة أربعين سنة، وأنفقت على حروبه الحرائب، وبعد أن أذل الجبابرة وأرباب الدول، وطواهم أولًا بأول، وقدمهم أمامه على غصص يتجرعونها، وذحول يتحملونها، وهو ممنوع الحريم محصن الساحة، فحمى من غوائلهم ومكائدهم"[١].

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١١٩، ٣٩٧- ٣٩٨؛ صلاح خليل إبراهيم سلام: "إمارة عمران بن شاهين بالبطائح (٣٣٠-٣٧٦هـ/٩٤١-٩٨٦م)"، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد ٣٧، ٢٠١٤م، جـ٢، ص٧٩١- ٨٥٤.

ثانيًا: البطائح في ظل سيطرة البويهيين على الخلافة (ظهور الدولة واتساعها):

اتخذت مجريات الأمور مسارًا آخر في منطقة جنوبي العراق بعد دخول البويهيين بغداد بقيادة معز الدولة (سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م)؛ حيث كان عمران بن شاهين قد استولى على البطائح، وهو ما سيظهر تفصيلا على النحو الآتي:

١- عمران بن شاهين (٣٢٩- ٣٦٩هـ/٩٤٠- ٩٧٩م)

أ- علاقة عمران بمعز الدولة:

* مرحلة انشغال معز الدولة عن عمران بأمور العراق:

انشغل معز الدولة بعد دخوله بغداد بالسيطرة على باقي أجزاء العراق، فتوجه إلى الحمدانيين[(١)]، ثم البريديين[(٢)]، وبعد سقوط إمارة البريديين (٣٣٦هـ/٩٤٧م)[(٣)]، عمل عمران على تحصين منطقته فاستمر داخل المعاقل على التلال هناك؛ تحسبًا لأي عدوان خارجي من قبل البويهيين. واستمر في قطع طريق عابري السبيل والتجار ممن كانوا يجتازون طرق البطائح؛ لاسيما من المتحالفين مع البويهيين؛ الأمر الذي أدى إلى إصرار البويهيين على حربه وإجلائه عن البطائح؛ لاستعادة أمن وسلامة طرق المواصلات النهرية والبرية في جنوبي العراق؛ وهو ما مهد لظهور المرحلة التالية[(٤)].

---

(١) تنازع كل من ناصر الدولة بن حمدان ومعز الدولة بن بويه السلطانَ في خلافة المطيع لله؛ إذ كان كل طرف منهما يريد الإغارة على ما بيد الآخر. ففي السنة الأولى من تسلم معز الدولة بن بويه السلطة في بغداد، هاجمها ناصر الدولة بن حمدان، واستولى على الجانب الشرقي منها، لكن معز الدولة تمكن من إنزال الهزيمة بخصمه وإلحاق الأذى بالناس من جراء النهب والقتل الذي مارسه الديلم. (إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص١٣٤).

(٢) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١١١ـ ١١٢.

(٣) نفس المصدر، جـ٢، ص٧٩؛ عبد القادر سلمان المعاضدي: واسط في العصر العباسي دراسة في تنظيماتها الإدارية وحياتها الاجتماعية والفكرية ٣٢٤- ٦٥٦هـ/٩٣٥- ١٢٥٨م، ط١، بيروت (الدار العربية للموسوعات)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، ص٤٦.

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، مج ٧، ص٢٣٠.

* مرحلة صدام عسكري بين عمران ومعز الدولة:

لم يرضَ الأمير معز الدولة عما يقوم به عمران بن شاهين، وخشى من استفحال أمره، وخطورة خروجه عن طاعته، واقتطاع البطائح وما جاورها؛ لذلك حرص –منذ اللحظة الأولى– على التصدي بالقوة لمحاولات عمران، فصمم على حربه لإجباره على ترك البطائح؛ حيث أعد جيشًا لمحاربته وأسند قيادته إلى وزيره أبي جعفر الصيمري، فالتقى الطرفان سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م في عدة معارك انهزم فيها عمران بن شاهين، ووقع العديد من أهل بيته وأولاده في الأسر؛ مما دفعه إلى الهرب والاختباء داخل البطائح التي ساعدته طبيعتها على المقاومة والصمود. كما ساعدته الظروف أيضًا؛ فبعد أن مات عماد الدولة البويهي[١]، كبير الأسرة البويهية، اضطرب جيشه؛ مما دفع معز الدولة إلى توجيه وزيره الصيمري إلى شيراز؛ لضبط الأمور هناك [٢]؛ الأمر الذي أدى إلى ترْك محاربة عمران[٣].

وبذلك تلاشت آثار هزيمة عمران بن شاهين حيث عاد إلى ما كان عليه، وجمع من تفرق عنه من أصحابه وجيشه، فقوي بذلك أمره. إلا أن الصيمري عاد إلى محاربته مرة أخرى بعد أن عاد الهدوء إلى شيراز؛ حيث ظل محاصرا له[٤]، حتى وفاة الوزير سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م من حمى حادة أصابته، وهو بالبزبوني من الجامدة[٥].

وفي العام نفسه خلف الصيمري على الوزارة أبو محمد المهلبي[٦]، حينئذٍ كلفه معز الدولة بقيادة جيش آخر لمحاربة عمران بن شاهين، و قد جعل معه روزبهان[٧] –وهو أحد كبار

(١) عماد الدولة البويهي ٣٢٠-٣٣٨هـ/٩٣٢- ٩٤٩م: أبو الحسن علي بن بويه أكبر إخوته، كان أول أمره في خدمة ماكان بن كاكي فلما هزم انتقل إلى خدمة مرداويج، ثم استأثر بالحكم وعلا نجمه وإخوته واستولى على فارس، واتخذها قاعدة لملكه وصار زعيم البيت البويهي. (ابن خلكان: المصدر السابق، مج٣، ص٣٩٩).

(٢) شيراز: "بلد عظيم مشهور معروف وهو قصبة بلاد فارس في الإقليم الثالث". (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة شيراز)، جـ٣، ص٤٣١).

(٣) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٢٠؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٣٠.

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٣٣؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٧٨.

(٥) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٢١ ـ ١٢٣. والبزبوني: موضع بالجامدة، وقد ذكره الهمذاني باسم المرموني. (تكملة تاريخ الطبري (ملحق بكتاب تاريخ الطبري الجزء ١١)، تحقيق محمد أبو الفضل، بيروت (دار سويدان)، ص٣٦٩).

(٦) المهلبي: أبو محمد المهلبي، ولاه معز الدولة مكان الصيمري، أحسن السيرة وأزال المظالم، خصوصاً عن عن البصرة، وتنقل في البلاد لكشف المظالم فحسن أثره، ثم نقم عليه معز الدولة بعض الأمور، فنكبه سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م، وحبسه في داره ولم يعزله. (ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٣، ص٥٢٦).

(٧) روزبهان: ذكره الهمذاني بقوله: "أحد صنائع معز الدولة لأنه رقاه الى هذه المنزلة" (تكملة تاريخ الطبري، الطبري، ص٣٨١).

قواده[(١)]– إلا أن عمران كان أكثر استعدادًا هذه المرة لملاقاة جيش البويهيين، فتحصن في معاقل البطائح حتى طال حصار روزبهان، فضجر هو وجنده من طول المدة، فقرروا التوغل داخل البطائح والهجوم على معاقل عمران بن شاهين، ولم يكونوا مستعدين لهذا التوغل الاستعداد ملائم؛ مما أدى إلى نجاح عمران في الإيقاع بهم وهزيمتهم، والحصول على جميع ما في معسكرهم من أسلحة وغنائم. وبعد هذا الانتصار تشجع عمران بن شاهين وازدادت قوته وتعمق نفوذه، فسيطر رجاله على منافذ الطرق، وزاد في ترويع المارة، وفرض الإتاوات على من يمر بهذا الطريق من الحجاب الكبار المحتشمين والقواد والأمراء من الديلم والأتراك، بالإضافة إلى إهانتهم وسبهم وضربهم إذا رفضوا دفع ما يطالبون به، حتى بلغ خوف الجند أنهم لم يستطيعوا العبور إلى ضياعهم ومعايشهم في طريق البصرة وغيرها. كما بلغ خوف الناس من عمران ورجاله، أنهم لم يستطيعوا السير في طريق البصرة إلا ظُهرا فقط حتى يأمنوا على أنفسهم، وإلا تعرضوا للقتل على يد رجال عمران[(٢)].

وصلت هذه الأنباء إلى معز الدولة، مع كثرة شكايات الناس إليه؛ لما كانوا يلاقونه من الهوان في أثناء اجتيازهم لمنطقة البطائح؛ لذلك أعد معز الدولة جيشا بقيادة أبي محمد المهلبي سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م، وأمره بالتوجه إلى واسط ومعاودة حرب عمران بن شاهين وكان بالبصرة، فأصعد إليها، وأمده معز الدولة بالقواد والأجناد والسلاح، وأطلق يده في الإنفاق، وجعل معه روزبهان، فزحف المهلبي إلى البطائح وضيق الخناق على عمران بن شاهين وسد عليه المضايق، وكاد المهلبي ينتصر إلا أن روزبهان حسده، وكره أن يكون المهلبي صاحب النصر على عمران بن شاهين، فأخذ يحثه على ضرورة الإسراع في الهجوم، فرفض المهلبي ذلك حتى يتم له إحكام قبضته على كل الطرق، ومن ثم تشديد الحصار على عمران ورجاله وقطع جميع الإمدادات عنهم، وكان هدف المهلبي من وراء ذلك كله التمكن منه، والانتصار عليه في مدة وجيزة، وبأقل خسائر. فلما رأى روزبهان من تصميم المهلبي على تنفيذ خطته، أرسل إلى معز الدولة يخبره أن المهلبي يتحاشى حرب عمران، ويتباطأ في ذلك حتى ينفق المزيد من الأموال، ويفعل ما يريد، فكتب معز الدولة إلى المهلبي يحثه على سرعة ملاقاة عمران، ويوبخه على استبطائه. فلما وصل الكتاب إلى المهلبي ترك كل الترتيبات التي اتخذها من قبل، وهجم بجميع

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٢٩ ـ ١٣٠.
(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٣٦- ٢٣٧.

جنده على مكان عمران، وكان الأخير قد أعد الكمائن داخل المضائق حيث وجد، كذلك كان الاتفاق أن يلحق روزبهان بالمهلبي حتى يتمكن من إعانته على الحرب، إلا أن روزبهان تأخر؛ حتى يتمكن من النجاة في حال الهزيمة؛ لذلك عندما دخل المهلبي بجيشه إلى المضايق خرج عمران بن شاهين وجنده على العساكر وهم متزاحمون متضايقون في طريق الماء غير المعروف لهم، والمشحون بالآلات الموافقة للمضايق؛ فقتلوا وأسروا وهرب روزبهان، أما المهلبي فنجا بالسباحة في الماء(١).

* مرحلة الصلح بين معز الدولة وعمران وتكوُّن إمارة معترف بها للبطائح:

أدرك معز الدولة –بعد هزيمة جيشه– أنه أمام خصم عنيد؛ فاضطر إلى عقد صلح مع عمران سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م، وأجابه إلى كل شروطه، وأطلق سراح أهله وأولاده وقواده، واعترف به أميرًا على منطقة البطائح، كما أطلق عمران بن شاهين من كان في أسره من قواد معز الدولة وجنوده. ولقد أدى هذا الصلح إلى زيادة قوة عمران بن شاهين، واستفحال أمره خاصة بعد انتزاعه اعترافًا رسميًّا من القوة الأولى في ذلك الوقت –المسيطرة على الخلافة العباسية– بولايته وشرعية حكمه(٢).

* مرحلة نقض الصلح وعودة الصدام العسكري بين معز الدولة وعمران:

في ضوء ما تقدم، أخذت قوة عمران بن شاهين تزداد يومًا بعد يوم حتى بلغ نفوذه مبلغًا عظيمًا. حيث قام بنقض الصلح مع معز الدولة، عندما سمع بشائعة وفاته نتيجة لمرض ألم به سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م(٣)، وعلم أنه عهد لابنه بختيار بالرئاسة من بعده(٤)؛ فقام بالاستيلاء على الأموال المرسلة إليه من الأهواز. كما استولى على سفينة بها أموال أخرى للتجار، وقبض أيضًا على المزعبل ملاح معز الدولة، وصادر ما معه من أموال، بعد أن ضربه. وكان مقدار المال المحمول إلى معز الدولة مائة ألف دينار، وكان المال المحمول إلى التجار أضعاف ذلك. وظل عمران على تمرده حتى شفاء معز الدولة، الذي احتج على تصرفات عمران، وراسله في ذلك عن

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٣٠- ١٣١؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٣٦- ٢٣٧.
(٢) نفس المصدر، جـ٢، ص١٣١؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٣٧.
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٥٢.
(٤) الهمذاني: المصدر السابق، ص٣٨٠.

طريق أبي الحسين الكوكبي نقيب الطالبيين؛ حيث أمره برد الأموال، فرد عليه أمواله فقط وامتنع عن رد أموال التجار؛ وبذلك انتقض الصلح بينهما[١].

في هذه الأثناء مثَّل معز الدولة ملاذًا لأعداء عمران حتى يشتت قوته، ويزعزع ملكه. ففي سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م، استأمن أبو الفتح المعروف بابن العريان أخو عمران بن شاهين إلى معز الدولة بأهله وماله؛ خوفا من أخيه فأكرمه معز الدولة وأحسن إليه. وفي سنة ٣٥١هـ/٩٦١م، استأمن إلى معز الدولة أيضًا أخ آخر لعمران يعرف بأبي القاسم[٢]. وسبب انشقاق أخوي عمران وخروجهما غير معروف؛ فربما استوحشا أخاهما فاستأمنا إلى معز الدولة البويهي خوفا من عمران.

ثم رأى معز الدولة الخروج بنفسه لحرب عمران واسترداد البطائح؛ حيث توجه سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م إلى واسط وهو مريض بالحمى، ومنها أنفذ جيشًا بقيادة أبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي. وأخذ أبو الفضل فور وصوله يسد الأنهار عن البطائح؛ وذلك لمنع الماء عنها. وفي هذه الأثناء اضطر معز الدولة إلى ترك واسط والعودة إلى بغداد؛ وذلك لاشتداد المرض عليه. وقد ظل العسكر بواسط ومعهم الحاجب سبكتكين الكبير[٣]؛ حيث وعدهم معز الدولة أنه سوف يعود إليهم لخوض الحرب ضد عمران بعد عشرين يوما. ولكنه توفى فور وصوله إلى بغداد؛ وبذلك انتقضت الترتيبات[٤]؛ حيث قضت الضرورة أن يصالح البويهيون عمران، وأن يعودوا عن محاربته في ذلك الوقت[٥]. ومن هنا نجا عمران بن شاهين من أزمة شديدة تعرض لها مُلكه. وفي ذلك يقول مسكويه: "ونفس خناق عمران"[٦].

---

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٥٨ ـ ١٥٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٥٢.
(٢) نفس المصدر، جـ٢، ص١٨١، ١٨٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج ٧، ص٢٧١،٢٦٧.
(٣) سبكتكين: حاجب معز الدولة، ترقى في المراتب حتى آل أمره إلى أن قلده الخليفة الطائع الإمارة وخلع عليه وأعطاه اللواء ولقبه بنور الدولة. ابن كثير: المصدر السابق، جـ١٥، ص٣٦١. في حين يذكر ابن الجوزي أن لقبه "نصر الدولة"، وكان له دار ملك. (ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٤، ص٢٣٧).
(٤) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢١٨.
(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٩٥- ٢٩٦؛ أبو الفدا: المصدر السابق، جـ٢، ص١٠٦.
(٦) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ٢٣٢.

ب – علاقة عمران بن شاهين ببختيار بن معز الدولة:

* مرحلة صراع عسكري بين عمران وبختيار:

خلف معزَّ الدولة ابنُه بختيار، الذي تلقب بعز الدولة(١)، ومع أن بختيار بدأ عهده بمصالحة عمران بن شاهين كما أشرنا، إلا أنه سرعان ما أظهر له العداء؛ وربما يرجع السبب في ذلك إلى أنه أراد أن يُتم ما بدأه أبوه معز الدولة، وربما يعود أيضًا إلى الضائقة المالية التي كانت تمر بها خزينة الدولة المركزية، بجانب شغب الجند من الأتراك والديلم ومطالبتهم بدفع مرتباتهم، فلعل ذلك كله قد دفع بختيار إلى إيجاد المال من حكام المناطق المجاورة وإشغال الناس والجند بذلك، وقد ورد أن هذا الفعل إنما كان بتدبير وزيره وقائده أبي الفضل الشيرازي الذي حبب إليه نقض الهدنة ومحاربة عمران؛ طمعا في أمواله(٢).

قرر بختيار الخروج بنفسه على رأس جيشه للقضاء على عمران سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م. وقد عمد بختيار إلى الحيلة في حربه؛ حيث رأى من الأفضل عدم توجيه العساكر بصورة مباشرة للحرب؛ وذلك حتى لا يتخذ عمران الإجراءات والدفاعات التي تحول دون نجاح الجيش في القضاء عليه؛ لذلك أشاع أن خروجه من بغداد بهدف الصيد، إلا أن عصيان الجند عليه بعد أن أقاموا بواسط شهرا كاملا، جعل الأمر واضحًا لدى عمران فانكشفت الحيلة، ويعلق مسكويه على هذا الموقف، فيقول: "عساكره (أي عساكر بختيار) التي علم معها عمران أن قصده بهم إياه لا غير"؛ ومن ثم أخذ في الاستعداد بقوة للتصدي لجيش بختيار(٣).

ومن أسباب الفشل أيضًا، ضياع جهود بختيار في تضييق الخناق على عمران؛ من ذلك أنه أمر وزيره أبا الفضل بالتقدم نحو الجامدة، وطفوف البطيحة؛ حتى يقوم بسد الأنهار التي تجري إلى داخل البطائح؛ مما يمنع وصول المياه إلى معاقل عمران؛ فيؤدي هذا إلى تجفيف المنطقة ليسهل على الجيش السير فيها والوصول إلى معاقل عمران مشيًا على الأقدام. وهي

(١) عز الدولة بختيار (٣٥٦-٣٦٧هـ/٩٦٧- ٩٧٧م): عهد إليه أبوه معز الدولة، وأوصاه باليقظة من ناحية أعدائه وبطاعة عمه ركن الدولة، والرجوع إليه في الأمور المهمة. (ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٣، ص٥٢٨).
(٢) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٨٤.
(٣) تجارب الأمم، جـ٢، ص٢٩٥ - ٢٩٧. وقد أرجع ابن خلدون هذا الحدث إلى سنة ٣٥٩هـ. (ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٧٨).

الطريقة التقليدية التي استخدمها أمراء البويهيين عند محاربة عمران بن شاهين، وقد أثبتت عدم جدواها. ورغم أن هذه الأعمال استغرقت وقتًا طويلًا، إلا أنها لم تأت بأي فائدة على الإطلاق؛ حيث جاء الفيضان من دجلة وخرب ما تم عمله؛ مما صعب الأمور على جيش بختيار. وعندما جفت المياه واستقامت الطرق تقدم الجيش نحو مقر عمران بن شاهين فوجده خاليًا؛ حيث انسحب الأخير -ومعه غلاته وزوارقه وجميع أمتعته- إلى موضع آخر في البطائح(١)، يعرف باسم هوكولان(٢). كما لم يستطع الجيش التوغل داخل البطائح؛ لأنه لم يكن مزودًا بالسفن الحربية اللازمة لمثل تلك المعارك النهرية. يضاف إلى هذا سأم الجند من طول الإقامة، ورداءة مناخ البطائح، وامتلاء أرضها بالبق والضفادع وانقطاع المؤن، حينئذ شغب الجند على الوزير، وأساءوا إليه بألسنتهم، وهموا بالإيقاع به، وتحالف الديلم والأتراك وامتنعوا عن الإقامة هناك وقتًا أطول(٣).

هنا أدرك بختيار أنه لن يستطيع أن يحقق الهدف الذي جاء من أجله، كما أدرك أن الحرب أكثر كلفة من الأموال أو الضرائب التي سيحصل عليها من عمران بن شاهين، وهكذا فشلت الحملة(٤). والواقع أنه إلى جانب ما تقدم، فهناك سبب آخر ساعد على هذا الفشل ألا وهو: دهاء عمران بن شاهين ومكره حيال خصومه، وفي ذلك يقول مسكويه: "قد اعتاد في جميع حروبه أن يمسك عن عدوه حتى ينفق ماله ويكد رجاله، فإذا أحس بالمد ومجيء السيول احتال في تخريب ما يبنى له من السكور"(٥).

* مرحلة صلح غير مستقر بين عمران وبختيار:

وإزاء كل هذه المشاكل اضطر بختيار إلى طلب مصالحة عمران، حينئذ تراجع عمران عما عرضه -أول الأمر- من دفع خمسة آلاف ألف درهم لبختيار؛ نظير الكف عن حربه، أما الآن وبعد أن علم باضطراب جند بختيار على قائدهم وكرههم له، فقد تراجع عما سبق عرضه من المال. هنا اضطر بختيار إلى أن يوسِّط سهل بن بشر الكاتب -وكانت تربطه بعمران صداقة-

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٩٦.
(٢) الهمذاني: المصدر السابق، ص٤٢٦.
(٣) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٩٥ – ٢٩٧؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٢٢.
(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٢٢.
(٥) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٩٦. السكور: هى السدود (ابن منظور: المصدر السابق (مادة سكر)، مج٤، ص٣٧٥).

فوافق الأخير على أن يقسط لبختيار مبلغ ألفي ألف درهم فقط، ورفض أن يسلم له رهائن أو أن يحلف له على تأدية المال(١).

وهكذا عاد بختيار من هذه الحرب، وقد خسر هيبته وطاعته بين جنده، ولم يكتف عمران بما حل بجند بختيار من الهزيمة، فجعل رجاله يتعقبون الجيش المنهزم ويتخطفون أطرافه ويقومون بأعمال السلب والنهب؛ فكثرت غنيمته منهم، كما فسد عسكر بختيار وزالت عنهم الطاعة والهيبة(٢).

* دور صراع عمران مع بختيار في تردي أحوال البويهيين في العراق:

لم يلبث بختيار أن تأكد من عدم وجود صلح حقيقي بينه وعمران بن شاهين؛ فأصر على مواصلة الحرب ضده، فاصطدم بموقفه الحرج وبسوء الأحوال في العراق، إلى حد تظاهُر أهل بغداد وخروجهم ضده، منكرين عليه انشغاله عن مصالحهم وانغماسه في حرب عمران –وهو من أهل القبلة (مسلم)– في حين أنه أهمل أعداء الإسلام من الروم البيزنطيين؛ أولئك الذين استولوا في تلك الأثناء على مدينة نصيبين(٣). فما كان من بختيار إلا أن طمأنهم ووعدهم بالعودة إلى واسط، ومصالحة عمران بن شاهين، والعودة للثغور لمواصلة الحرب ضد الروم(٤).

في حقيقة الأمر، إن العمليات العسكرية الخاسرة التي قام بها بختيار ضد عمران بن شاهين في البطائح والحمدانيين في الموصل(٥)، كانت باهظة التكاليف؛ ومن هنا فقد أدت إلى إفلاس الخزينة؛ مما أسفر عن قيام الجند باضطرابات مطالبين برواتبهم. وعندما لم يحقق بختيار هذه المطالب اتسعت دائرة الفوضى والاضطرابات حتى أصبح من الصعب استدراكها(٦).

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٩٦.
(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٢٢- ٣٢٣.
(٣) نصيبين: من مدن الجزيرة الفراتية شمال العراق. (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة نصيبين)، جـ٥، ص٢٣٣).
(٤) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٠٤.
(٥) الموصِل: هي مدينة مشهورة على طرف دجلة، ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى، وهي محط رحال الركبان، ومنها يقصد إلى جميع البلدان؛ فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان. (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة الموصل)، جـ٥، ص٢٥٨- ٢٥٩).
(٦) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٢٣- ٣٢٧؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٥٩٤- ٥٩٥.

* التجاء بختيار إلى عمران:

تكالبت الأزمات على بختيار إلى حد أن عجز تمامًا عن إصلاح الأمور داخل بغداد؛ لذلك لم يجد مفرا من طلب مساعدة عمه ركن الدولة، وابن عمه عضد الدولة [١]. كما بلغ به الأمر حد طلب المدد والمعونة من أعدائه؛ وعلى رأسهم عمران بن شاهين؛ حيث أرسل إليه مستنجدًا يطلب المساعدة العسكرية، كما أرسل إليه هدايا كثيرة كان من بينها فرس بسرج من ذهب، وخطب إليه إحدى بنات عمران، وأسقط عنه الدين والأموال التي كانت عليه[٢]. إلا أن عمران بن شاهين رفض جميع مطالب بختيار مسجلاً قوله: "أما عن المصاهرة فأنا رجل لا أداخل أحدًا من خلق الله إلا أن يكون الذكر من عندي والأنثى من عنده، وقد خطب إلى الطالبيون مع أنهم موال فما أجبت أحدا منهم إلى ذلك؛ لأن نفسي لا تسمح له وهؤلاء أولاد أخي هم أكفاء بناتي ما واصلت أحدًا منهم، ولكن إن شاء أن نتصاهر على سبيل الأخرى فعلت. وأما الخلعة والفرس فلست ممن يلبس لباسكم ولا أركب الخيل لأن دوابي هي هذه السفن، لكن أبا محمد ابني يقبل ذلك ولا يرده. وأما عسكري وإنفاذه فليس تسكن رجالي إلى مخاطتكم لكثرة من قتلوا من رجالكم على مر السنين والوقائع". كما طلب من رسول بختيار أن ينصحه بالاتزان والبعد عن الخفة قائلًا: "قل له ينبغي أن تتوفر وتترزن ولا تستعمل هذه الخفة والنزق فقد قصدتني محاربًا لي فرجعت عني منهزمًا... وأنا أعلم أنك ستجيئني وتلوذ بي وتحصل عندي وسأذكرك هذا وتعلم حينئذٍ أني أعاملك بالجميل، وبخلاف ما عاملتني به أنت وأبوك من قبلك"[٣]. إذا وضعنا هنا في الحسبان أن راوي هذه القصة مسكويه المعاصر لعمران، أدركنا إلى أي مدى كان تواضع عمران وتقربه من أتباعه، واحترامه للقيم الإنسانية، وذكاؤه ونظرته الثاقبة إلى الأحداث السياسية والعسكرية؛ وسر إعجاب أصحابه به. ويكشف لنا هذا النص عن أن عمران بن شاهين وأتباعه كانوا من أصحاب القضايا الاجتماعية والسياسية.

(١) عضد الدولة فناخسرو بن حسن بن بويه الديلمي ابن ركن الدولة (٣٢٤ - ٣٧٢ هـ/٩٣٦ - ٩٨٣ م): ورث ملك عمه عماد الدولة بفارس، ثم حكم العراق (٣٦٧- ٣٧٢هـ/٩٧٧- ٩٨٢م)، وهو أول من خوطب في الإسلام بالملك شاهنشاه، وأمر الخليفة الطائع أن يخطب له على المنبر ببغداد، ولم تجر بذلك عادة لغير الخلفاء، وأذن له في ضرب الطبل على بابه أوقات الصلاة. (ابن خلكان: المصدر السابق، مج ٤، ص٥٠-٥١؛ الزركلي: المرجع السابق، جـ٥، ص١٥٦).

(٢) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٢٩.

(٣) نفس المصدر، جـ٢، ص٣٣٠.

جـ- اتساع دائرة علاقة عمران بالبويهيين والخلافة واعتراف جديد به:

عمل عمران بن شاهين على استغلال اضطراب الأمور بين الأمراء البويهيين لصالحه ولأجل مكاسبه السياسية؛ ففي بادئ الأمر تقرب إلى عضد الدولة؛ حيث أرسل إليه عند دخوله بغداد سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م كاتبه رسولًا من قِبله يلتمس عهدًا ومنشورًا ببقاء البطائح بيده، فأجيب إلى طلبه[١].

في ذلك الوقت منح الخليفة الطائع[٢]، عمران بن شاهين لقب "معين الدولة"[٣]؛ ويعكس هذا مبلغ ما وصل إليه عمران من قدر وأهمية لدى الخلافة -رغم ضعفها سياسيًّا- وأنه حاز -في نظر الخليفة- مكانة الأمراء البويهيين وقوتهم ذاتها، وهم من كانوا أصحاب السلطان الفعلي في دولة الخلافة.

لم يدم الوفاق طويلًا بين عمران بن شاهين والأمير عضد الدولة؛ إذ سرعان ما تغير موقف عمران، وبادر بتقديم المساعدة لبختيار على صراعه ضد عضد الدولة، كما تحالف عمران مع الوزير ابن بقيه[٤]، عندما خرج على عضد الدولة كذلك، وحذره غدر الأمير البويهي، واتفق معه على أن يمده بالسفن والرجال لحرب الأمير، كما رتب معه أن تكون البطائح ملجأ وملاذًا له حال هزيمته[٥].

ولقد أدى هذا التحالف إلى تقوية جانب بختيار في حربه ضد عضد الدولة؛ حيث نجح هو وحلفاؤه في قطع الخطبة لعضد الدولة سنة ٣٦٥هـ/٩٧٦م ببغداد، وجميع منابر العراق، وزعم

---

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٤٦.
(٢) الطائع لله أبو بكر عبد الكريم بن المطيع (٣٦٣- ٣٨١هـ/٩٧٤- ٩٩١م): نزل أبوه عن الخلافة وعمره ٤٣ سنة. فتولاها، وعقد له اللواء وجرى بينه وبين عز الدولة حروب، عزل سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، وتوفي سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م. (السيوطي: المصدر السابق، ص٣٢١- ٣٢٤).
(٣) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٥٤.
(٤) ابن بقية: محمد بن بقية، كان وضيعا في نفسه من فلاحي ضياع بغداد، اتصل ببختيار، وكان يتولى الطعام بين يديه ويتولى الطبخ. واستوزر بعد أبي الفضل فاستقامت أموره ونمت أحواله، ثم دخل في خدمة عضد الدولة، وفجأة انقلب عليه وأخذ جانب بختيار حتى قتلا سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م. (ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٣، ص٥٢٩ -٥٣٠).
(٥) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٥٧.

بختيار أن الرياسة له بعد ركن الدولة؛ فعظم بختيار وتمتع بمنزلة ركن الدولة بالعراق، والممالك المجاورة له[١].

كما واصل عمران بن شاهين تعاونه مع بختيار ووزيره ضد عضد الدولة، فحين جهَّز بختيار جيشًا قاده بنفسه وخرج به من بغداد متجهًا إلى الأهواز، وحين كان يريد أن تكتمل أعداد الجنود بمدينة واسط قبل الذهاب إلى الأهواز لملاقاة عضد الدولة، وحين بلغ مدينة واسط في جمادى الأولى سنة ٣٦٦هـ/ديسمبر ٩٧٦م، ومنها انحدر إلى البطائح طالبًا المساعدة من عمران ابن شاهين، حينئذٍ استقبله الأخير، وسرعان ما توطدت العلاقة بينهما؛ وذلك للمصاهرة التي تمت بين الرجلين في جمادى الأخرة من العام نفسه، فقد تزوج بختيار بابنة عمران بن شاهين، وتزوج الحسن بن عمران بابنة بختيار [٢].

وليس لدينا تفسير لتغير موقف عمران بن شاهين واتخاذه جانب بختيار ومؤازرته له، سوى أن في هذا ما يدل على ذكائه وبعد نظره. فقد كان مدركًا خطورة الوضع بالنسبة لمصيره ومصير أتباعه سكان البطائح إن تسلم عضد الدولة القوي أمور العراق؛ فرغب عمران في أن يبقى بختيار في السلطة؛ فهو الرجل الضعيف سيئ التدبير، وقد أثبتت الأحداث ذلك فعلًا [٣].

واستمر عمران بن شاهين في دعمه القوي لبختيار ضد ابن عمه عضد الدولة. فلما اشتعلت الحرب بينهما سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، أسرع عمران بإرسال ابنه الحسن، بصحبة كاتبه وقواده في بعض زواريق إلى بختيار، كما حمل إليه وإلى ابن بقية مالًا وثيابًا، كذلك فقد أرسل المرزبان بن بختيار إلى أبيه من الأبلة[٤]، لكن هذه الجيوش المجتمعة انسحبت دون أي لقاء عسكري بجيش عضد الدولة؛ خوفًا من أن يسير الأخير إلى واسط فيستولى عليها، ويفوِّت عليهم بذلك فرصة الهروب والرجوع إلى بغداد إن أرادوا، فتقهقر بختيار وبرفقته باقي القوة العسكرية في السفن مخترقين البطائح، حينئذ تلقاهم عمران وهم على هذه الصورة من الانكسار وأكرمهم أجل إكرام، حيث حلوا عليه ضيوفًا ثلاثة أيام توجهوا بعدها إلى بغداد. وبذلك تحققت مقولة عمران بن

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٦٥.
(٢) نفس المصدر، جـ٢، ص٣٦٦؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٥٩٩.
(٣) حسين علي المسري: "الإمارة الشاهينية في البطائح- عمران بن شاهين يتحول من مجرم هارب إلى حاكم يخطب العباسيون وده"، مجلة الوثيقة، البحرين، ١٩٨٦م، مج٤، العدد ٨، ص١٠٥- ١٢٣.
(٤) الأبلةُ: هي بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة، وهى أقدم من البصرة. (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة الأبلة)، جـ١، ص٩٩).

شاهين التي قالها عندما قصده بختيار محاربًا: "سترى أنك تحتاج إليّ وأعاملك من الجميل بخلاف ما عاملتني به أنت وأبوك من القبح فعجب الناس من هذا الاتفاق"(١).

لكن الأمور لم تسِر حسبما خطط لها بختيار؛ فقد صارت البصرة -بعد أن غادرها- سهلة المنال أمام عضد الدولة الذي أرسل قائده أبا الوفاء طاهر بن محمد فدخلها سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م. أما بختيار فإنه سار من البطائح نحو واسط، إذ اجتمعت إليه جماعته وأصحابه، ثم توجه إلى بغداد. وبخصوص عضد الدولة فإنه توجه نحو بغداد بعد أن علم بتوجه بختيار إليها، فدخلها سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م، وقتل بختيار، وخطب له على المنابر بعد ذكر الخليفة(٢).

وفي تلك الأثناء مثَّل عمران بن شاهين -كما مثلت بلاده- ملاذًا لبعض رجال الدولة الذين لجئوا إليه؛ لحمايتهم من بطش أمراء البويهيين ووزرائهم؛ ومنهم الكراعي الذي لجأ إليه هاربا(٣).

وعلى ما يبدو فلم يطرأ جديد على العلاقات بين البويهيين وعمران فيما بين عامي (٣٦٦هـ-٣٦٩هـ/٩٧٧م -٩٧٩م)؛ ولعل السبب في ذلك انشغال عضد الدولة بإقرار الأوضاع في بغداد، فلم يلتفت إلى عمران، وبدأ بتثبيت سلطته بعد قتله لبختيار ومحاولته إرضاء أسرته الحاكمة؛ لذا فقد شهدت جبهة البطائح نوعا من الهدوء خلال هذه المدة القصيرة، إضافة إلى ذلك فإن عضد الدولة قد أفاد من تجربة سابقيه في حرب عمران، وعرف الأسباب التي جعلته يتفوق على خصومه.

د- وفاة عمران بن شاهين:

بعد سنتين من تولي عضد الدولة مقاليد الأمور في بغداد، توفي عمران بن شاهين في المحرم سنة ٣٦٩هـ/يوليو ٩٧٩م، وذلك بعد عودته إلى داره من رحلة تنزه، بعد حكم دام ما

---

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٦٩، ٣٧٠؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٦٥- ٣٦٦.
(٢) نفس المصدر، جـ٢، ص٣٧٦-٣٨١.
(٣) الكراعي: عبد العزيز بن محمد المعروف بالكراعي، كان رجلا وضيعا مصاحبا لابن بقية الذي عينه على البصرة، وجعله مستوفيا على العمال، فجمع ثروة، ثم تنكر له ابن بقية فقبض عليه ونكبه، ثم استخدمه بختيار ولكنه هرب لما انهزم فصار إلى البطائح، وكان يجري بها على عادته من سوء الأدب، ثم أسر في سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م، وشهر بالبصرة وبغداد ثم قتل. (نفس المصدر، جـ٢، ص٤١٣).

يقارب أربعين عامًا، تمتعت منطقة البطائح خلالها بالاستقلالية والمنعة[١]، فخسر أهل البطائح بموته زعيمًا قويًّا وسياسيًّا بارعًا، وعلى نحو ما ذكرنا سابقًا، يقول مسكويه: "وفاضت نفسه بعد أن نصبت له الأرصاد مدة أربعين سنة، وأنفقت على حروبه الحرائب، وبعد أن أذل الجبابرة وأرباب الدول، وطواهم أولا بأول، وقدمهم أمامه على غصص يتجرعونها، وذحول يتحملونها، وهو ممنوع الحريم محصن الساحة، فحمى من غوائلهم ومكائدهم"[٢].

ويظهر –مما تقدم– أن إمارة البطائح خلال عهد عمران كانت إمارة استيلاء[٣]؛ حيث قام عمران بن شاهين بالاستيلاء على الحكم عنوة. كما تنوعت علاقته بالخلافة العباسية، وبحكام بني بويه، ما بين العداء تارة والسلم تارة أخرى.

ومن ناحية أخرى فقد كان لاستقرار حكم عمران وخوضه المعارك المختلفة أثر في توجه بعض الشعراء إليه بالمديح؛ من هؤلاء الشاعر سيدوك الواسطي[٤] الذي مدحه بقصيدة قال فيها:

تسبي النفوس حراب ما أدرت بها ... كـأس المنيـــة إلا رحـت ذا طـــرب.

تـظل من فضة حتـــى إذا وردت ... أصدرتــها من دم الأبــطال من ذهــب.

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٩٧، ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٨٥؛ وفاء محمد علي: "دولة البطائح في عهد البويهيين"، مجلة ندوة التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد٨، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٢٠١- ٢٢٧.

(٢) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٩٧- ٣٩٨.

(٣) إمارة الاستيلاء: فهي التي يعقدها الإمام عن اضطرار، كأن يستولي الأمير بالقوة على بلاد، فيقلده الخليفة إمارتها ويفوض إليه تدبيرها وسياستها. (الماوردي: المصدر السابق، ص٣١، وما بعدها؛ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية: الموسوعة الفقهية الكويتية، جـ٤٥، ط٢، الكويت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص١٥٣). أما الفرق بين إمارتي الاستكفاء والاستيلاء، فيتمثل في:
أ- أن إمارة الاستكفاء تتم بعقد وتراضٍ واختيار بين الخليفة والمستكفي. أما إمارة الاستيلاء فتنعقد عن اضطرار.
ب- أن إمارة الاستيلاء شاملة البلاد التي غلب عليها المستولي. وأما إمارة الاستكفاء فمقصورة على البلاد التي تضمنها عهد المستكفي.
ج- إمارة الاستيلاء تشتمل على النظر في جميع الأمور: المعهودة والنادرة. وإمارة الاستكفاء تخص المعهود لا النادر.
د- يجوز لأمير الاستيلاء تعيين وزير تفويض ووزير تنفيذ، ولا يجوز لأمير الاستكفاء تعيين وزير تفويض إلا بإذن الإمام، ولكن له أن يستوزر وزير تنفيذ. (وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، جـ٦، ط٢، دمشق (دار الفكر)، ص٧٣٨).

(٤) سيدوك الواسطي: عبد العزيز بن حامد بن الخضر، أبو طاهر الشاعر من أهل واسط، كان يعرف بسيدوك، روى عنه شعره أبو القاسم بن كردان وأبو الجوائز الواسطيان؛ توفي سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م. (الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، جـ١٨، ط١، بيروت (دار إحياء التراث العربي)، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٢٨٦).

من كل مقليــة الجنـبيـن ماضية　　　　قــدت من الشمس أو قدت من اللهب(١).

٢ – ولاية الحسن بن عمران على البطائح (٣٦٩هـ –٣٧٢هـ/٩٧٩م – ٩٨٢م):

بعد وفاة عمران بن شاهين، تزعم أهلَ البطائح ابنُه الحسن، ولم ينازعه في ذلك أحد، وقد شجع هذا التغير عضد الدولة على التحرك للتخلص من هذه الأسرة نهائيًّا؛ حيث كانت غايته بعد أن سيطر على بغداد، وعلى ممتلكات البويهيين في المشرق –كما أشرنا سابقًا– أن يوسع نفوذه ليشمل مصر ومنطقة الثغور على الحدود البيزنطية؛ فكان عليه –قبل أن يضع هذا المخطط موضع التنفيذ– أن يتخلص أولاً من المناوئين له بالداخل، وعلى رأسهم زعيم البطائح ومناصروه من الفارّين من الحكم البويهي وغيرهم(٢).

كان عضد الدولة قد أفلح عام ٣٦٩هـ/٩٧٩م في مواجهة المشاكل السياسية التي سادت العراق؛ إذ انتهى من حرب كثير من أعدائه وانتصر عليهم جميعًا، ثم التفت بعد ذلك إلى البطائح؛ وذلك لأن عمران بن شاهين وابنه الحسن أيضًا شكلا خطرًا كبيرًا على الطريق التجاري بين بغداد والبصرة، فجهز عضد الدولة جيشًا كبيرًا تحت قيادة وزيره المطهر بن عبدالله، ووجهه نحو البطائح، وذلك سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م. فلما وصل إلى قرية البريوني من أعمال الجامدة، شاور الوزير المطهر مَن معه مِن أصحاب الرأي على خطة مثلى للهجوم، إلا أن هذه الخطة لم تأت بشيء جديد، فقد استخدم المطهر الطريقة التقليدية نفسها التي استخدمها سابقوه من القواد عند هجومهم على البطائح، وهي إقامة سدود ترابية لمنع مياه الأنهار من الوصول إلى معاقل الحسن ابن عمران، لتجف بذلك الأرض ويسهل على الجيش السير فيها على الأقدام. غير أن فيضانات نهر دجلة أدت إلى فساد السدود، كما تمكن الحسن بن عمران من الوصول إلى بعضها وتخريبها؛ مما أدى إلى امتلاء البطائح بالمياه؛ الأمر الذي ترتب عليه فشل التدابير التي اتخذها عسكر عضد الدولة في حرب الحسن، ثم اضطرب الأمر على المطهر فيما عاناه من محاولة إعادة إصلاح السدود؛ فهيأ ذلك الظروف للحسن بن عمران حتى يستعد للحرب ويسرع بشنها، فاشتبك مع المطهر في الماء فهزمه. وكان مما عجل بهزيمة المطهر أيضًا إطالته مدة الحرب؛

---

(١) التنوخي: الفرج بعد الشدة ، جـ١، ص١٧٣- ١٧٤.
(٢) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٤٠٩.

مما كلفه أموالاً طائلة، وأدى إلى سأم الجند من طول الإقامة فقرروا العودة. وبذلك فشلت الحملة في تحقيق أهدافها، مثلما فشلت الحملات السابقة(١).

شك المطهر في أن أنباء ما يقوم به تتسرب إلى الحسن بن عمران عن طريق أبي الحسن محمد بن عمر العلوى الكوفي(٢)؛ فخشي أن يعاقبه عضد الدولة فيشمت به أعداؤه فانتحر قبل أن يصل إلى بغداد، ولقد مات بينما كان يقول: "إن محمد بن عمر أحوجني إلى هذا". وقد أجبرت هذه الحادثة عضد الدولة على أن يعيد النظر في سياسته تجاه الحسن بن عمران؛ حيث التجأ إلى سياسة المصالحة، فأرسل عبيد الله بن الفضل لحفظ الجيش من التفكك، كما أمره بضرورة حسم أمر الحسن بن عمران سريعًا حتى تتغير الظروف، فاصطلحوا على مال دفعه الحسن بن عمران ورهينة سلمها، وعاد عبيد الله بهذا إلى عضد الدولة(٣).

كان هدف عضد الدولة من وراء هذا الصلح، استغلال الوقت ليستعد بقوة جديدة لحرب الحسن بن عمران، ومن ثم يتمكن من القضاء عليه، فراح يكيد للحسن المكائد حتى يوقع به، حيث اتفق مع بعض أهالي ووجوه البصرة على دعوة الكراعي إليهم؛ بحجة طرد والي البويهيين منها، واستخلاصها لنفسه، وبما أن الكراعي يقيم بالبطائح فلابد وأن يطلب المدد من الحسن بن عمران ليتقوى به، فإذا ما تم ذلك، وخرج الحسن لنجدته، وصار إلى دجلة، قام البصريون بقطع طريق العودة عليه، فلا يستطيع دخول البطائح(٤).

---

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٤٠٩-٤١٠؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٨٥- ٣٨٦.
(٢) محمد بن عمر: هو أبو الحسن العلوي من أهل الكوفة، سكن بغداد، وكان المقدم على الطالبيين في وقته والمنفرد في علو محله مع المال واليسار، وكثرة الضياع والعقار. توفي سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠م ببغداد، ثم حمل بعد ذلك للكوفة فدفن فيها. (الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف، مج٤، ط١، بيروت (دار الغرب الإسلامي)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٥٤). وذكر مسكويه أنه في أحداث سنة ٣٦٩هـ (٩٧٩م) "قبض عليه بالبطيحة وأنفذ إلى فارس وكان السبب فيه ما حفظ من كلام المطهر قبل وفاته فيه، وأمر أبو الوفاء طاهر بن محمد إلى الكوفة لقبض أمواله وأملاكه فوصل إلى شيء عظيم يستكثر من المال والسلاح وضروب الذخائر التي لا يظنّ بمثله أنّه يجمعها ودخلت اليد في ضياعه، وكانت كثيرة تشتمل على جلّ سقى الفرات بل قد تجاوز ذلك إلى غيره من أعمال السواد، واصطنع أخوه أبو الفتح أحمد بن عمر وقلّد الحج بالناس وأقطع إقطاعا سنيّا". (تجارب الأمم، جـ٢، ص٤١٢).
(٣) نفس المصدر، جـ٢، ص٤١٠-٤١١؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٨٥-٣٨٦.
(٤) مسكوية: المصدر السابق، جـ٢، ص٤١٣- ٤١٤.

ولقد نجحت هذه المؤامرة في بداية الأمر؛ حيث صدقهم الحسن بن عمران وخرج بعسكره مع الكراعي، وعندما وصلا إلى قرية المَطَارة[١]، تعجل رجالها فقاتلوا الحسن وجيشه، وقد كان الأصل تركهم حتى يتوغلوا إلى البصرة، فتقهقر الحسن وعسكره عائدين إلى البطائح بعد أن فقدوا كثيرًا من الرجال والسفن، وذلك في شعبان سنة ٣٦٩هـ/فبراير ٩٨٠م، في الوقت الذي سقط فيه الكراعي وحُمِل إلى البصرة[٢].

يتضح مما سبق أن عضد الدولة كان على معرفة تامة بأن البويهيين لن يستطيعوا كسب أية حرب ضد زعماء البطائح على أرض البطائح؛ لمناعتها وحصانتها الطبيعية ولعدم معرفة رجاله بطبيعة المنطقة؛ فدبر المكائد والحيل لإخراج الحسن بن عمران من مكمنه عساه يكسب بذلك الحرب[٣].

٣ – مقتل الحَسَن بن عِمْرَانَ وولاية أخيه أبي الفرج محمد (٣٧٢هـ/٩٨٢م):

اتصف حكم الأمراء البويهيين بعد وفاة عضد الدولة سنة (٣٧٢هـ/٩٨٣م) بالفوضى والاضطراب، فاضمحلت في أواخر الأمر مواردهم المالية، وتدهورت حالتهم الاقتصادية[٤].

أيضًا وفي العام نفسه، وقع نزاع بين أبناء عمران بن شاهين، وكان ذلك إنذارًا بانهيار هذه الأسرة؛ حيث تمكن أبو الفرج محمد بن عمران بن شاهين –وهو الأخ الأصغر للحسن والمعروف بتهوره وجهله وطمعه في السلطة– من قتل أخيه الأكبر الحسن بن عمران والاستيلاء على الحكم. وكان قد دبر وخطط لهذا الأمر من قبل؛ حيث استغل مرض أخته، وأشار على الحسن بزيارتها، ورتب مع القواد سرعة قتله فور وصوله، فلما خلا به، سل سيفًا، وقتله واعتلى مكانه. وكان قد وعد العسكر بالإحسان، وبذل الأموال، فأقروه على الإمارة، كما أسكت الثائرين على فعلته بالهدايا والأموال، ثم كان أن كتب إلى بغداد يظهر الطاعة، ويطلب تقليده البطائح، ويبدو

---

(١) المَطَارَةُ: مطارة من قرى البصرة على ضفة دجلة والفرات في ملتقاهما بين المذار والبصرة. (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة مطارة)، جـ٥، ص١٧٢).

(٢) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٤١٣ـ ٤١٤.

(٣) فايزة إسماعيل أكبر: "البطائح تحت نفوذ عمران بن شاهين من حوالي ٣٣٠- ٣٦٩هـ/٩٤١- ٩٧٩م"، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، العدد١، ١٩٩٥م، مج٧، ص١١٣- ١٣٧.

(٤) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادى أبو ريدة، مج١، ط٥، بيروت (دار الكتاب العربي)، ص٦٧.

أن طلبه لقى استجابة؛ حيث أصبحت العلاقة بينه وبين الخلافة العباسية والأمراء البويهيين حسنة ومستقرة [١].

ولا شك في أن هذا العمل يدل على أن سياسة زعماء البطائح دخلت منعطفًا جديدًا بعيدًا عن منهج عمران بن شاهين، الذي انتهج –في الأغلب– سياسة الصراع ضد البويهيين، متحديًا محاولاتهم المتكررة لإخضاع البطائح لحكمهم، غير أن في صنيع أبي الفرج المذكور إيذانًا بميلاد طور جديد في مسيرة الأسرة، ظهرت فيه موالية للحكام البويهيين.

٤– قتل أبي الفرج محمد بن عمران وتولية أبي المعالي بن الحسن بن عمران البطائح (٣٧٣هـ/٩٨٣م):

لم يدم حكم أبي الفرج طويلًا؛ حيث تعرض لنقمة رجاله عليه؛ ويرجع ذلك إلى أنه قرب منه صغار القواد الذين ساعدوه على قتل أخيه، وأبعد كبار القادة الأكفاء الذين عاصروا أباه وأخاه الحسن؛ ومن أمثال هؤلاء المظفر بن علي الحاجب، وكذلك القائد المعروف بالشعراني؛ الأمر الذي دعاهما وغيرهما إلى التذمر ضده. فاتفق المظفر مع القائد الشعراني وغيره من القادة الآخرين على قتل أبي الفرج، على أن يقوم المظفر بقتله نظير تكفُّل الشعراني بأمر الجند. وبالفعل سار المظفر إلى أبي الفرج، عندما علم أنه ركب من دار الإمارة إلى بناء استحدثه. ودخل عليه فلمّا رآه أبو الفرج قال له: "فيم حضرت؟" قال: "علمت ركوب الأمير فأحببت خدمته". وحضر من أعطاه كتابًا، فلمّا أخذه وتشاغل بقراءته، جرّد المظفر سيفه وثار إليه فضربه. ويبدو أن جند أبي الفرج حاولوا تخليص سيدهم من يد المظفر، ولكن ذلك لم يُجدِ نفعًا؛ حيث وصف أبو شجاع حالة المظفر في هذه الواقعة بقوله: "وهو كالجمل الهائج يدافعهم عن نفسه"، وأكبّ المظفر على أبي الفرج ضربًا، حتى فرغ منه وقد أصابته جراحة في يده وضربات في ذباب سيفه[٢].

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤٠٧؛ أبو الفدا: المصدر السابق، جـ٢، ص١٢٣؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٧٩- ٦٨٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ٤، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة)، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ص١٤١.

(٢) أبو شجاع: ذيل كتاب تجارب الأمم، تحقيق هـ ف آمدرور، جـ٣، القاهرة (دار الكتاب الاسلامي)، ص٨٨- ٨٩؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٠.

بعد أن تمكن المظفر من قتل أبي الفرج، نزل إلى المنصورة التي بها دار الإمارة، وقام باستدعاء أبي المعالي بن الحسن بن عمران، وعيَّنه أميرًا على البطائح، وكان طفلًا صغير السن، وقد ساعد ذلك المظفر على تدبير أمور البطائح بنفسه؛ حيث أطلق المال وأرضى الجند[1].

٥- انفراد المظفر بن على (الحاجب) بالبطائح (٣٧٣هـ- ٣٧٦هـ/٩٨٣-٩٨٦م):

أصبح المظفر يمارس سلطة الأمير الفعلية، ولا ينقصه إلا تولي منصب الأمير بصورة رسمية، وسرعان ما تطلع المظفر إلى الاستقلال بحكم البطائح، دون أبي المعالي؛ حيث استخدم القوة للتخلص من أتباعه الذين أسهموا معه في قتل أبي الفرج –وعلى رأسهم الشعراني الذي صار أحد معارضيه– حتى يتمكن من تدبير أموره، وتحقيق طموحه بالانفراد بحكم البطائح[2].

وفي هذا الإطار، يذكر أبو شجاع أن المظفر استخدم الحيلة للانفراد بحكم البطائح؛ فلكي يضمن رضا قواده وجنوده، "أمر كاتبه أن يكتب كتابًا عن السلطان إليه بالتعويل في تدبير الأمور عليه، ثم أمره بإحضار ركابي غريب وتسليم الكتاب إليه، وموافقته على الدخول بالكتاب عند احتفال المجلس بالناس مغبَّر الثياب والوجه، كأنه يشعث الطريق في ذلك. فلما كان في ذلك اليوم واجتمع الناس دخل الركابي على تلك الصورة، وأوصل الكتاب إليه فلما أخذه المظفر قبَّله ودفعه إلى الكاتب فقرأه وأظهر الاستبشار، وقال لأبي المعالي في الوقت: قمُ إلى أمك. وتظاهر بالإمارة ثم أحضر الجند وتوثق منهم، وقد كان أباد من خاف جانبه ولم يبق إلا من أمن بوائقه"[3]. فلم يكن بوسع أبي المعالي أن يعمل شيئًا، وهو يرى قلة أنصاره؛ وبذلك تخلى عن الإمارة[4]. وهكذا نجحت مؤامرة المظفر، وأُطلِقت يده في حكم البطائح؛ وبذلك انتهت الإمارة الشاهينية، وأصبحت أسرة أخرى تحكم البطائح.

---

(١) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٨٨؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤١٢، ٤١١؛ أبو الفدا: المصدر السابق، جـ٢، ص١٢٣.
(٢) نفس المصدر، جـ٣، ص٨٩؛ محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، ط٤، بيروت، ١٩٩٢م، ص٤٠٣، ٤٠٤.
(٣) نفس المصدر، جـ٣، ص٨٩؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٠.
(٤) نفس المصدر.

بدأ المظفر المرحلة الثانية من حكمه للبطائح، بعد أن استتب له الأمر؛ حيث لقب نفسه بالموفق، وعمل على استمالة الناس بالتودد إليهم، واستبدل بسياسة القتل سياسة الرحمة والعدل؛ فرد لأصحاب الضياع والأراضي ما كان أخذه منهم عمران بن شاهين وأبناؤه، وأخرج أبا المعالي وأمه إلى واسط، على أنه ظل يرسل لهم الأموال والنفقات(١).

كما حرص المظفر على بقاء الحكم في أسرته، وإن لم ينجب أبناء؛ فعمد إلى تولية أبناء أختيه من بعده؛ إذ جعل الأمر بعد وفاته لأبي الحسن علي بن نصر الملقّب أخيرًا بمهذّب الدولة، وقد لقّبه إذ ذاك بالأمير المختار، ويليه ابن أخته الأخرى علي بن جعفر(٢).

٦– ولاية مهذب الدولة (الأول) للبطائح (٣٧٦ – ٣٩٤هـ/٩٨٦م –١٠٠٣م):

لم يصل إلينا كثير عن أبي الحسن علي بن نصر الملقب بمهذب الدولة قبل أن يتولى حكم البطائح، وقد حكمها عقب وفاة خاله المظفر، وذلك سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م؛ للعهد الذي عقده له. ولما تولى أبو الحسن كتب يبذل الطاعة إلى شرف الدولة البويهي(٣)، ويطلب التقليد والخلع، فأجيب إلى ذلك، ولقب بالمهذب أولًا، ثم بمهذب الدولة بعد ذلك(٤).

وقد بلغت البطائح في عهد مهذب الدولة قمة ازدهارها السياسي والحضاري؛ فأصبحت واحدة من أهم ولايات الخلافة العباسية؛ وذلك لنجاح مهذب الدولة في جعلها دويلة مستقلة استقلالًا تامًّا تحظى بتأييد الأمراء البويهيين في أغلب الأحيان، وبرضى الخلفاء العباسيين دائمًا(٥).

ولعل أحسن تصوير يوضح ما بلغته البطائح من نفوذ وقوة على عهد مهذب الدولة، ما صوره لنا أبو شجاع قائلًا: "... وتدرجت الأحوال لعلي بن نصر الملقب بمهذب الدولة في أفعاله

(١) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٩٠.
(٢) نفس المصدر.
(٣) شرفِ الدَّوْلَةِ (٣٤٠ - ٣٧٩ هـ/٩٥١ - ٩٨٩ م): هو شيرويه بن عضد الدولة بن بويه الديلمي، أبو الفوارس، الملقب بشرف الدولة. كان يتولى أصبهان والري وشيراز، إلا أنه طمع في الاستيلاء على العراق فحارب أخاه صمصام الدولة ونجح في دخول بغداد وحبس صمصام الدولة. كان يميل إلى الخير وإزالة المصادرات من بغداد. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٦، ص٣٨٤؛ حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، جـ٣، ص٥٠ – ٥١).
(٤) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص١٣٤ـ ١٣٥؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤٢٨؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق، جـ٤، ص١٤٩.
(٥) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص١٣٥- ١٣٦.

الرضية إلى الرتبة العلية حتى عظم قدره وسار ذكره واستجار به الخائف فأجاره بأمانه ولاذ به الملهوف فوطأ له كنف أحساه، وسلك بالناس طريقة جميلة في العدل والإنصاف، وصارت البطيحة معقلًا لكل من قصدها من الأطراف، واتخذها الأكابر وطنًا فبنوا فيها الدور وشيدوا فيها القصور، وقصدها المسترفد والشعراء من كل صوب وفج إلى بابه، فأوسعهم جودًا ونوالًا وإكرامًا وأفضالًا، وكاتب ملوك الأطراف وكاتبوه وقاربهم وقاربوه وزوجه بهاء الدولة[(١)] ابنته، ونقلها إليه واستعان به في عدة أوقات فأعانه، واستدان منه فأدانه، وخطب له بواسط والبصرة وأعمالها، وصرفت إليه الدنيا أعنة إقبالها، وتوجت الأيام مفرق مفاخرة بمقام القادر بالله[(٢)] رضوان الله عليه في جواره"[(٣)].

ولعل استقرار إمارة مهذب الدولة بالبطائح، وازدهارها على مدار مدة حكمه، يرجع إلى عدة أسباب منها:

♦ موافقة الأمير شرف الدولة البويهي على ولاية مهذب الدولة (كما أشرنا من قبل).

♦ تمسُّك أبي الحسن علي بن جعفر بوصية خاله؛ حيث ظل حريصًا على ترتيب ولاية العهد بينهما، وذلك رغم تفوقه على مهذب الدولة في كثير من الصفات، لكنه لم يحاول الخروج أو التقدم عليه، ومع ذلك رأى أنه شريك له في الملك والأعمال والمال. كما حرص مهذب الدولة كذلك على بقاء الود بينهما، فقربه إليه، وأفرد له كثيرًا من النواحي والمعايش. وظل الأمر بينهما على ذلك حتى وفاة علي بن جعفر بعد مدة وجيزة؛ فاسترد مهذب الدولة جميع ما كان له، عدا أملاك جعفر الحقيقية، فقد أبقاها بيد أبنائه، وانفرد بتدبير الأمور دون منافس[(٤)].

♦ اتسمت علاقة مهذب الدولة أبي الحسن بالخلافة العباسية بالاستقرار؛ حيث لجأ إليه القادر بالله (قبل استخلافه)، وذلك بعد أن فر من بغداد من أخيه الخليفة الطائع لله الذي اتهمه

---

(١) بهاء الدولة: تولى العراق نحو سنة ٣٨٠ هـ/٩٩٠م بعد وفاة أخيه شرف الدولة، فخلع عليه الخليفة الطائع الخلع السلطانية، ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة، وقرئ عهده بين يديه بالتقليد. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٧، ص١٨٥).

(٢) القادر بالله: أحمد بن إسحاق بن المقتدر، أبو العباس، القادر بالله الخليفة العباسي. ولي الخلافة سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، بويع له بالخلافة بعد خلع الطائع. واتسم القادر بالستر والديانة والسيادة وإدامة التهجد بالليل وكثرة البر. (السيوطي: المصدر السابق، ص٣٢٤- ٣٢٧).

(٣) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص١٣٥؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤٢٨.

(٤) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص١٣٤- ١٣٥.

بمحاولة خلعه في أثناء مرضه في سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م، وأراد الطائع قتله، وظل القادر في البطائح يحظى برعاية مهذب الدولة حتى صار خليفة[١]؛ حيث ذكر الذهبي أنه في سنة (٣٨١هـ/٩٩١م) "استقدموه من البطائح فجهزه أميرها مهذب الدولة علي بن نصر، وحمله من الآلات والرخت[٢] بما أمكن، وأعطاه طيارًا[٣]، فلما قدم مدينة واسط أتاه الأجناد، وطلبوا رسم البيعة، وهاشوا، فوعدهم بالجميل فرضوا، فكان مقامه بالبطيحة أزيد من سنتين" [٤].

♦ كذلك اتسمت علاقة مهذب الدولة والأمراء البويهيين بالهدوء والاستقرار؛ حيث قام بتلبية كل ما يطلبه منه الملك البويهي بالعراق سواء أكان ذلك مالًا أم جندًا أم حتى خروجه بنفسه لقمع الثورات التي تنشب ضد البويهيين[٥]؛ فلقد قدَّم لبهاء الدولة البويهي المساعدة المالية؛ إذ اقترض منه الأخير قرضين[٦].

♦ صاهر مهذب الدولة البويهيين؛ حيث تمت خطوبة ابنة مهذب الدولة للأمير البويهي منصور بن بهاء الدولة، وابنة بهاء الدولة لمهذب الدولة على صداق قدره مائة ألف دينار من كلا الجانبين، وحمل المهذب بالمبلغ مالًا وغلّة، وذلك عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م[٧]. ويمكن القول هنا إن هذه المصاهرة السياسية قد خدمت مهذب الدولة كثيرًا، وأعطته أهمية كبيرة عند البويهيين.

♦ مد مهذب الدولة سلطته –على أثر ذلك– إلى مدينة واسط، وخطب له بها، كما حصل من البويهيين على ضمانات أسفل واسط بمبلغ مليون وثلاثمائة ألف درهم[٨].

(١) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٠٨؛ ابن الأزرق الفارقي: تاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض، القاهرة (المطابع الأميرية)، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ص٦٣-٦٥؛ أبو الفدا: المصدر السابق، جـ٢، ص١٢٦.
(٢) الرخت: كلمة فارسية تعني المتاع والبضائع والماشية والخيل، وكذلك الزينة. (أنور محمود زناتي: معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، ط١، عمان (دار زهران)، ٢٠١١م، ص١٨٠، ١٨١).
(٣) الطيار: نوع من أنواع السفن الخفيفة. (رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، جـ٧، بغداد (دار الشؤون الثقافية العامة)، ١٩٩٩م، ص١٠٩).
(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٥، ص١٢٨.
(٥) تقدمت الإشارة إلى حالة الفوضى والاضطراب السياسي التي حلت بالبويهيين بعد وفاة عضد الدولة؛ حيث القتال المستمر بين أمراء البيت البويهي أنفسهم وبينهم وبين عناصر جيشهم من الأتراك والديلم. ولقد أدت هذه الأوضاع إلى انعدام الأمن الداخلي وتعاظم الفتن والنزعات الطائفية بين أفراد المجتمع العراقي، كما أدى هذا أيضًا إلى زيادة اللصوص وقطاع الطرق، وقد ساعدت هذه العوامل جميعًا على تدهور الحالة الاقتصادية وخاصة النشاط التجاري. (ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٤، ص٣٦١- ٣٦٢؛ آدم متز: المرجع السابق، ص٦٧؛ إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص١٥٦).
(٦) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٥٧.
(٧) نفس المصدر، جـ٣، ص٢٥٤؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج ٧، ص٤٦٧-٤٦٨.
(٨) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٥٤-٢٥٧.

♦ قام مهذب الدولة بمساعدة بهاء الدولة عسكريًّا سنة٣٨٤هـ/٩٩٤م، في حربه ضد أبي كاليجار(١)؛ لاستعادة البصرة من يد أبي الطيب الفرحان الذي استولى عليها؛ حيث أرسل جيشًا من قبله انتصر على أبي كاليجار، بالقرب من نهر الدير(٢)، لتعود البصرة إلى نفوذ بهاء الدولة، الدولة، ويدخلها المرزبان بن شهفيروز عامله، وخطب له بها، ثم لمهذب الدولة بعده(٣).

♦ قام مهذب الدولة بمساعدة بهاء الدولة عسكريًّا للمرة الثانية عام ٣٨٦هـ/٩٩٦م؛ حيث تمكن لشكرستان –أحد أنصار صمصام الدولة– من أن يستعيد البصرة وينتزعها من سيطرة أتباع بهاء الدولة، فبطش بأهلها وقتل وسفك، ومدّ يده إلى أموال التجار؛ فخرب البلد وتشرّد كل من فيه. حينئذٍ كتب بهاء الدولة إلى مهذب الدولة قائلا: "إذا كان لشكرستان غلب على البصرة فأنت أحق بها منه"(٤).

فأرسل مهذب الدولة جيشًا بقيادة عبد الله بن مرزوق، وكاتب أبا العباس بن واصل(٥) وغيره من أصحاب الأنهار بالاحتشاد والاستظهار والاجتماع مع ابن مرزوق على حرب لشكرستان، وعندما اقترب مهذب الدولة من البصرة، فر منها لشكرستان؛ فدانت لمهذب الدولة. واختلفت الروايات في دفعه عنها، فقيل: إنّ أهل البصرة قويت نفوسهم فوثبوا على الديلم أنصار لشكرستان، فانصرف الأخير من غير حرب إلى أسافل دجلة، وقيل: بل عقد ابن مرزوق جسرا في الموضع المعروف بالجلّ، وقال: القصب المضرمة بالنار تغوص بثقلها فتعبر الشاشات (السفن) عليها فتغرقها في عسكر البطائح الكامنين وراءها. وهو ما حدث فدخل عسكر البطائح البصرة يقدمهم ابن مرزوق وعسكره. عندئذ تقهقر لشكرستان إلى سوق الطعام بالبصرة، وكانت

---

(١) أبو كاليجار: (٣٧٢- ٣٨٨هـ/٩٨٢-٩٩٨م) تولى العراق بعد أبيه عضد الدولة؛ حيث اجتمع القواد والأمراء فبايعوه وولوه الإمارة، ولقبوه صمصام الدولة، ولقبه الخليفة الطائع شمس الملة. (حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، جـ٣، ص٥٥- ٥٦).

(٢) نهر الدير: نهر كبير بين البصرة ومطارا بينه وبين البصرة نحو عشرين فرسخا، سمي بذلك لدير كان على على فوهته يقال له دير الدهدار، وهناك بليد حسن. (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة نهر)، جـ٥، ص٣٦٩).

(٣) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٥٧.

(٤) المصدر نفسه، جـ ٣، ص٢٧٢.

(٥) أبو العباس بن واصل: كان ابتداء حاله نائبا عن طاهر بن زيرك الحاجب في الجهبذة، وارتفع معه ثم أشفق أشفق منه ففارقه وسار إلى شيراز واتصل بخدمة فولاذ وتقدم عنده. فلما قبض على فولاذ عاد أبو العباس إلى الأهواز بحالة سيئة، فخدم فيها ثم أصعد إلى بغداد فضاق الأمر عليه فخرج منها، وخدم أبا محمد بن مكرم، ثم انتقل إلى خدمة مهذب الدولة بالبطيحة فجرد معه عسكرا، وسيره إلى حرب لشكرستان حين استولى على البصرة، ومضى إلى سيراف وأخذ ما بها لأبي محمد بن مكرم من سفن ومال وأتى ساحل دجلة، فغلب عليها وخلع طاعة مهذب الدولة. وسيأتي تفصيل ذلك في موضع لاحق. (ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٢٩).

فسيحة، واستمرّ القتال بين الفريقين ولئن كان للديلم –جند لشكرستان– الاستظهار في الحرب، فقد كان للبطائحيين قطع الميرة. فراسل لشكرستان مهذّب الدولة وسأله المصالحة وبذل له الطاعة والمتابعة، على أن يقيم له الخطبة ويسلّم ابنه إليه رهينة، فمال مهذّب الدولة إلى الصلح وسلّم لشكرستان ابنه أبا العز، واتّصل الصفاء واستمرّ الوفاء زمانا طويلًا بينه وبين مهذب الدولة، بجانب صمصام الدولة وبهاء الدولة أيضًا، حتى عاد لشكرستان إلى الظلم والسلب والقتل بالبصرة، ثم مال إلى العدل وأحسن السيرة، بعد أن قرّر نصف العشر عليهم، وقد كان يؤخذ من سائر ما يباع حتى من المأكولات، هنا عاد البصريون إلى دورهم ومنازلهم(١).

♦ قام مهذب الدولة بدور الوساطة بين بهاء الدولة وبعض أمرائه؛ ومن هؤلاء أبو القاسم علي بن أحمد الأبرهوقي؛ حيث ظل مقيمًا في كنف مهذب الدولة أبي الحسن، حتى توسط له عند بهاء الدولة، فراسله بهاء الدولة البويهي، وذلك عام ٣٨٥هـ/٩٩٥م ليستوزره، فذهب إليه بعد أن اشترط العودة إلى البطائح إذا لم تسر الأمور كما يريدها، وبالفعل لم تسر الأمور فعاد –طبقا لشرطه– إلى البطائح(٢). وهناك أيضًا سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة، الذي أعاده مهذب الدولة إلى خدمته مرة أخرى، بعد أن استأمن له منه سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م(٣).

ونتيجة للجهود التي قام بها مهذب الدولة للصلح بين بهاء الدولة وبعض أمرائه، أرسل بهاء الدولة له كتابًا يشكره فيه على ذلك(٤).

كما لجأ علي بن مزيد الأسدي(٥) في سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م إلى مهذب الدولة؛ فرارًا من المقلد المقلد ابن المسيب صاحب الموصل، فتوسط مهذب الدولة بينهما وأصلح الأمور(٦).

(١) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٧٢- ٢٧٤؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤٨٣؛ علي ظريف الأعظمي: المرجع السابق، ص١١١-١١٣.
(٢) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٦٨-٢٦٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤٧٥.
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤٨٥.
(٤) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٧٥.
(٥) علي بن مزيد الأسدي: لقبه سند الدولة، أبو الحسن: أول الأمراء المزيديين وأصحاب الحلة، كان شجاعا، اشتهر بوقائعه مع "بني دبيس"، وقلده فخر الدولة البويهي أمر الجزيرة الدبيسية سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م، وقاتله مضر بن دبيس فانتزعها منه، بعد حرب طويلة، وانحصرت إمارة ابن مزيد في نواحي الحلة. وتوفي فيها سنة ٤٠٨هـ/١٠١٨م. (ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٨٣- ٨٤؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٣٥٦-٣٥٧؛ الزركلي: المرجع السابق، جـ٥، ص٢٢).
(٦) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٩٥ -٢٩٦.

وهناك أيضًا رجال للخليفة العباسي لجئوا إلى مهذب الدولة؛ لحمايتهم من غضب الخليفة عليهم؛ وذلك لشعورهم بقوة مهذب الدولة، وقدرته على توفير الأمان لهم؛ من هؤلاء عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب[1]، الذي ذهب عام ٣٨٨هـ/٩٩٨م، بعد هروبه من المعتقل إلى البطائح، وقد ظل بها حتى كاتب الخليفة القادر بالله مهذب الدولة في إخراجه بعد أَخْذ الأمان له[2].

ويتضح لنا من ذلك ما وصلت إليه البطائح من قوة في عهد مهذب الدولة الذي ارتبط بعلاقات قوية مع المحيطين به؛ وربما استهدف من وراء ذلك كله الحفاظ على استقلال ولايته، في ظل خشيته من نقمة البويهيين، وحربهم له. ويثني أبو شجاع على مهذب الدولة، عاقدًا مقارنة بينه وبين بهاء الدولة، فيقف على كيفية اختلال أمر الأخير، وهو عريق في الملك؛ مرجعًا ذلك إلى سوء سيرته، في حين استقام أمر مهذب الدولة وهو دخيل في الإمارة صاحب بطيحة؛ مرجعًا ذلك إلى حسن طريقته[3].

ويبدو من ذلك أن الاستقرار السياسي للبطائح أدى إلى اهتمام مهذب الدولة بالمظاهر الحضارية هناك؛ خاصة العمارة والبناء؛ حيث بنى بها سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م دارًا واسعة بالصليق حرص على أن تحاكي في مظهرها أبنية الملوك، غير أنها تهدمت سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م وقلعت أسسها، حين طمع بعض الجند بها فنهبوا محتوياتها وهدموها[4].

---

(١) ابن الوثاب: هو عبد الله بن جعفر، كان يقرب بالنسب إلى الطائع لله وكان مقيما في داره. فلمّا قبض عليه وخلع من الأمر، هرب إلى البطائح، وأقام عند مهذّب الدولة فكاتبه القادر بالله في أمره فأخرجه من بلده، ثم صار إلى المدائن فانتهى إلى القادر بالله خبره فأنفذ من اعترضه وأخذه مقبوضا عليه وحُبس في بعض المطامير، فتهيأت له فرصة للهرب من موضعه فهرب ومضى إلى كيلان وادّعى أنّه هو الطائع لله، وذكر لهم علامات عرفها بحكم أنسه بدار الخلافة؛ فقبلوه وعظّموه وزوّجه محمد بن العبّاس أحد أمرائهم ابنته وشدّ منه، وأقام له الدعوة في بلده وأطاعه أهل نواح أخر وأدوا إليه العشر الذي جرت عادتهم بأدائه إلى من يتولى أمرهم في دينهم. وورد من هؤلاء الجيل إلى بغداد قوم وصلوا إلى حضرة القادر بالله رضى الله عنه؛ فأوضِحت لهم حقيقة الحال، وكتب على أيديهم بإزالة الشبه فلم يقدح ذلك فيه لاستقرار قدمه واعتضاده بحميه. (أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٣٠٥- ٣٠٦).

(٢) نفس المصدر، جـ٣، ص٣٠٥؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج ٧، ص٤٩٧.

(٣) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٧٤.

(٤) هلال الصابي: تاريخ الصابي ملحق بكتاب ذيل تجارب الأمم، جـ٤، القاهرة، (دار الكتاب الاسلامي)، ص٤٥٥.

٧- استيلاء أبي العباس بن واصل على البطائح (٣٩٤-٣٩٥هـ/١٠٠٣- ١٠٠٤م):

هنا تبدأ المرحلة الثانية من حكم مهذب الدولة؛ وهي عندما نجح أبو العباس بن واصل في طرده، والاستيلاء على البطائح؛ حيث لم تستمر أوضاع مهذب الدولة أبي الحسن بهذا الاستقرار، بل تمكن أبو العباس بن واصل من أن ينتزع البطائح من حكمه سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م، وقد ابتدأ أبو العباس بن واصل حياته في الجهبذه، ثم انتقل إلى خدمة مهذب الدولة في البطائح، وقد طمع في السلطة وتوجه إلى أسافل دجلة وتغلب عليها، هنا أعلن ابن واصل خلع طاعته لمهذب الدولة أبي الحسن، فأرسل إليه الأخير حملة مكونة من مائة سميرية، فيها مقاتلة، ولكنه فشل حيث أغرق أبو العباس بعضًا منها، واستولى على الباقي. ويبدو أن أبا العباس بن واصل قرر أن يستثمر فوزه على مهذب الدولة؛ إذ تحرك بجيشه واتجه إلى الأبلة، فهزم أبا سعد بن ماكولا، وهو يصحب لشكرستان، واستولى على البصرة، ونزل دار الإمارة، وأمن الديلم والأجناد. وقد قصد لشكرستان مهذب الدولة، فقام بإمداده بجيش كبير لمعاودة قتال أبي العباس واسترداد البصرة منه، إلا أن لشكرستان هزم للمرة الثانية أمام ابن واصل، الذي استولى على جميع ما معه من سلاح وأموال. وقرر التوجه إلى البطائح للاستيلاء عليها، فأرسل إلى مهذب الدولة رسالة يستهزئ به فيها؛ حيث قال له: "قد هزمت جندك، ودخلت بلدك، فخذ لنفسك". ثم كان أن خرج مهذب الدولة من البطائح بعد أن هزمه ابن واصل، فسار إلى بشامني، وصار عند أبي شجاع فارس بن مردان وابنه صدقة، فغدرا به وأخذا أمواله، فاضطر إلى الهرب، وسار إلى واسط فوصلها على حالة سيئة للغاية، فخرج إليه أهلها فلقوه، وأصعدت زوجته ابنة الملك بهاء الدولة إلى بغداد، وأصعد مهذب الدولة إليها فلم يمكن من الوصول إليها. وقد وكل أبو العباس بالدار التي كانت لتلك الزوجة من يحرسها، ثم جمع كل ما فيها وأرسله إلى أبيها، غير أنه قام بالاستيلاء على أموال مهذب الدولة الكثيرة وبلاده[١].

ثم كان أن ثار أهل البطائح على حكم ابن واصل واختلفوا عليه فقاموا بإثارة المشاكل، حتى إنه قام بإرسال سبعمائة فارس إلى الجازرة لإصلاحها، إلا أن أهلها تصدوا لهم وقاتلوهم فظفروا بالعسكر، وقتلوا منهم كثيراً، فلما يئس ابن واصل عاد إلى البصرة تاركا البطائح خالية

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٢٩- ٣٠؛ أبو الفدا: المصدر السابق، جـ٢، ص١٣٧؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨١.

ممن يحفظها من رجاله. كما تدخل بهاء الدولة في الأمر؛ خوفا من أن يترك ابن واصل فيطغى نفوذه ويتقوى على المزيد من الولايات؛ لذلك سار من فارس إلى الأهواز للاستعداد له وأحضر عميد الجيوش[١] من بغداد وأرسله على رأس جيش كبير؛ لحرب ابن واصل فوصل عميد الجيوش إلى واسط، وزود جيشه هناك بسفن وغيرها وسار إلى البطائح، وفرق جنده في البلاد لتقرير قواعدها. وعندما سمع أبو العباس بذلك لم يترك لعميد الجيوش فرصة الخروج إليه، فخرج إليه هو من البصرة، وتهدده قائلا: "ما أحوجك تتكلف الانحدار، وقد أتيتك فخذ لنفسك". فلقيه بالصليق فانهزم عميد الجيوش هزيمة كبيرة، ضاع فيها سلاحه وخيامه وفقدت خزائنه، فاضطر عميد الجيوش إلى أن يعود إلى واسط، فأخبره خازنه أنه قد دفن في الخيمة ثلاثين ألف دينار وخمسين ألف درهم، فأنفذ من أحضرها، وقوي بها، وأخذ يجمع العساكر وعزم على العودة إلى البطائح للاستيلاء عليها من ابن واصل[٢].

٨- ولاية مهذب الدولة (الأول) للبطائح، (للمرة الثانية) (٣٩٥-٤٠٨هـ/١٠٠٤-١٠١٧م):

واتت الفرصة عميد الجيوش عندما فشل نائب ابن واصل في المقام بالبطيحة وغادرها إلى صاحبه، فأرسل عميد الجيوش إليها نائبًا من أهلها، إلا أنه تشدد في معاملة الناس وأخذ الأموال دون الرجوع إليه. فلما رأى عميد الجيوش استبداد هذا الوالي، قرر إحضار مهذب الدولة، فأرسل إليه ببغداد. فلما وصل إليه سير معه العسكر في السفن متوجها إلى البطائح، فدخلها في شعبان سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م[٣].

استقبل أهالي البطائح مهذب الدولة استقبالًا حافلًا وسروا بقدومه، وسلموا إليه جميع الولايات، كما تقرر عليه كل سنة لبهاء الدولة خمسون ألف دينار[٤]؛ وبذلك خلصت البطيحة مرة ثانية لحكم مهذب الدولة، ولم يعد أبو العباس بن واصل ثانية للاستيلاء عليها أو غزوها[٥]؛ إذ انشغل عنها؛ حيث حفر نهرًا إلى جانب النهر العضدي بين البصرة والأهواز، وكثر ماؤه، وكان

(١) عميد الجيوش (٣٥٢ - ٤٠١ هـ/٩٦٣ - ١٠١٠ م): الحسين بن أبي جعفر، ويقال له ابن أستاذ هرمز، أبو علي، كان أبوه حاجبا لعضد الدولة. نشأ وتقدم عند بني بويه، ولما صار الأمر إلى بهاء الدولة استنابه على العراق، فقدمها سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٦م، والفتن ثائرة بها، فضبطها بأحكم سياسة، وأمن الناس في أيامه، واستمر تسع سنين إلا شهرا. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٧، ص٢٣٠-٢٣١).
(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٢٩-٣٠؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٢.
(٣) أبو الفدا: المصدر السابق، جـ٢، ص١٣٧.
(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٢.
(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٣٢.

قد اجتمع عنده جمع كثير من الديلم وأنواع الأجناد. ولما كثر ماله وذخائره، وما استولى عليه من البطيحة، قوي طمعه في الملك، وسار هو وعسكره إلى الأهواز في ذي القعدة، فجهز إليه بهاء الدولة جيشاً، فالتقوا بنهر السدرة، وقاتلهم أبو العباس، وسار إلى الأهواز وتبعه من كان قد لقيه من العسكر، فالتقوا بظاهر الأهواز، وانضاف إلى عسكر بهاء الدولة العساكر التي بالأهواز، فاستظهر أبو العباس عليهم، ورحل بهاء الدولة إلى قنطرة أربق، عازماً على المسير إلى فارس، ودخل أبو العباس إلى دار المملكة، وأخذ ما فيها من الأمتعة والأثاث المتخلف عن بهاء الدولة، إلا أنه لم يمكنه المقام لأن بهاء الدولة كان قد جهز عسكراً ليسير في البحر إلى البصرة، فخاف أبو العباس ذلك، وراسل بهاء الدولة وصالحه، وزاد في إقطاعه، وحلف كل واحد منهما لصاحبه، وعاد إلى البصرة، وحمل معه كل ما أخذه من دار بهاء الدولة ودور الأكابر والقواد والتجار [١].

من ناحية أخرى، ظل مهذب الدولة منفردا بحكم البطائح حتى وفاته في جمادى الأولى سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م، عن عمر يناهز ٧٣عاما[٢].

ويلفت النظر أننا لم نجد من التنظيمات الإدارية عند مهذب الدولة ما هو بالشيء الذي يذكر؛ فهو لم يتخذ له وزيراً بل اتخذ كاتبًا، وكان هبة الله بن عيسى كاتبه ومدبر أمره، وكان شاعرًا وأديبًا، وقد خدم الخليفة القادر بالله عند إقامته برحاب مهذب الدولة في البطائح فيما بين عامي ٣٧٩هـ - ٣٨١هـ/٩٨٩م -٩٩١م[٣].

٩- ولاية أبي عبد الله بن يني[٤] (ابن أخت مهذب الدولة الأول) (٤٠٨هـ/١٠١٧م):

حينما افتصد مهذب الدولة في مرض وفاته، وانتفخ ساعده، واشتد مرضه منه قبيل وفاته بثلاثة أيام، عمل بعض الجند على تولية ابنه أبي الحسين أحمد من بعده. فلما سمع أبو عبد الله محمد بن يني ابن أخت مهذب الدولة، قام بتوطيد علاقته بالجند الديلم والأتراك، واتفق معهم واستحلفهم لنفسه، وقرر معهم القبض على ابن مهذب الدولة، فقاموا بحيلة وتآمروا عليه؛ حيث

---

(١)ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٣٢.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٤، ص١٧٤؛ الزركلي: المرجع السابق، جـ٥، ص٢٩.
(٣) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٠٤.
(٤) ذكره أبو الفدا باسم أبي محمد عبد الله بن يمني.(المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص١٥٠)، في حين ذكره ذكره ابن خلدون باسم أبي عبد الله محمد بن نسي. (ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٣).

تظاهروا بتأييده، ورغبتهم في توليته وطالبوه بالذهاب معهم إلى دار الإمارة؛ لإظهار أمره وأخذه البيعة من الناس كافة. فلما خرج معهم قبضوا عليه وسلموه إلى أبي عبد الله، ويقال إن والدته علمت بما جرى له فدخلت على مهذب الدولة قبل موته بيوم وأخبرته بما حدث لولدهما، فلم يستطيع أن يفعل شيئًا له وتوفى في اليوم التالي؛ ومن ثم تولى محمد بن يني، وتسلم الأموال والبلد، ثم أمر بضرب أبي الحسين بن مهذب الدولة حتى توفى بعد ثلاثة أيام من موت أبيه(١).

ولم تذكر المصادر المتوفرة لدينا شيئا عن ابن يني هذا؛ ربما لأن مدة حكمه كانت قصيرة لم تتجاوز ثلاثة أشهر؛ إذ سرعان ما توفى أثر ذبحة في منتصف شعبان من السنة نفسها ٤٠٨هـ/١٠١٧م. وكان قد قال قبل موته: رأيت مهذب الدولة في المنام وقد مسك حلقي ليخنقني، ويقول: قتلت ابني أحمد، وقابلت نعمتي عليك بذاك. فمات بعد أيام، وكان ملكه أقل من ثلاثة أشهر(٢).

١٠ – ولاية الحسين بن بكر الشرابي البطائح (٤٠٨–٤١٠هـ/١٠١٧– ١٠١٩م):

اجتمع القواد عقب وفاة ابن يني، واتفقوا على تولية حكم البطائح إلى أبي عبد الله الحسين ابن بكر الشرابي –أحد خواص مهذب الدولة– فتولى حكم البطائح، وقد بدأ حكمه بمحاولة الحصول على اعتراف بحكمه؛ حيث أرسل الأموال والهدايا إلى الأمير البويهي سلطان الدولة(٣)؛ فأقره على البطائح، وظل في منصبه حتى سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م(٤).

ثم حدث أن توجه إلى الشرابي أحد الفارين من وجه سلطان الدولة ويدعى ابن سهلان(٥)، فأخرج إليه الجندَ والحاشيةَ، ولم يخْرُجْ إليه بنفسه؛ مراعاةً للسلطان، وأنزله معه في داره، فقيل له: قد علمتَ حال هذا الرجلِ ومكانتَه، وقد عزَّ عليه كونُكَ ما استقبلْتَه، ومن المروءةِ أن تنهض إلى

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٢٠.
(٢) نفس المصدر؛ أبو الفدا: المصدر السابق، جـ٢، ص١٥٠.
(٣) سلطان الدولة: أبو شجاع فناخسرو بن خره فيروز الديلمي، خلف أباه بهاء الدولة من سنة ٤٠٣ ــ ٤١١ هـ/١٠١٢- ١٠٢٠م. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ١٧، ص٣٤٥).
(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٢٠؛ كما ذكره ابن خلدون باسم السراني. (ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٦٨٣).
(٥) الحسن بن الفضل بن سهلان، أبو محمد (ت ٤١٤ هـ/١٠٢٣م): وزير سلطان الدولة، كان جوادا، إلا أنه أخطأ الرأي -لما ولاه سلطان الدولة العراق- في قطع أرزاق الأتراك؛ مما كان سببا لهلاكه. فلم تطل دولته أكثر من شهرين ونصف. (سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٨، ص٣١٠؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، مج٩، ص٢٣٣).

الحُجرة التي أنزلْتَه فيها وتقضي حقَّه. فقام، ودخل إليه، فجلس قليلًا وخرج، وإذا حاجب قد ورَدَ من بغداد في معناه، فقال بأن سلطان الدولةِ يخبره بانحدار ابن سهلان من الأنبار طالبًا للبَطيحَة، فإن حصل عندك فتحتاط عليه إلى أن ينفذ من يتسَلَّمه، وإن انحدرَ إلى البصرة فأقِمْ له الرَّصَدَ في الطريق، واجتهِدْ في تحصيله، وكانت الرسالةُ مع بختيار حاجبِ الوزير، فقال لبختيار: قد وصل في هذه الساعة وأنا أنظرُ في أمره[١].

وانصرف بختيار من حضرته، فقال الشرابي لأصحابه: "قد تحيَّرتُ في أمره، إن أسلمتُه كان فضيحةً وقباحةً، وإنْ لم أُسْلِمْه عاديتُ سلطانَ الدولة. فلمَّا كان بعدَ أيامٍ وَرَدَ رسول بغداد عن الملك في طلب ابن سهلان، فتحيَّر الشرابيُّ، وجمع إليه وجوه البطائحيين، وقال: ما ترون؟ فقالوا: قد علمتَ أنَّ ناموس بلدنا هذا أن من لجأ إليه واستجار به يُجار، وما جرت العادةُ بتسليم مَنْ يحصل عندنا، لا في قديم الزمان ولا في حديثه، فدافع عن الرجل، فراسله، وقوَّى نفسَه، وعقَدَ لابنه على ابنتِه سرًّا، وتحالفا وتعاهدا، ثم ردَّ الشرابيُّ رسالةً إلى بغداد يقول: قد عُرِفَ عادةُ بلدنا في إجارة مَنْ استجار بنا، وما يُمكننا نقضُ هذه السُّنَّة، فإن كان الغرضُ حِفْظَ هذا الرجل ومنعَه من الإفساد فهو في داري كالمعتقل، وما أُمَكِّنُه من أمرٍ تخافه منه". وقام ابنُ سهلان عند الشرابيِّ على ما يري[٢].

١١- ولاية صدقة بن فارس المازياري البطائح (٤١٠- ٤١٢هـ/١٠١٩- ١٠٢١م):

حين انقلب سلطان الدولة على الشرابي، أرسل إليه صدقة بن فارس المازياري، فملك البطائح، بعدما قاتل الشرابي وابن سهلان، ولئن انحدر الأخير بعد هزيمته إلى البصرة، فقد قام صدقة بالقبض على أبي عبد الله الشرابي، وبقى أسيرًا في سجنه[٣]، ثم أطلِق سراحه بعد وفاة صدقة سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م[٤].

(١) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٨، ص٢٧٥.
(٢) نفس المصدر، جـ١٨، ص٢٧٥- ٢٧٦.
(٣) يذكر أبو الفدا أن سلطان الدولة قبض عليه في سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م، وأرسل سلطان الدولة صدقة بن فارس المازياري فملك البطائح. (المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص١٥٠).
(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٢٠.

<u>١٢– ولاية سابور بن المرزبان بن مروان البطائح (٤١٢– ٤١٨هـ/١٠٢١– ١٠٢٩م):</u>

حاول أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين قبل وفاة صدقة، وفي أثناء مرضه، الاستيلاءَ على البطائح، ويبدو أن هذه الأسرة كانت تطمح إلى تولي أمر البطائح من جديد، ولم يتوقف طموح أفرادها حينما طرد المظفر بن علي الحاجب أبا المعالي بن الحسن بن عمران من البطائح وأبعده إلى واسط سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م. وكان أبو الهيجاء هذا قد تنقل بعد وفاة أبيه عند بعض الأمراء والحكام بمصر وغيرها. وانتهى به المقام عند الوزير أبي غالب –وزير سلطان الدولة– فأرسل إليه أهالي البطائح يطلبون منه القدوم ليسلموه الحكم فسار إليهم. ويبدو أن أبا الهيجاء استغل مرض صدقة، والعواطف التي يكنها أهل البطائح لآل شاهين، وكان ذلك قبل وفاة صدقة، فلما سمع صدقة بقدوم أبي الهيجاء، سير إليه جيشًا لقتاله بقيادة سابور بن المرزبان ابن مروان؛ فانهزم أبو الهيجاء وأُخِذ أسيرًا، وأراد صدقة سجنه إلا أن سابور قد أصر على قتله، ثم توفى صدقة[(١)]، فوقع اختيار أهل البطائح على سابور بن المرزبان فتولى أمرهم، وكتب إلى مشرف الدولة البويهي[(٢)]، طالبا منه أن يقرر عليه ما كان على صدقة من مال؛ ضمانًا لحكم البطائح، فأجابه إلى ذلك بعد أن زاد عليه الأموال[(٣)]. ويلاحظ أن المعلومات المتوافرة عن حكم صدقة فقيرة جداً.

<u>١٣– ولاية أبي نصر شيرزاد بن الحسن بن مروان (٤١٨هـ/١٠٢٧م):</u>

لم يلبث أن نافس أبو نَصْر شيرزاد بن الحَسَن بن مَرْوَان، سابورَ بن المرزبان على ولاية البطائح؛ حيث زاد أبو نصر مشرف الدولة البويهي في الأموال أكثر من سابور؛ فأقره حينئذٍ على ولاية البطائح، فسار إليها، في حين غادرها سابور إلى جزيرة بني دبيس، فاستقر أبو نصر شيرزاد بالبطائح، لكنه لم يستمر في حكمها إلا مدة قصيرة من سنة ٤١٨ هـ/١٠٢٧م، ويذكر

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٣٤- ١٣٥؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٤.
(٢) مشرف الدولة: أبو على بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بوية، خلف أخاه سلطان الدولة في حكم العراق من سنة ٤١١ – ٤١٦هـ/١٠٢٠- ١٠٢٥م، وذلك بعد مؤازرة الجند له وطلبهم ذلك؛ ومن ثم دب النزاع بينهما ثم صفا له الجو بوفاة سلطان الدولة وفي عهده ازداد نفوذ الأتراك. وكان مشرف الدولة كثير الخير حكم مدة خمس سنوات. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٧، ص٤٠٨).
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٣٤- ١٣٥؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٤.

ابن الأثير أن البطائح نعمت ببعض الاستقرار في عهده وأصبحت الطرق آمنة(١)، الأمر الذي استمر حتى أرسل أبو كاليجار (٢) الوزير أبا محمد بن باشاذ حاكمًا على البطائح.

١٤ – عصيان أهالي البطائح وثورتهم على أبي محمد بن بابشاذ وزير أبي كاليجار، وولاية الشرابي الثانية (٤١٨هـ/١٠٢٧م):

أعلن أهالي البطائح عصيانهم على الأمير البويهي أبي كاليجار سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م، وكان في مقدمتهم أبو عبد الله الحسين بن بكر الشرابي، الذي كان قديماً صاحب البطائح، على نحو ما تقدم. وكان سبب هذا الخلاف أن الملك أبا كاليجار أرسل وزيره أبا محمد بن بابشاذ لتولى حكم البطائح، فتشدد في معاملة الناس هناك، وأخذ أموالهم وأساء إليهم، إلى حد أنه أمر بوضع على كل دار بالصليق قسطاً؛ مما اضطر كثيرا من الأهالي إلى ترك البطائح. وكان يساعده على تنفيذ سياسته تجاههم أبو عبد الله الحسين بن بكر الشرابي –الوالي السابق– لذلك رأى من بقي من أهالي البطائح ضرورة العصيان على أبي كاليجار، وقتل الشرابي، الذي كانوا ينسبون إليه كل ما يجري عليهم، فعلم الشرابي بما يدبرونه له فأسرع إليهم، وأخذ يهدئهم ويعتذر لهم، بل ووعدهم بالمساعدة وتحالف معهم سرًّا(٣).

ثم أخذ الشرابي في تنفيذ ما اتفق عليه مع أهل البطائح فذهب إلى الوزير، وأشار عليه بإرسال أصحابه إلى عدة جهات ليحصلوا الأموال، كما نصحه بنقل السفن إلى مكان سماه له لإصلاحها وتجديدها ففعل. وكان هدف الشرابي من وراء ذلك إضعاف قوة الوزير، ثم وثب هو وأهل البطائح عليه، وأخرجوه من البلاد. وقد ساعدهم في هذه الثورة بعض عسكر جلال الدولة(٤)، الذين كانوا في سجن الوزير، وأخرجهم الثوار، واستعانوا بهم في فتح السواقي؛ لإغراق

(١)ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٣٤- ١٣٥.
(٢) أبو كاليجار: هو ابنُ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ بنِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْه، ملك شيراز بعد وفاة أبيه سلطان الدولة، واستولى على بلاد فارس، وكان يريد أن يخلفه عسكر أبيه ولكن عمه أبا الفوارس نازعه ذلك. كما أخذ في الاستيلاء على البصرة وكرمان وواسط وغيرها. حتى نجح فى دخول بغداد عام ٤٣٥-٤٤٠هـ/١٠٤٥-١٠٤٩م بعد أن استمال كبار القواد بالأموال، وقد اعترف سائر أمراء العراق بنفوذه. وكانت مدة ولايته على العراق أربع سنين وشهرين وأياماً، في حين كانت مدة ولايته على فارس والأهواز عشرين سنة. (الذهبي: المصدر السابق، جـ١٧، ص٦٣١؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٣١- ٦٣٢؛ حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، جـ٣، ص٦٧ –٦٨).
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج ٨، ص١٦٠؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٤.
(٤) جلال الدولة: ٤١٣ – ٤٣٥هـ/١٠٢٢- ١٠٤٣م، خطب له ببغداد بعد وفاة أخيه مشرف الدولة، فلم يقدمها وانتهى إلى واسط فأقام بها، ثم أسرع بالانتقال من واسط إلى بغداد إلا أن الجند ردوه؛ مما أدى إلى حدوث

البلاد[١]. حينئذٍ استعاد الثوار البطائحيون سيطرتهم على البلاد، واختاروا الشرابي واليا عليهم، وعادوا إلى ما كانوا عليه أيام مهذب الدولة؛ فقاتلوا كل من قصدهم وزادت منعة بلادهم[٢].

١٥ – ولاية ابن المعبراني للبطائح (٤١٨ – ٤٣٣هـ/١٠٢٧ – ١٠٤٢م):

ثم قصد ابن المعبراني البطائح سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م، واستولى عليها بدلًا من الشرابي الذي فارقها إلى دبيس بن مزيد[٣]، فأقام عنده مكرما[٤]. ولم تذكر المصادر شيئًا من أحوال البطائح تحت حكم ابن المعبراني، وحتى ولاية نصر بن الهيثم.

١٦ – ولاية أبي نصر بن الهيثم وحرب أبي كاليجار له (٤٣٣ – ٤٣٩هـ/١٠٤٢ – ١٠٤٧م):

قصد أبو نصر بن الهيثم الصليق من البطائح سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٢م، واستولى عليها عسكريًّا، وحرص على أن يحصل على تقليد لحكمها، وكغيره من الأمراء المقلَّدين، فقد تعهد بأن يدفع مبلغًا من المال كل سنة إلى جلال الدولة، كما يبدو أيضًا أنه واجه صعوبات من بعض الجند إلى حد وقوع حرب بينه وبين الأجناد من الغز والديلم فأحرق الجامدة. فرد الجند على ذلك بالخطبة فيها لأبي كاليجار سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م[٥]؛ حيث تزامن هذا العام مع موت جلال الدولة، وتولية أبي كاليجار بن سلطان الدولة، بعد أن استمال كبار القواد بالأموال، فأقاموا الخطبة له واستقر الأمر له ببغداد، واعترف سائر أمراء العراق بنفوذ أبي كاليجار[٦].

ثم تجدد الخلاف مرة أخرى بين أبي كاليجار ونصر بن الهيثم؛ إذ حاصر جيش أبي كاليجار بقيادة أبي الغنائم بن الوزير ذي السعادات ابنَ الهيثم وجيشه في البطائح سنة

فوضى ببغداد اضطر معها الجند الطلب من الخليفة دعوة جلال الدولة إلى بغداد ليملكها ولتجتمع الكلمة ويسكن الهرج. (ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٣٢، ٦٣٣).

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٦٠- ١٦١؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٤.

(٢) نفس المصدر، مج٨، ص١٦١؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٤.

(٣) بنو مزيد: ظهروا بزعامة أبي الحسن على بن مزيد، وهم من بني أسد، وكان أول ظهورهم في سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م؛ حيث نقض طاعة بهاء الدولة، واجتمع مع قرواش بن المقلد صاحب الموصل وقومه بني عقيل فحاصروا المدائن. واستمروا في فتنتهم ضد بهاء الدولة، كما اشتبك مع بني دبيس بسبب قتل أخيه أبي الغنائم بعضَ رجالتهم، فلحق بأخيه أبي الحسن فانحدر إليهم في ألفي فارس، واستمد عميد الجيوش فأمده بعسكر من الديلم ولقيهم، فانهزم أبو الحسن، وقتل أخوه أبو الغنائم. (ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٣، ص٥٤٦-٥٤٧).

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٦١؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٤- ٦٨٥.

(٥) الكامل في التاريخ، مج٨، ص٢٥٣، ٢٦٦.

(٦) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، جـ٣، ص٦٧.

٤٣٨هـ/١٠٤٧م، وشدد الحصار عليه في العام التالي؛ مما أضطر ابن الهيثم إلى طلب الصلح منه فرفض، وأخذ في تضييق الخناق عليه[(١)]، وزاد موقف ابن الهيثم حرجًا في هذه الحرب بسبب فرار بعض أصحابه وملاحيه وطلبهم الأمان من أبي الغنائم، حيث أخبروه بضعف أبي نصر وعزمه على الانتقال من مكانه. فأخذ أبو الغنائم التدابير في سد كل الطرق ومراقبتها حتى يقبض عليه، ثم اشتبك الفريقان في الخامس من صفر ٤٣٩هـ/١٠٤٧م؛ حيث جرت بينهما وقعة كبيرة انتهت بنصر أبي الغنائم وقتل كثير من البطائحيين، بالإضافة إلى غرق سفن كثيرة، وتفرق من نجا منهم في الآجام، وقد نجا ابن الهيثم في زبزب[(٢)]، تاركًا كل شيء للمنتصرين، الذين ملكوا داره ونهبوا ما فيها[(٣)].

وبانتهاء سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م انقطعت أخبار البطائح؛ إذ لم تشر إليها المصادر حتى عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، وتمثل تلك المدة فترة انتقالية تمهد لعصر جديد، وهو عصر التسلط السلجوقي على العراق، فهذه الفترة –شأن غيرها من الفترات السابقة لحكم البويهيين– كانت تموج بالفتن والاضطرابات، وكان لها أبلغ الأثر في الأوضاع الداخلية للعراق.

وعلى صعيد آخر، كان نفوذ السلاجقة يزداد آنذاك يومًا بعد يوم حتى وجد طغرلبك[(٤)] الفرصة سانحة لدخول العراق والقضاء على التسلط البويهي فيها؛ ففي محرم من سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م توجه إلى همذان[(٥)]، وأظهر أنه يريد الحج والتوجه نحو الشام ومصر؛ لإزالة المستنصر بالله الفاطمي[(٦)]، وأمر عماله على حدود العراق بجمع الجند، فدخل العراق، وأسرع

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٢٧٥.
(٢) الزبزب: نوع من مراكب الأنهار. (آدم متز: المرجع السابق، جـ٢، ص٣٩٨).
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٢٧٨-٢٧٩؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص١٦٨؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٥.
(٤) طغرلبك: (٤٢٧ ــ ٤٥٥هـ/١٠٣٥- ١٠٦٣م) أول سلاطين السلاجقة، ملك بلاد الجبال، وقضى على فتنة البساسيري ببغداد وتزوج من ابن الخليفة القائم، ولم يكن له أولاد؛ فاستقرت السلطنة بعده لابن أخيه ألب أرسلان. (أبو الفدا: المصدر السابق، جـ٢، ص١٨٣).
(٥) هَمَذَانُ: تقع في الإقليم الرابع، وطولها من جهة المغرب ثلاث وسبعون درجة، وعرضها ست وثلاثون درجة، وهى أكبر مدينة بالجبال، وكانت أربعة فراسخ في مثلها، طولها ما بين الجبل وقرية يقال لها زَينواباذ. (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة همذان)، جـ٥، ص٤٧١- ٤٧٢).
(٦) المستنصر بالله معد (٤٢٧ - ٤٨٧هـ/١٠٣٦ - ١٠٩٤م): من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر. مولده ووفاته فيها. بويع وهو طفل، بعد موت أبيه، وقام بأمره وزير أبيه أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى. ثم تغلبت أمه على الدولة. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ١٥، ص١٨٦-١٨٧؛ الزركلي: المرجع السابق، جـ٧، ص٢٦٥-٢٦٦).

آخر أمراء بني بوية (الملك الرحيم)(١) نحو بغداد، فاتفق طغرلبك مع الخليفة القائم بأمر الله على التعاون معه، ودخل بغداد وقبض على الملك الرحيم وأودعه السجن، الذي مكث به حتى وفاته سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م(٢). وبدخول طغرلبك إلى العراق زال التسلط البويهي منه، ودخل في عصر جديد؛ هو عصر التسلط السلجوقي ابتداء من سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م.

ثالثًا: البطائح في ظل سيطرة السلاجقة على الخلافة (ضعف الدولة وانهيارها):

باتت البطائح –مثل باقي مدن الخلافة العباسية– ضمن ممتلكات الدولة السلجوقية، مع احتفاظها بخصوصيتها المتمثلة في علاقة حكامها بالدولة السلجوقية وأمرائها، كما كان الحال من قبل بالنسبة لعلاقتها بالأمراء البويهيين. ونرى من خلال الأحداث التي وردت عن البطائح وحكامها في ذلك الإبان، أنهم ظلوا أغلب الأوقات يتمتعون باستقلال شبه ذاتي، بعيدًا عن التدخل السياسي المباشر من قبل السلاجقة؛ ولعل مرد ذلك يرجع إلى استقرار غالبية أمراء السلاجقة ببلاد الجبال، ومن هنا لم يكونوا قريبين من البطائح، مثلما كان البويهيون من قبل، بالإضافة إلى وقوع البطائح –في بعض الأحيان– ضمن مناطق إقطاعات بعض الأمراء، أو الأسرات الحاكمة بواسط أو البصرة، وهؤلاء بدورهم ضمنوها من تلقاء أنفسهم لأمراء البطائح(٣).

والملاحظ على أمراء البطائح زمن السيطرة السلجوقية، هو انفراد أسرات بعينها بالحكم، مع ضعف ثقلهم السياسي إلى حد بعيد؛ فلم يعد لهم النفوذ نفسه، الذي تمتعوا به خلال العصر البويهي، كما لم يعد لهم أي دور مهم في صنع الأحداث بالعراق. بل على العكس، فقد أصبح غالبية هؤلاء الأمراء –وإن توارثوا الحكم– تابعين لبعض القوى السياسية الموجودة آنذاك؛ وعلى رأسهم بنو مزيد، بالإضافة إلى ضعف تأثيرهم لدى الخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة في

---

(١) الملك الرحيم: هو أبو نصر خسرو ابن الملك أبي كاليجار ابن الملك سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة ابن بويه،.كان خاتمة ملوك بني بويه الديلم. انتزع منه السلطان طغرلبك الملك، وأخذه، وسجنه مدة بقلعة الري، بعد أن أتى برجليه إليه مستأمنا، فغدر به في ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، وتوفي محبوسا في سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م. (الذهبي: المصدر السابق، جـ١٨، ص١٢٠).

(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، مج ٨، ص٣٢٢، ٣٤٨.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٥- ٦٨٦.

أغلب الأحيان، إلى حد غضبهم عليهم وحربهم لهم، بل وصل بهم الأمر إلى أن تعرضوا للطرد على يد الخلفاء العباسيين(١).

أ- حكم آل أبي الجبر للبطائح:

يكاد حكم آل أبي جبر للبطائح يتزامن مع بداية حكم السلاجقة بالعراق، أو ربما كانوا قد نجحوا في الاستيلاء عليها قبيل استيلاء السلاجقة على العراق بمدة وجيزة. حيث أغفلت المصادر المتاحة لدينا الإشارة إلى بدايتهم وحالهم قبل عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م. ويرجح أيضًا أنهم نافسوا بني الهيثم على حكم البطائح، وظلوا في صراع معهم حتى نجحوا في الانفراد بالحكم، بعدما اشترك الفريقان في الحكم مدة. كما سوف يتضح ذكره لاحقا.

ويقال إن الزعامة والرياسة في تلك الأسرة كانت لاثنين من أبناء أبي جبر؛ وهما إسماعيل ولقبه المصطنع، ومحمد ولقبه المختص. وبعد أن هلك المختص، قام مكانه ابنه مهذب الدولة(٢). وجميعهم ينتمون إلى أسرة عربية؛ فأبو الجبر هو سليمان بن منصور بن إسماعيل بن مالك بن طريف، وينتهي نسبة إلى معد بن عدنان وكنيته أبو العباس(٣).

١- ولاية أبي علي محمد بن أبي الجبر (المختص) ٤٥٠- ٤٦٨هـ/١٠٥٨- ١٠٧٥م:

هو محمد بن عبيد بن جبر بن سليمان (أبي الجبر) بن منصور بن إسماعيل بن مالك ابن طريف، وينتهي نسبة إلى معد بن عدنان، وكنيته أبو العباس(٤). ومن الملاحظ أن أول ذكر لأبي على بن أبي الجبر يرجع إلى سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، عندما قام بتوطيد علاقته بأمير الدولة المزيدية دبيس بن علي بن مزيد، الذي واجه تحديات كثيرة ضد سلطته من قبل إخوته وأسرته، ومن قبل الخلافة، وساءت علاقته بالسلطان السلجوقي طغرلبك؛ بسبب تأييده للبساسيري(٥)؛ إذ

---

(١) سعاد عبد الله محمود: "أمراء البطيحة في العصر العباسي الثاني"، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد ١٨، يوليو ٢٠٠٥م، جـ١، ص٣٤٧- ٣٨٨.
(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٩، ص١١٠؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٥.
(٣) الصفدي: الوافي بالوافيات، جـ٨، ص٢٧.
(٤) نفس المصدر.
(٥) البساسيري: أرسلان بن عبد الله، أبو الحارث البساسيري: قائد، ثائر، تركي الأصل. كان من مماليك بني بويه، وخدم القائم العباسي فقدمه على جميع الأتراك في بغداد وقلده الأمور بأسرها، وخطب له على منابر

إن طغرلبك حارب الأمير دبيس وانتصر عليه فهرب إلى البطائح[١]، ويبدو أنه حظى بإكرام أبي علي محمد بن أبي الجبر.

حيث توترت العلاقة بين أبي على بن أبي الجبر والسلطان طغرلبك، ويبدو أن أبا علي اعتبر ذلك فرصة مناسبة للوقوف سياسيًّا ضد التسلط السلجوقي؛ حيث ثار وأعلن العصيان بالبطائح –وكان يحكم بعض نواحيها– في العام السابق ذكره؛ مما اضطر طغرلبك إلى أن يرسل لحربه جيشًا بقيادة عميد العراق أبي نصر، فهزمه أبو على بن أبي الجبر[٢]، مما يوحي بأنه حاكم البطائح آنذاك، ليعد بذلك أول شخص من آل الجبر يتقلد حكم البطائح، غير أنه لم ترد معلومات خلال هذه المدة عن سيرته وأعماله الداخلية، وما إذا كان قد حارب السلاجقة مرة أخرى.

٢- ولاية أحمد بن محمد بن أبي الجبر (مهذب الدولة الثاني) ٤٦٨-٥٠١هـ/١٠٧٥-١١٠٧م:

عندما توفي أبو على محمد أمير البطائح، خلفه على ما كان يحكمه ابنه مهذب الدولة، واسمه أحمد، وكنيته أبو العباس[٣]. وقد نعمت البطائح في عهده بالاستقرار السياسي سوى بعض الحوادث المتفرقة؛ منها ما حدث سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م؛ حين دخل مهذب الدولة بن أبي الجبر في صراع مع الأمير أبي نصر بن الهيثم؛ من أجل الاستئثار بالحكم في البطائح دونه. وقد زاد حرج ابن الهيثم بعد مخالفة الجند له؛ مما اضطره إلى ترك الحكم وكل ثروته، وصار نزيلًا على كوهرائين[٤]، شحنة العراق[٥]؛ ومن ثم انفرد مهذب الدولة بحكم البطائح. وقد اعتمد مهذب الدولة على أقاربه في تسيير دفة الحكم بها[٦].

العراق وخوزستان، فعظم أمره وهابته الملوك، وتلقب بالمظفر. ثم خرج على القائم وأخرجه من بغداد. (ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٣٤٧- ٣٤٨؛ الزركلي: المرجع السابق، جـ١، ص٢٨٧- ٢٨٨).

(١) نفس المصدر.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٦، ص٣٨؛ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٣٤٨.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٨، ص٢٧.

(٤) كوهرائين: شحنة بغداد، كان يدعم أبا نصر بن الهيثم، ويمده بالجند. فلما هزم نزل عليه ببغداد. (ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٤١١).

(٥) نفس المصدر.

(٦) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٥.

ونذكر هنا الأمير مُضَر بن أبي الفتوح بن أبي الجبر أخا الأمير أحمد وأصغر منه، (وكلاهما من أبناء أخي مهذب الدولة الثاني[١])، وهو يذكر أبياتًا تعكس حالته النفسية من جراء عدم تمكنه من تولي حكم البطائح؛ إذ يقول:

ما لي رِضيتُ الهُوَيْنَى واقتنعتُ بهـــا   كأنَّ سيفــيَ مسـلولٌ بغيـرِ يــدي.

أُعْطَى القلــيلَ ولا آبــــــى تـــقَبُّلَه   كالصَّــقْرِ قَنَّعَـــه القَنّاصُ بالصُّرّدِ[٢].

ومن أبرز ما وقع من أحداث في عهد (مهذب الدولة الثاني)، انحدار كوهرائين المذكور لمحاربته سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م [٣]، غير أنه لم يرد شيء بخصوص مآل تلك المحاربة. وأيضا في سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م، طمع الأمير إسماعيل بن سلانجق[٤]، (وقد كان يحكم البصرة بالنيابة بالنيابة أيام السلطان بركيارق[٥])، في الاستيلاء على السلطة، فأراد ان يستبد بحكم البصرة مباشرة، وهنا توجه مهذب الدولة بن أبي الجبر نحوه لمحاربته، وكان بصحبته معقل بن دبيس بن منصور بن الحسين الأسدي، صاحب الجزيرة الدبيسية، فأقبلا في جمع كثير من السفن والخيل، ووصلا إلى مطارا[٦]. ثم كان أن هزِم مهذب الدولة وقتل معقل، واستولى إسماعيل على سفن مهذب الدولة؛ مما اضطر الأخير إلى طلب إمدادات من كوهرائين، الذي أمده بأبي الحسن الهروي وعباس بن أبي الجبر، ولكنهما هزما وأسرا، ثم أطلِق عباس على مال أرسله أبوه، واصطلحا. وأما الهروي فبقي في حبسه مدة، ثم أطلِق على خمسة آلاف دينار، فلم يصح له

(١) الصفدي: الشعور بالعور، ص١١٢.
(٢) الأصبهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمد بهجت الأثري، جـ٤، مج٢، بغداد (مطبعة المجمع العلمي العراقي)، ١٩٧٣م، ص٥٨٤.
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٤٥٢.
(٤) هو إسماعيل بن سلانجق، وكان إليه في أيام ملكشاه شحنكية الري، ولما وليها كان أهل الري والرستاقية قد قد أعيوا من وليهم، وعجز الولاة عنهم، فسلك معهم طريقاً أصلحهم بها، وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذبوا بها، وأرسل من شعورهم إلى السلطان ما عمل منه مقاود وشكلاً للدواب، ثم عزل عنها. (ابن الأثير: المصدر السابق، مج٩، ص٥٢).
(٥) بركيارق: (٤٨٦ - ٤٩٨هـ/١٠٩٤- ١١٠٥م) تولى عقب وفاة أبيه ملكشاه، إلا إنه دخل في صراع مرير على السلطنة مع أخيه محمود ابن تركان خاتون، ثم بعد ذلك مع أخيه محمد، ودارت بينهما عدة حروب استمرت لسنوات حتى تم الصلح بينهما. وكانت البطائح منقسمة بينهما. (الراوندي: راحة الصدور وآية السرور، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي وآخرين، القاهرة (المجلس الأعلى للثقافة)، ٢٠٠٥م، ص٢١٤- ٢٣٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ١٩، ص٥٠٦).
(٦) مطارا: هي من قرى البصرة على ضفة دجلة والفرات في ملتقاهما بين المذار والبصرة. (ياقوت الحموي: الحموي: المصدر السابق (مادة مطارا)، جـ ٥، ص١٧٢).

منها شيء. وانتهى الأمر بعودة مهذب الدولة إلى البطائح، أما إسماعيل فقد اتسعت إمارته وقوي حاله(١).

وهناك حادثة أخرى تتعلق بمهذب الدولة، وهي استيلاء الأمير المزيدي سيف الدولة صدقة ابن مزيد –صاحب إمارة الحلة– على واسط والبطائح، سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م؛ حيث قاد حملة عسكرية توجه بها إلى واسط، وأجبر الأتراك المقيمين بها على تركها، فهربت جماعة منهم إلى بغداد وجماعة أخرى إلى بركيارق، وانضمت جماعة ثالثة منهم إلى صدقة، الذي أحضر مهذبَ الدولة بن أبي الجبر، فضمنه مدينة واسط على أن يصبح نائبًا عنه في حكمها، متعهدًا بأن يدفع له مبلغًا من المال في نهاية السنة المذكورة. وبعد أن أقام مهذب الدولة مدة في واسط انحدر إلى البطائح، وقيل إن هذا المال قدره خمسون ألف دينار(٢). في حين ذكر الأصبهاني أنه بلغ أربعين ألف دينار(٣).

لم تستمر العلاقة الجيدة بين آل أبي الجبر والمزيديين؛ إذ سرعان ما اشتعل الخلاف بينهما، على النحو الآتي:

عندما أقطع السلطان محمد (٤) مدينة واسط لصدقة بن مزيد بعدما استولى عليها، استمر مهذب الدولة في ضمنها مقابل الأموال، واستناب في الأعمال أولاده وأصحابه؛ فمدوا أيديهم في الأموال، وفرطوا فيها، وفرقوها، فلما انقضت السنة طالبه صدقة بالمال، فلم يتمكن مهذب الدولة بالوفاء بالعهد الذي قطعه على نفسه، وعجز عن جمع هذا المبلغ؛ فاضطربت الأمور بينهما، فما كان من صدقة إلا أن حبسه، غير أنه أطلق سراحه، بعد أن توسط بدران بن صدقة، وهو صهر مهذب الدولة؛ فأخرجه من الحبس، وأعاده إلى البطائح، غير أنه أسند ضمان واسط إلى حماد بن أبي جبر، ابن عم مهذب الدولة(٥).

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٩، ص٥٢.
(٢) نفس المصدر، مج٩، ص٧٤- ٧٥.
(٣) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٢٥ .
(٤) السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرْسَلاَن التركي (٤٩٨ – ٥١١ هـ/١١٠٥- ١١١٨م): شارك أخاه بركيارق ونافسه، ثم انفرد بالملك بعد وفاته. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ١٩، ص٥٠٦).
(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٩، ص١١٠.

ومن هنا حاول صدقة استغلال الخلاف والتنافس حول السلطة بين آل أبي الجبر؛ لا سيما بين مهذب الدولة وحماد؛ حيث كان حماد شابًّا، فأكرمه مهذب الدولة، وزوجه بنتاً له، وزاد في إقطاعه؛ فكثر ماله، وصار يحسد مهذب الدولة، وكان مهذب الدولة يصطنعه ويداريه؛ إذ كان يشعر بخطورته على حكمه، في حين بقي حماد يتطلع إلى الحكم. وقد أظهر حماد عداءه لابن عمه خاصة بعد وفاة كوهرائين –شحنة بغداد – حيث كان يساند مهذب الدولة[١]، حينئذٍ دخل حماد في نزاع مع مهذب الدولة. ولما فشل الأخير في إصلاحه، وإعادته إلى خدمته، استعان بابنه النفيس لحرب حماد، الذي هرب إلى صدقة بن مزيد بالحلة مستجيرًا به، وطالبًا جيشًا لحرب مهذب الدولة، وبالفعل أرسل له صدقة مددًا آخر. فحشد مهذب الدولة، فأرسل حماد إلى صدقة يعرفه ذلك، فأرسل إليه صدقة كثيراً من الجند، فقوي عزم مهذب الدولة على المحاربة؛ لئلا يظن به العجز، فأشار عليه أهله بترك الخروج من موضعه لحصانته، فلم يفعل، وسيَّر سفنه وأصحابه في الأنهر، فجعل حماد وأخوه له الكمناء، واندفعوا من بين أيديهم، فطمع أصحاب مهذب الدولة وتبعوهم، فخرج عليهم الكمناء، فلم يسلم منهم إلا أقل القليل، فقتل منهم وأسر خلق كثير، فقوي طمع حماد، وأرسل إلى صدقة يستنجده؛ مما مكن حمادًا من هزيمة مهذب الدولة وإهلاك أكثر جيشه، ثم واصل حماد حربه واستمر صدقة في إمداده بالجيش؛ فأرسل له جيشًا بقيادة مقدم جيشه سعيد بن حميد العمري وغيره من المقدمين. فلما رأى مهذب الدولة كثرة جيوش حماد، عمل على استخدام الحيلة؛ لإضعاف جانبه وكان حماد بخيلاً، في حين كان مهذب الدولة جواداً، فأرسل إلى قائده سعيد بن حميد بالهدايا والصلات، فاستماله إليه، وأصلح أيضًا ما بينه وبين صدقة، كما أرسل ابنه النفيس رسولًا إليه ليسعى في الصلح بينه وبين حماد، وبالفعل وقع الصلح سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م. ولم يستمر حكم صدقة طويلا؛ إذ قتل سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م[٢]، لكن المصادر لم تشر إلى وضعية مهذب الدولة بعد تلك الفترة، حتى وفاته سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م في بغداد[٣]؛ حيث انقطعت أخباره منذ سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م.

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٩، ص١١٠؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٥.
(٢) نفس المصدر، مج٩، ص١١٠- ١١٣،١١١.
(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ ٨، ص٢٧.

٣- ولاية نصر بن النفيس بن مهذب الدولة (٥٠١- ٥١٦هـ/١١٠٧- ١١٢٢م):

عندما خرج دبيس بن صدقة -وهو الذي خلف أباه في حكم الحلة- على الخليفة المسترشد بالله[١]، والسلطان محمود السلجوقي[٢]، قام السلطان بنزع ممتلكاته، ومن بينها البطائح، وأقطعها إلى ريحان محكويه الخادم مولاه؛ فولى عليها نصر بن النفيس بن مهذب الدولة أحمد بن محمد ابن أبي الجبر سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م[٣]. ويبدو أن سوء الأحوال في بغداد واستمرار الأزمة المالية للسلاجقة كل هذا ترك أثرًا بعيدًا؛ إذ أفلست الخزينة ومنح السلاجقة الموظفين وكبار قواد الجيش إقطاعات يتسلمون إدارتها بدل رواتبهم؛ فأصبحت البطيحة من حصة محكويه (خادم السلطان السلجوقي) الذي ولى نصر بن النفيس عليها. ويتضح من ذلك أن البطائح قد فقدت نفوذها السياسي والاقتصادي الذي كانت تتمتع به سابقًا، وأصبحت تابعة تمام التبعية، وعلى نحو مباشر لسلطة السلاجقة.

٤- ولاية المظفر بن حماد (٥١٦هـ - ٥٥١هـ/١١٢٢م - ١١٥٦م):

نافس نصر بن النفيس ابن عمه المظفر بن حماد، وظل كل منهما يكيد للآخر ويسعى إلى تحقيق طموحاته السياسية على حسابه، فكان بينهما من العداوة المتوارثة ما كان بين سلفهما؛ إذ حاول المظفر بن حماد الانفراد بالبطائح دون نصر بن النفيس[٤]. كما برز العداء بينهما بشكل جلي عندما خرجا من البطائح لمساعدة البرسقي -شحنة بغداد- على حرب دبيس بن صدقة، فلما هزم البرسقي، ظل نصر بن النفيس وابن عمه المظفر عند ساباط[٥] نهر الملك. حينئذ وجد المظفر الفرصة سانحة للتخلص من نصر، فقتله وأسرع إلى واسط، ومنها إلى البطائح، فملكها وأرسل إلى دبيس بالطاعة سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م[٦].

(١) المسترشد بالله (٥١٢- ٥٢٩ هـ/١١١٨- ١١٣٥ م): أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله. بويع له بالخلافة عند موت أبيه سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، أحيا رسم الخلافة. (السيوطي: المصدر السابق، ص٣٣٩- ٣٤٠).

(٢) السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي (٥١١- ٥٢٥هـ/١١١٨- ١١٣١م): دخل في بداية حكمه في صراع مع عمه سنجر ورفض الاعتراف به، بل أعلن نفسه سلطانا ثم قسمت بينهما البلاد. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص٥٢٤- ٥٢٥).

(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٩، ص٢١٤؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٦.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٦.

(٥) الساباط: سقيفة بين حائطين أو دارين. (ابن منظور: المصدر السابق (مادة سبط)، مج٧، ص٣١١).

(٦) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٩، ص٢١٤- ٢١٥؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٦.

كما كان للمظفر بن حماد علاقات سياسية مع السلاجقة يسودها الشك؛ حيث استجاب لطلب دبيس بن صدقة بالاشتراك معه في قتال السلاجقة؛ ذلك حين أمر دبيس بن صدقة سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م جماعة من أصحابه بالتوجه نحو إقطاعتهم بواسط فساروا إليها، ولكن أتراك واسط منعوهم من دخولها؛ ونتيجة لذلك أرسل دبيس جيشًا بقيادة المهلهل بن أبي العسكر، وأرسل إلى المظفر بالبطائح طالبًا منه المساعدة؛ فوعده المظفر بالالتقاء مع جيش المهلهل في واسط، وأرسل الواسطيون إلى البرسقي المذكور يطلبون منه المدد، فأمدهم بجيش من عنده، غير أن المهلهل لم ينتظر وصول المظفر وطلب الغنائم والشهرة لنفسه؛ فالتقى بالواسطيين، ولكنه هزم وأخذ أسيرًا قبل وصول المظفر لنجدته. وأما المظفر بن أبي الجبر فإنه أصعد من البطيحة ونهب وأفسد، وجرى من أصحابه القبيح، فلما قارب واسطاً سمع بالهزيمة، فعاد منحدراً. وعندما أسر المهلهل وجيشه استولى أهل واسط على ممتلكاته وأمتعته وأسلحته، وكان من جملة ما وقع بأيديهم كتاب من دبيس ابن صدقة إلى قائده المتوجه لغزو واسط (المهلهل)، يأمره فيه بالقبض على المظفر ويطالبه باستعادة أموال كان المظفر قد أخذها من البطائح، فأرسلت هذه الرسالة إلى المظفر للإيقاع بينه وبين دبيس، فمال إليهم وصار معهم، فلما جرى على أصحاب دبيس ما تقدم ذكره من الهزيمة، شمر عن ساعده في الشر، وبلغه أن السلطان كحل أخاه فألحق به العمى، وجز شعره، ولبس السواد، ونهب البلاد، وأخذ كل ما للخليفة بنهر الملك، فأجلى الناس إلى بغداد[١].

ولعل علاقة المظفر قد تحسنت بالسلاجقة بعد تلك الوقعة؛ ففي عام ٥٢٠هـ/١١٢٦م كانت سفن البطائح من بين السفن التي جُمعت بناء على طلب السلطان محمود السلجوقي؛ لمحاربة الخليفة المسترشد بالله العباسي لما دب الشقاق بينهما[٢]؛ الأمر الذي قد يشير إلى دعم المظفر (حاكم البطائح آنذاك) للسلطة السلجوقية.

وتذكر المصادر أنه في سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م وقع مقتل المظفر بن حماد على يد نفيس ابن فضل بن أبي الجبر في الحمام[٣]. حيث تحدث عنه الأصفهاني في ذلك بقوله: "وافاه الحِمام في

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٩، ص٢١٤- ٢١٥

(٢) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل)، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة، (دار الكتب الحديثة)، ص٣٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج٩، ص٤١٢؛ أبو الفدا: المصدر السابق، جـ٣، ص٣١.

الحَمّام، وذبح ولا ذَبْحَ فراخ الحَمام. وثب عليه بعض أحفاد المهذب بن أبي الجبر، ليغلب على بيته على سبيل القهر والجبر، فدخل إليه الحمّامَ، واستحلَّ دمه الحرام، ولم يتمكن مما أراد، لكن خرب بقتله البلاد"(١).

لقد دام حكم المظفر للبطائح مدة طويلة نسبيا؛ بلغت ٣٥عام. ومع أنها مدة طويلة إلا أن المصادر لدينا لم تذكر إلا شيئًا قليلًا عن أحوال البطائح آنذاك، إلا ما كان من الأخبار التي تفيد قوة المظفر؛ حيث وصفت البطائح في عهده بأنها كانت محترمة الجانب مصانة من كل خطر يهددها. أما هو فقد قيل عنه إنه "الحيا المنهل، والمحيا السهل، ذو الشيبة المنيرة، والهيبة المبيرة، والهمة الأبية. كان للخائف ملاذاً وفي المخاوف معاذاً. فكل من يخشى من الخليفة والسلطان، يجد عنده المن والمنى والأمان، فلا يقدر عليه ولا يساء إليه"(٢).

وقيل أيضًا فيه: **كلُّ مَــنْ وَلَّتْ سعادتُــه ... فإلـــى الغَرّافِ ينـحدرُ.**

وترى الغَرّافَ عن كَثَب ... عبرةً يأتي بها الخبرُ(٣).

أيضًا قيل عنه: "قرب حماد لابن حَماد، كهف وراد ورواد. ما ينحدر أحد إليه، إلا أنعم عليه، وحظي لديه. فالجود على الحقيقة مات بموته، والكرم في العراق، بين الخليقة فات بفوته. كان أباً للأيتام مربياً، وبراً بمستحقي البر على الأبرار مبراً مربياً، يتصدق وينفق، وسوق المعالي عنده تنفق. قد كانت بلاد البطائح، محترمة به كالأباطح، أحصن من الحصون، والبلد المصون. كانت أيامه غرراً في الغراف مجمع الأفاضل والأشراف"(٤).

٥- ولاية بدر الدين بن المظفر بن حماد بن أبي الجبر (٥٥١هـ/١١٥٦م):

يبدو أن بعد مقتل المظفر حل مكانه ابنه، الذي تولى البطائح في السنة نفسها؛ وهو بدر الدين بن المظفر بن حماد بن أبي الجبر، وقد أعلن عصيانه على الخليفة العباسي والأمير السلجوقي محمد شاه(٥)؛ حيث كان يلتزم في كل سنة عددًا من الأجناد وشيئًا من الحمل إلى

(١) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٣٠.
(٢) نفس المصدر، جـ٤، مج٢، ص٥٢٩.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر، جـ٤، مج٢، ص٥٣٠.
(٥) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ ١٨، ص١٠٧.

الخليفة المقتفي لأمر الله، ثم طلب منه أن يسقط عنه ذلك القدر الذي كان يحمله في كل سنه، محتجًّا بأن العسكر الذين معه لا يكفون ما يطلب منهم، فإذا أجيب إلى طلبه، أصبح عددهم كافيًا؛ مما يزيح عللهم ويدعم قوتهم على محاربة عدوهم(١).

غير أن الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة منعه من ذلك، وقال له: "ليس هذا وقت الاشتطاط"؛ فأمسك بدر بن المظفر حتى كان أن بلغ السلطان بغداد، فطلب منه بدر ما كان قد طلبه من ديوان الخليفة، على أن يجيء إلى خدمته؛ فسمح له بذلك، كما أضيفت إلى حكمه مواضع أخرى تقرب من ولايته، وكتب له السلطان توقيعًا بذلك وأرسله إليه مع العهود والمواثيق المؤكدة؛ "فتهيأ الأمير بدر بن المظفر، وجمع رجالًا كثيرة من عشائر الغراف وبلاد البطيحة، وجمع السفن من سائر بلاد العراق، وضرب على كل بلد من الغراف وواسط وأعمالها سفنًا منظومة ورجالًا معينة وأمهلهم أيامًا عيَّنها ويجتمعون كلهم بواسط، فاجتمع متقدمو البلاد كلهم بواسط بالسفن والعدة الوافرة، ولحق بهم الأمير بدر بن حماد، وصاروا كلهم بواسط. فلما انتهى الخبر إلى أمير المؤمنين المقتفي، أهمه ذلك وأقلقه وأزعجه وأرقه، وكتب إلى الأمير بدر بن المظفر أنني أنزل لك عما كان يطلب منك من الخراج، وأضيف إليك ما بذل لك، وتبقى مقيمًا في بلدك لا تجيء إلينا ولا إلى الخصم، وكان جوابه جواب من غرب لبَّه، وغاب عقله أنني ما أفعل هذا دون أن تسلموا إلى الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة لتدبير أمره"(٢). ولا يوجد لدينا معلومات أخرى عن فترة حكمه.

ب- ولاية بني معروف (٥٥٨- ٦١٦هـ/١١٦٣- ١٢١٩م):

تعد أسرة بنى معروف آخر الأسرات التي حكمت البطائح في العصر العباسي الثاني، وذلك في أوائل القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. ويلاحظ قلة المعلومات الواردة عن أمراء هذه الأسرة، إلى حد انعدام أي خبر عن بدايتها وظهورها في البطائح؛ إذ ترد أول إشارة عنهم من خلال كتاب "الكامل في التاريخ"؛ حيث ذكر ابن الأثير أخبارهم تحت عنوان: "إجلاء

- محمد شاه: (٥٤٠ - ٥٥٤هـ/١١٤٥- ١١٥٩م): ابن السلطان محمود، دخل في صراع على السلطة وطلب الخطبة والسلطنة، فلم يجب إليها فقصد بغداد، وحاصرها ثم عاد. (ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ ١٨، ص١٣٧).

(١) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق محمد أقبال، لاهور، ١٩٣٣م، ص١٣٧.

(٢) الحسيني: المصدر السابق، ص١٣٧- ١٣٨.

بني معروف عن البطيحة"، وذلك على عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي[١]، كما ذكرهم أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) ضمن أحداث سنة (٥٥٨هـ/١١٦٣م) بقوله: "أمر الخليفة المستنجد[٢] بإخلاء بني أسد، وهم أهل الحلة المزيدية، فقتل منهم جماعة، وهرب الباقون، وتشتتوا في البلاد، وذلك لفسادهم في البلاد، وسلمت بطائحهم وبلادهم إلى رجل يقال له ابن معروف"[٣]، كما ذكرهم أيضًا ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) بقوله: "كان بنو معروف هؤلاء أمراء بالبطيحة في آخر المائة السادسة ولا أدرى ممن هم"[٤].

وغاية ما ورد عن أصولهم أن نسبهم عربي يرجع إلى ربيعة المنتفق بن عامر بن صعصعة[٥]. وكانت بيوتهم غربي الفرات تحت سوراء وما يتصل بها من البطائح، وقد اتسم حكمهم بالظلم والاستبداد، وعاثوا فسادًا بالبطائح والبلاد المجاورة لها، وقطعوا الطريق؛ مما أدى إلى تذمر الناس منهم وكثرة شكواهم إلى ديوان الخليفة، التي لما سمع بها الخليفة الناصر، أمر الشريف معدًّا متولي أعمال واسط بالتوجه لقتالهم؛ فجمع جموعا كثيرة من النواحي والأعمال المجاورة، ثم توجه إليهم سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، فاقتتلوا بموضع يعرف بتل المقبر، وانهزم بنو معروف، وقتل وغرق منهم كثير وأسر بعضهم، كما استبيحت أموالهم، وخرج الناجون منهم وتركوا البطائح وتفرقوا في البلاد؛ مثل الأجنا[٦]، والقطيف[٧]، إلا أنهم لم يتمكنوا من المقام هناك لكثرة أعدائهم، فقصدوا شحنة البصرة عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م، وطلبوا منه أن يكاتب الديوان ببغداد

---

(١) الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ/١١٨٠ - ١٢٢٥م) أحمد أبو العباس بن المستضئ بأمر الله، بويع له عند موت أبيه في مستهل ذي القعدة سنة ٥٧٥هـ. (السيوطي: المصدر السابق، ص٣٥٢).

(٢) المستنجد بالله هو يوسف بن محمد (المقتفي) بن المستظهر، أبو المظفر العباسي (٥٥٥ - ٥٦٦ هـ/١١٦٠ - ١١٧٠م): من خلفاء الدولة العباسية ببغداد. بويع له بعد وفاة أبيه، سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، فأزال المكوس ورفع الضرائب عن الناس. (نفس المصدر، ص٣٤٧- ٣٤٨).

(٣) المختصر في أخبار البشر، جـ٣، ص٤١.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٧.

(٥) بنو المنتفق: هم بنو المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، من العدنانية. كانت مساكنهم بالبحرين، ثم اختلف بنو عقيل مع جيرانهم من بني تغلب فغلب بنو تغلب على بني عقيل، وطردوهم من البحرين، فسار بنو عقيل إلى العراق، وملكوا الكوفة والبلاد الفُراتية، وتغلّبوا على الجزيرة والموصل، حتى غلبوا عليهم الملوك السلجوقية، فتحولوا عنها إلى البحرين حيث كانوا أولاً، فوجدوا بني تغلب قد ضعُف أمرهم فغلبوهم على البحرين، وصار الأمر بالبحرين لبني عُقيل.(القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط٢، بيروت (دار الكتاب اللبناني)، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٧٥، ٣٦٦).

(٦) الأجناد: لعل المقصود بها أجناد الشام، وهي جمع جند، وعددها خمسة: جند فلسطين، وجند الأردن، وجند دمشق، وجند حمص، وجند قنّسرين. وقيل سمّيت كل ناحية بجند كانوا يقبضون أعطياتهم فيه. (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة أجناد)، جـ١، ص١٢٩).

(٧) القَطِيفُ: مدينة بالبحرين وقصبتها وأعظم مدنها. (نفس المصدر (مادة القطيف)، جـ٤، ص٤٢٩).

للعفو عنهم، فكتب الشحنة لهم كتاباً وأعطاه إياهم، وسيرهم مع أصحابه إلى بغداد قاصدين الخليفة. فلما اقتربوا من واسط لقيهم موظف من الديوان فأمر بقتلهم جميعاً(١).

أما البطائح فقد أصبحت ضمن ممتلكات الخليفة منذ خروج بني معروف، ولم يبق بها ملك ولا دولة، بل عادت مجرد مدينة أو بقعة من أرض الخلافة العباسية، بها موظفون يعينون من قبل الخليفة (٢).

ويظهر –مما تقدم– أن البطائح كانت إمارة تتمتع بقدر كبير من الاستقلال الذاتي في بعض العهود زمني البويهيين والسلاجقة، كما تنوعت علاقة حكامها بالخلافة العباسية، وبحكام بني بويه والسلاجقة، ما بين العداء تارة والسلم تارة أخرى.

ويمكن القول: إن إمارة البطائح كانت إمارة استيلاء أحيانًا، كما فعل عمران بن شاهين الذي استولى على الحكم عنوة، مثلما كانت إمارة استكفاء أحيانًا أخرى، يعيَّن فيها الحكام من قبل الأمير البويهي أو السلطان السلجوقي سواء بصورة مباشرة (كما كان الحال بالنسبة لصدقة)، أم كان ينصَّب في البطائح ثم يقره حكام بغداد (كما حدث للشرابي). وهناك من استخدم الحيلة لتولى حكم البطائح مثلما فعل المظفر.

ومن ناحية أخرى فقد تنوعت أسس تداول السلطة بين أمراء البطائح؛ فتارة تكون من خلال الوراثة والعهد، وتارة تكون من خلال التغلب باستعمال القوة، أو باختيار قادة الجند أو باختيار الناس عامة، كما عرفت البطائح نظام البيعة يأخذها حكامها من الناس هناك، مثلما استشار بعضهم وجوه الناس في بعض القضايا المصيرية، على نحو ما فعل الشرابي.

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج١٠، ص٣٩٧،٤٢٥.
(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٧.

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية في البطائح خلال عصري البويهيين والسلاجقة

أولًا: الأنشطة الاقتصادية في البطائح

١- الزراعة.

٢- الصناعة.

٣- التجارة.

٤- الصيد.

ثانيًا: النظام المالي في البطائح

١- الموارد.

٢- المصارف.

٣- العملات المتداولة.

أولًا: الأنشطة الاقتصادية في البطائح:

تنوعت الأنشطة الاقتصادية في البطائح ما بين الزراعة والصناعة والتجارة والصيد.

١- الزراعة:

تعد الزراعة القاعدة الرئيسة للنشاط الاقتصادي بشكل عام؛ فعليها تقوم كثير من الصناعات عبر ما توفره للصناع من مواد خام، ثم هي ركن التجارة الأول سواء أجرى هذا على نحو مباشر من خلال الإتجار في المزروعات أم على نحو غير مباشر من خلال تبادل السلع المصنعة التي كان كثير منها في أصله محاصيل زراعية.

ولقد كانت بطائح العراق عامرة بالقرى والمزارع؛ حيث ذكر ابن رسته أن مزارع أهل البطائح كانت تحيط بها، وأنها كانت مصدرًا مهمًا لطعامهم[١].

أما أبرز العوامل المؤثرة في النشاط الزراعي بالبطائح، فنعرضها على النحو الآتي:

أ- العوامل المؤثرة في النشاط الزراعي:

تنقسم العوامل المؤثرة في النشاط الزراعي إلى ما يأتي:

* العوامل الطبيعية:

التربة: هي الوجه الخارجي الذي يغطي سطح اليابس ويختلف سمكها من منطقة لأخرى؛ فهي تتكون من بضع سنتمترات إلى عدد من الأقدام أو الأمتار، كما أنها أهم عنصر طبيعي تتوفر فيه مادة الغذاء التي تعد قوام الحياة النباتية ودوام استمرارها؛ وعليه أصبح من البديهي أن درجة خصوبة التربة هي التي تقرر الإمكانيات الزراعية، ومدى مستوى الإنتاج الزراعي ونوع المحصول[٢].

---

(١) الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٩٤.

(٢) نوري خليل البرازي: "التربة وأثرها في التطور الزراعي في سهل العراق الرسوبي"، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، بغداد، السنة الأولى، المجلد الأول، آب ١٩٦٢م، ص١١١- ١٣٩.

ويلاحظ هنا أن تربة البطائح ليست على درجة واحدة من الانبساط؛ فبصورة عامة نلاحظ أن الأراضي المحاذية لمجرى النهر (كتف النهر)، مرتفعة نسبيًّا، وهي تتدرج بالانخفاض كلما ابتعدنا عن مجرى النهر بالاتجاه العرضي، ويصل الانخفاض أدناه في منطقة منخفضات حوض النهر، كما أنها تكونت من رواسب حديثة منقولة جلبتها مياه نهري دجلة والفرات بشكل رواسب فيضية، تلك التي كونت تربة ناعمة النسيج وثقيلة. وهذا يعني أن درجة الصرف الطبيعي تختلف ما بين جيدة في كتوف الأنهر وسيئة في أراضي أحواض الأنهر؛ حيث بقاء المياه فيها مدة أطول من الزمن؛ الأمر الذي ترتب عليه ارتفاع نسبة الأملاح المتراكمة على السطح(١)؛ حيث إن الإكثار من مياه الري يرفع من مستوى الماء الجوفي؛ فينتج عن ذلك اتصال بين الماء الجوفي الذي هو شديد الملوحة عادة، وبين مياه الري(٢).

المياه: لا يمكن أن يكون هناك زراعة بدون مياه للري. وفي البطائح تتغير كمية المياه بنهري دجلة والفرات من موسم إلى آخر في أثناء السنة، فيكون أكثرها في الربيع إذ تبلغ كميتها أحيانا عشرة أضعاف كميتها في موسم القلة (الصيهود) الذي يكون في أواخر الصيف. كما تتفاوت كمية المياه بين سنة وأخرى تبعًا لتفاوت كمية الأمطار والثلوج، فقد تصل في سني وفرة الأمطار ما يقرب من أربعة أضعاف ما تصله في سني الجفاف(٣).

أما عن وسيلة الري فإن البطائح تقع ضمن العروض السفلى للمناخ الصحراوي، وهو يتلقى في المتوسط من الأمطار سنويًّا ما بين ١٠٠- ٢٠٠ ملمتر، وهذه الأمطار متغيرة ولا يمكن الاعتماد عليها بتاتًا؛ فلهذا تعتمد الزراعة بالبطائح على الأنهار(٤). وبصورة عامة تعد الأنهار في بلاد العراق أهم وسائل الري؛ حيث أجازت الدولة العباسية لرعاياها أن يشقوا من أنهارها الكبرى فروعًا يفيدون منها في ري مزروعاتهم، حتى قيل إن الأنهار المتفرعة من دجلة تزيد عن ألف نهر(٥).

---

(١) عادل عبدالله خطاب: إقليم الأهوار في جنوب العراق (دراسة جغرافية)، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ جامعة القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٧١- ١٧٢.
(٢) جاسم محمد الخلف: محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ط٢، مصر (معهد الدراسات العربية العالمية)، ١٩٦١م ، ص١٤٦.
(٣) نفس المرجع، ص١٧٤.
(٤) عادل عبدالله خطاب: المرجع السابق، ص١٧٨.
(٥) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٥٦- ٥٧.

وكما أوضحنا سابقًا أن البطائح تحتوي على أنهار ومستنقعات وآجامٍ كثيرة، حتى إن هناك من المصادر ما ذكر أنهار البطائح دون تحديد أسمائها(١)؛ وربما يرجع هذا إلى كثرة أنهار البطائح ومياهها؛ حيث يقول المقدسي: "هذه البطائح بحيرات ومياه ثم مزارع. وللعراق منها رفق عظيم"(٢). ويتضح ذلك أيضًا مما ذكره الماوردي بقوله: "لِأَنَّ إحياء اليبس بسوق الماء إليه، وَإِحياء البطائح بحبس الماء عنها حتى يمكن زرعها وغرسها"(٣)، ولا ننسى عندما أهدى بختيار البويهي لعمران مجموعة من الخيل، وربما لا يعلم، وهو الديلمي، أن خيل الأهوار قواربها وسفنها؛ لذا رد عمران الهدية مع عبارة: "لأن دوابي هذه السفن"(٤).

كما أننا لا ننسى دور عملية المد والجزر في ري التربة؛ حيث قيل إن تربة مصب الأنهار الرسوبية المالحة –التي تقع في أقصى الجنوب من السهل الرسوبي وعلى جانبي شط العرب– هي مجموعة من الترابات تأثرت نشأتها بعامل المد والجزر في الخليج العربي؛ إذ ترتفع بها المياه في أثناء المد إلى مترين ونصف المتر؛ فتروى التربة والمزروعات التي تنمو عليها، وعندما يجيء الجزر تنصرف المياه. وبما أن عملية المد والجزر تحدث مرتين في اليوم، فإن عمليتي الري والتصريف تقوم بها الطبيعة مرتين في اليوم أيضًا وبدون جهد أو نفقات تقريبًا(٥).

وقد تتحول الأمطار إلى ثلوج، حينئذٍ تصبح عاملا سلبيًّا في النشاط الزراعي؛ ففي عام (٥١٥هـ/١١٢١م) سقطت أمطار عظيمة وثلوج كبيرة بالبطائح، بقيت على الأرض خمسة عشر يوما، وبلغ سمكها ذراعًا؛ مما أدى إلى هلاك بعض الأشجار(٦).

<u>المناخ</u>: يتعاون عامل المناخ مع عامل سطح التربة على تحديد كيفية ونوعية توزيع الملوحة في تربة البطائح؛ حيث إننا كلما توغلنا جنوب العراق، تتناقص كميات المطر السنوي ويزداد التبخر، كما أن زيادة التبخر على كميات سقوط المطر يؤدي إلى زيادة تركز الملوحة في

---

(١) نستنتج ذلك مما ذكره ابن خلدون في حديثه عن عساكر البطائح الذين "نزلوا الجامدة وسدوا الأنهار التى تصب إليها". (ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٦٧٨).
(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١١٩؛ أحمد سوسة: المرجع السابق، جـ٢، ص٤٤٣.
(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص٢٣١.
(٤) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٣٠.
(٥) جاسم محمد الخلف: المرجع السابق، ص١٤٤.
(Directorate of Agricultural A Generalized Exploratory Soll Map of Iraq, P.Buringh, Baghdad, Research, Division of Soils and Agricultural Chemistry, Abu Ghraib) pp.1-8. 1958,
(٦) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٩، ص٢١١؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٧، ص١٩٧- ١٩٨.

المياه؛ الأمر الذي يجعلها قليلة الصلاحية للري[١]، كما أن نسبة التبخر العالية تعود إلى قلة الرطوبة النسبية في الهواء، وإلى ارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف الطويل؛ مما يسبب كثرة تبخر مياه الري وتجمع الأملاح على سطح التربة[٢]. ولا شك أن هذا كله يؤثر في النشاط الزراعي.

لقد عاشت البطائح مناخًا حارًّا؛ ويتضح هذا مما ذكره المقدسي بقوله: "والبطائح نعوذ بالله منها، ومن شاهدها في الصيف رأى العجب". كما خص المقدسي ذكر مدينة الصليق من مدن البطائح بوصفها ذات حر شديد[٣].

وفي عام (٣٧٨هـ/٩٨٨م) وقع وباء بالبطائح من شدة الحر، وفي العام نفسه أيضًا كثرت الرياح العواصف، وجاءت ريح عظيمة بفم الصلح[٤].

كما كثرت الأوبئة والحشرات في البطائح، على نحو ما سيأتي تفصيله لاحقًا، وكلاهما من العناصر التي تؤثر بالسلب في النشاط الزراعي. ولم يرد ما يفيد أن الفلاحين من أهل البطائح استخدموا وسيلة فعالة لمكافحة هذه الحشرات أو مواجهة الأوبئة التي تهدد مزارعهم[٥].

* العوامل البشرية:

– أثر الأوضاع السياسية في النشاط الزراعي بالبطائح:

تأثر النشاط الزراعي بالأحوال السياسية التي مرت بها البطائح؛ ولعل هذا قد انعكس بدوره على النشاط الزراعي؛ ففي سنة (٤٣٥هـ/١٠٤٤م)، وبسبب الحرب التي وقعت بين ابن الهيثم صاحب البطيحة وبين الأجناد من الغز والديلم، احترقت مدينة الجامدة وغيرها[٦]؛ وهو الأمر الذي لابد قد انعكس بالسلب على الزراعة هناك.

---

(١) عادل عبد الله خطاب: المرجع السابق، ص١٧١-١٧٢.
(٢) جاسم محمد الخلف: محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ط٢، ١٩٦١م، ص١٤٦- ١٤٧.
(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٢٥،١١٩.
(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤٣٥.
(٥) عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي، ص٧١.
(٦) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٢٦٦.

وعلى الوجه الأخر، كان الاهتمام بإنشاء السدود حول البطائح يساعد على زيادة رقعة الأرض الزراعية. ففي سنة (٣٧٩هـ/٩٨٩) أقام مهذب الدولة الأول –الذي امتد حكمه للبطائح ما يزيد على٣٠ سنة نعمت فيها البلاد بالاستقرار– سقايات بواسط التي كانت تحت حكمه، ولم يبخل عليها بالأموال وأنفق عليها ستة الأف دينار [١].

وكانت الدولة العباسية أحيانًا تولي اهتمامها لتنظيم وسائل الري؛ خاصة بأرض السواد، تلك التي كان تعرضها لبعض الأحداث السياسية والاقتصادية عاملًا مؤثرًا في حجم ما تنتجه من مزروعات، وكان لذلك كله تأثير مباشر في أحوال وأوضاع البلاد الاقتصادية؛ لذلك حظيت أرض السواد بعناية مخصوصة من جانب الخلفاء. يقول مسكويه: "فأمّا مصالح السواد فإنّها قلّدت الأمناء، ووقع الابتداء بذلك في السنة المتقدمة لهذه التي نحن في ذكرها (٣٦٩هـ/ ٩٨٠م)، فغلبت الزيادات وجمعت العدد من القصب والتراب وأصناف الآلات، وأعيد كثير من قناطر أفواه الأنهار والمغايض والآجرّ والنورة والجصّ، وطولب الرعية بالعمارة مطالبة رفيقة واحتيط عليهم بالتتبع والإشراف، وبلغ في الحماية إلى أقصى حد ونهاية"[٢].

كما كانت الحكومة تشرف على توزيع المياه بشكل عام في العراق، وكانت مسؤولة بالدرجة الأولى عن إنشاء القنوات والسدود وخزانات المياه والمسنيات وسد البثوق، وكانت النفقة على ذلك من بيت مال المسلمين لتحسين الزراعة وزيادة الخراج[٣]. وأحيانا كانت تطلب الحكومة من الملاكين أن يشاركوا في تطهير القنوات[٤].

كما جرت بعض المحاولات لتجفيف المستنقعات وبناء السدود بأرض البطائح[٥]؛ لاستخلاص بعض الأراضي من الماء أو لإيقاف الماء عند فيضانه من أن يغمر الحقول، فكانت تبنى السدود من الطين والقصب. وقد ذكر مسكويه أن السدود إنما "تقام في وجوه المياه الجارية عند ضعف جريانها وغاية نقصانها، فإذا وردت المياه القوية ومنعت من حدورها كفى منها

(١) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٤، ص٣٣٩.
(٢) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٤٠٦-٤٠٧.
(٣) الصابي: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص٢٥٦- ٢٥٧.
(٤) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٢، ص٣٦٠.
(٥) بسبب تمرد عمران بن شاهين، عمد البويهيون إلى سد أفواه الأنهار الداخلة في البطائح؛ فضاع فيها الزمان والأموال، وجاءت المدود، ومن أمثلة ذلك ما ورد ذكره في الفصل الأول. (مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٤٠٩- ٤١٠؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٢٢، ٣٨٥- ٣٨٦).

اليسير من المعونة، حتى تتبعث ويدفع بعضها بعضًا، وربما كان سبب انبثاق الماء نقب فأرة، ثم يوسعه الماء وينتهي فيه إلى حيث لا حيلة في سده"[١].

– توافر العنصر البشري (الفلاحين):

من بين ما تحتاجه الزراعة أيضًا وجود العنصر البشري المتمثل في الفلاحين. وبما أن منطقة البطائح تعد من أهم المناطق الزراعية بالعراق؛ حيث اشتهرت بزراعة بعض المحاصيل وبكميات كبيرة مثل الأرز وقصب السكر، حتى ورد أن إنتاجها منهما كان يكفي الاستهلاك المحلي ويصدر الفائض إلى بغداد[٢]، إذا كان ذلك كذلك فلابد أن أعداد الفلاحين هناك كانت كبيرة، وأنهم كانوا على دراية وخبرة واسعة بالزراعة.

فلقد كانت بطائح العراق عامرة بالقرى والمزارع؛ يظهر هذا من خلال تتبع أخبار سكانها، ومن هؤلاء النبط؛ أولئك الذين أنبطوا الأرض –من قديم– وحفروا الأنهار العظام بالعراق، وقسموا مياه دجلة والفرات[٣]، وكذلك عاش هناك الزط يربون الجواميس[٤]، وهي أنشطة ارتبطت بممارسة حرفة الزراعة، كما عاش هناك الزنج أيضًا، الذين كانت مهمتهم إزالة الطبقة الملحية، وتمهيد الأرض للزراعة[٥].

بالإضافة إلى هذا، فقد احتاجت الزراعة أيضًا إلى بعض الأدوات؛ مثل المحراث، مع الاستعانة بالحيوانات؛ مثل الثيران، وسيظهر لاحقًا توافر كل هذا بالبطائح.

ب– طرق الزراعة المتبعة:

كانت طريقة المناوبة في الزراعة شائعة في أغلب العراق؛ فكان المزارع يقسم حقله إلى قسمين، ولا يزرع إلا قسمًا واحدًا في الموسم الزراعي[٦]، بل إنه لا يزرع إلا زرعة واحدة في

---

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٩٦- ٢٩٧.
(٢) ابن سعيد المغربي: بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس، المغرب (معهد مولاى الحسن)، ١٩٥٨م، ص٩١.
(٣) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١، ص١٦٢؛ سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١، ص١٢٨- ١٢٩.
(٤) البلاذري: فتوح البدان، ص٥٢٢- ٥٢٣.
(٥) الطبري: المصدر السابق، جـ٩، ص٤١٠.
(٦) الماوردي: المصدر السابق، ص١٩٢؛ عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي، ص٧٠.

السنة ويترك القسم الآخر من حقله دون أي زرع معتمدًا على أنه يعيد خصوبة الأرض بهذه الطريقة[١]. وكانت الأرض تحرث بالمحراث الذي تجره الثيران[٢]؛ حيث يقول الدمشقي: "فلا مندوحة للفلاح من البقر"[٣].

وعن طريقة درس المحصول يمكن القول: "أما البذور فتبذر باليد ... أما الدرس فيتم بواسطة أربعة أو خمسة حيوانات تسير فوق المحصول المحصود، مع استخدام شخصين يدوران مع الحيوانات ويراقبانها"[٤]. وكان المنجل من الأدوات التي استخدمها الفلاح في الحصاد هناك[٥].

جـ- المزروعات ومناطقها:

وجدت الزراعة في جنوب العراق عامة على الأراضي المحيطة بالأنهار والممتدة على ضفاف القنوات[٦]؛ لهذا كثرت الأراضي الزراعية بالبطائح على الأماكن الضحلة والبقع اليابسة القريبة من النهر؛ حيث يقول المقدسي إن "هذه البطائح بحيرات ومياه ثمّ مزارع"[٧]. ويبدو أن هذه المناطق كانت كثيرة بالبطائح؛ حيث يتضح لنا من وصف سهراب مدى التشابك والاتصال بين القنوات والقري والضياع بالبطائح، واعتمادها على شبكة واسعة من القنوات والأنهار التي نشأت حولها قرى كثيرة على نحو ما سبق ذكره تفصيلًا، ومن أمثلة تلك الأنهار: نهر سورا، ونهر الصليق، ونهر السيب، ونهر قريش، ونهر بان، ونهر الغراف. ومن أمثلة القرى: أم عبيدة، والكوانين، والمحمدية، والحدادية، وطهيثا، والطيب، على نحو ما سبق بيانه.

---

(١) عادل عبدالله خطاب: المرجع السابق، ص١٧٩- ١٨٠.
(٢) وقيل أيضا إن الحجاج بن يوسف الثقفي منع أهل السواد من ذبح البقر؛ لتكثر الحراثة والزراعة؛ فقال الشاعر في ذلك: شَكَوْنا إليه خراب السواد ... فحرّم جهلاً لحوم البقرْ (الحميري: المصدر السابق، ص٣٣٢).
(٣) الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، ١٣١٨هـ، ص٣٨.
(٤) عادل عبدالله خطاب: المرجع السابق، ص١٠٨.
(٥) التنوخي: الفرج بعد الشدة، جـ٤، ص١٥٢- ١٥٣.
(٦) عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي، ص٧٥.
(٧) أحسن التقاسيم، ص١١٩.

كما حرصت الدولة العباسية على توفير الحاصلات الزراعية، وأهمها الحنطة والشعير والأرز[١]، حتى إن نقص أي منها كان يدفع العامة إلى الشكوى[٢].

من ناحية أخرى عرفت البطائح زراعة الحبوب، تلك التي لا يبدو أنها كانت زراعة محدودة، على الأقل في بعض المدن؛ حيث عرفت مدينة الصليق بأنها معدن الدقيق[٣]؛ بما يوحي بكثرة ما بها من حاصلات تساعد على صنعه؛ وهي حاصلات الحبوب من الأرز والقمح والحنطة والشعير؛ فلعل الصليق عرفت بعضها إن لم يكن كلها.

أما عرض محاصيل الحبوب التي زرعت بالبطائح، فيأتي على النحو الآتي:

عرفت البطائح زراعة القمح والشعير بكميات كبيرة؛ ويستدل على ذلك أن زمن مهذب الدولة الأول كان يرتفع له من إقطاعه تسعة آلاف وستمائة كر[٤] من الحنطة، وثلاثة عشر ألف وثلاثمائة وسبعون كرًا من الشعير[٥]. كذلك طسّوج كوثى اشتهرت أيضًا بالحنطة والشعير[٦].

مما سبق يظهر أن ما ذكره الدوري في هذا الصدد يحتاج إلى نظر؛ حيث أكد أن الحنطة والشعير كانتا يزرعان في كل طسوج من طساسيج السواد، باستثناء منطقة البطيحة[٧].

كما اشتهرت البطائح بزراعة الأرز، حتى ذُكر أن إنتاجها منه كان يكفي الاستهلاك المحلي ويصدر الفائض إلى بغداد[٨]؛ حيث إن الأرز يزرع في الأماكن الرطبة الحارة وفيرة المياه[٩]. كما يمكننا أن نستدل على وفرة الأرز في البطائح؛ ففي زمن مهذب الدولة الأول كان

---

(١) عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي، ص٧٩.

(٢) في عام (٤٩٥هـ/ ١١٠١م) أتى لجكرميش (لجكرميش- وهو كان من مماليك جلال الدولة ملك شاه، ثم صارت الجزيرة والخابور بيده. ابن الجوزى: المصدر السابق، جـ١٧، ص٧٧.) جماعة من السواد يشكون عمالهم، فعمل دعوة اشتملت على ألف رأس من الغنم والبقر وغير ذلك من الدجاج والحلواء، ولم يحضر الخبز، ثم دعا وجوه العسكر فعجبوا إذ لم يروا خبزا، وقالوا: ما السبب في هذا؟ فقال: الخبز إنما يجيء من الزرع، والزرع إنما يكون بعمارة السواد. (ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٧، ص٧٧).

(٣) المقدسي: المصدر السابق، ص١١٩.

(٤) الكر: مكيال معروف عند أهل العراق، والكر يساوي ٦٠ قفيزا، والقفيز يعادل ٢٤ كيلجات. (ابن منظور: المصدر السابق، مج٥، ص١٣٧).

(٥) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٥، ص١٢٩- ١٣٠.

(٦) ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص٩.

(٧) تاريخ العراق الاقتصادي، ص٨٠.

(٨) ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص ٩١.

(٩) محمد حسيني الزبيدي: العراق في العصر البويهي، القاهرة (دار النهضة العربية)، ١٩٦٩م، ص١٢٩.

يرتفع له من إقطاعه ثمانية آلاف كر من الأرز[١]. كما شهدت منطقة السيب وجود الأرز بها[٢]، وكذلك الجامدة[٣].

أما عن التمور، فبالنظر إلى البطائح ونواحيها فقد ورد أن عَبْدَسِيّ كانت عامرة بالتمور[٤]. كذلك مدينة سورا يصفها الحميري بأن بها نخيلًا وأشجارًا وبساتين وفواكه جمة وزراعات واسعة[٥].

ويقول ابن وحشية إن من النخيل ما ينبت من نفسه وهو البري، ومنه ما يجاور الماء فهو العبري، كما ينبت النخيل في الرمال وفي السهول على السواء، لكنه يحب السبخة أكثر وأحسن طريقة لتعديد أنواعه أن يزرع النوى، وأحسن وسيلة لتبكير حمله أن يقلع فسيلًا من حوالي النخلة الأم. وقد حاول بعضهم غرس السعف أو غرس نصف الفسيلة، فلم يفلحوا إذ يبس المزروع جميعه بعد أيام قليلة. وزرع النوى يكون بعد اختيار أحسنه، على أن يكون من أذكى النخل، وبعد النبت ينقل[٦].

عرفت البطائح من الفاكهة زراعة العنب؛ حيث يقول ابن حوقل عن سورا: "وسورا هذه بين تلك النواحي أكثرها كرومًا وأشربة"[٧]، حتى نسبوا إليها أنواعًا من الخمر[٨].

تعد منطقة البطائح من أهم منابت القصب[٩]، والبردي في العراق حتى اليوم[١٠]، ويبدو أن القصب كان يشكل آجاما كثيفة في البطائح؛ وخاصة في بطائح واسط، حيث عرفت (بواسط

---

(١) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٥، ص١٣٠.
(٢) التنوخي: نشوار المحاضرة، تحقيق عبود الشالجي، جـ٨، ط٢، بيروت (دار صادر)،١٩٩٥م، ص١١٧-١١٨.
(٣) الصولي: أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، القاهرة، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ص٢٤٦؛ التوخي: المصدر السابق، جـ٨، ص١٥٨- ١٥٩.
(٤) مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص١١٥.
(٥) الحميري: المصدر السابق، ص٣٣٢.
(٦) ابن وحشية النبطي: كتاب النخل، تحقيق إبراهيم السامرائي، المجلد الأول، منشور ضمن مجلة المورد، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٦٧- ٦٨.
(٧) ابن حوقل: المصدر السابق، ص٢٤٣.
(٨) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة سورا)، جـ٣، ص٣١٦.
(٩) ابن رسته: المصدر السابق، مج٧، ص٩٤؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٤٦.
(١٠) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ٧، ط٢، (جامعة بغداد)، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٩١- ٩٢.

القصب)[١]، وكما ذكرنا سابقًا أنه عندما هرب عمران بن شاهين إلى البطائح، فقد أقام بين القصب والآجام[٢].

كذلك الحال مع بطائح البصرة؛ حيث قيل إن البطائح هي خزانة أهل البصرة يجتمع فيها المياه وينبت فيها القصب لمنافعهم[٣]، كذلك أيضا في بطائح الكوفة، ويمكن أن نستدل على ذلك من أن أحد معاني الكوفة اللغوية، يشير إلى موضع مليء بالقصب والخشب؛ حيث يذكر ياقوت أن "الكوفان: الدغل من القصب والخشب... والكوفان اسم أرض، وبها سميت الكوفة"[٤].

كما أن هناك مواضع بالبطائح قد خصت بالذكر في هذا الإطار؛ مثل الهقّة، وهي موضع بأرض البطائح كثير القصب[٥]، أيضا منطقة آجامُ البَرِيدِ فهي منبت القصب الملتف[٦]. وكذلك نواحي الجامدة ونهر جعفر[٧].

ولقد اشتهرت البطائح بقصب السكر، حتى ذُكر أن إنتاجها منه كان يكفي الاستهلاك المحلي، ويصدر الفائض إلى بغداد[٨].

كما أن القصب من النبات الطبيعي؛ أي الذي ينمو على سطح الأرض بصورة طبيعية[٩]. وهو نبات ينبت في المواضع التي يكثر بها وجود المياه الدائمية والراكدة أو الهادئة والملحية، كما ينبت في المناخ الذي يناسبه؛ فمعظم المنطقة تقع في المناخ الصحراوي الحار. كما تتميز أيضًا بالرطوبة العالية وبالأمطار التصاعدية وبالتبخر السريع الواسع بسبب المسطحات المائية الواسعة[١٠]، وهذا هو المناخ الملائم لنمو القصب.

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٠٧.
(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٣٠.
(٣) ابن رسته: المصدر السابق، مج٧، ص٩٤.
(٤) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة الكوفة)، جـ٤، ص٥٥٦.
(٥) البكري: المصدر السابق، جـ٤، ص١٣٥٤.
(٦) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة آجام) ، جـ١، ص٦٩.
(٧) التنوخي: الفرج بعد الشدة، جـ٤، ص١٥٢-١٥٣.
(٨) ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص٩١.
(٩) جاسم محمد الخلف: المرجع السابق، ص١١٩.
(١٠) عادل عبدالله خطاب: المرجع السابق، ص٣١.

ويبلغ معدل ارتفاع القصب ٢٠ قدمًا، وقد يصل إلى ٢٤ قدمًا[١]، ويوجد على شكل غابات صغيرة تؤلف جزرًا في وسط الأهوار، تزيد في بعض الجهات على خمسين كيلو مترًا من حيث الطول، وثلاثين كيلو مترًا من ناحية العرض. وهناك كذلك البردي الذي يصل ارتفاعه إلى ثمانية أقدام[٢].

وفي حدود ما أوردته المصادر المتاحة عن محاصيل البطائح زمن الدراسة، يلاحظ قلة أنواعها؛ حيث غابت مثلًا محاصيل الخضروات وكثير من الفاكهة ونحوها؛ ولعلها كانت من القلة بحيث لم تستحق الذكر، كما يلاحظ كثرة المحاصيل المعتمدة في زراعتها على المستنقعات التي تكاثرت في أرض البطائح.

د- الملكية الزراعية:

لما "قامت الدولة العباسية وقبضت أموال بني أمية، أقطع جميع السيبين (بالبطائح) داود ابن علي بن عبد الله بن العباس، وابتيع ذلك من ورثته فيما بعد؛ فصار في عداد الضياع السلطانية"[٣]. فكان هذا وضع أراضي البطائح.

ويبدو أن هذه الضياع قد تقلصت؛ ففي عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م عندما سيطر البويهيون على العراق، واجهتهم مشكلة إعالة الجيش وفراغ الخزينة؛ فلجأ معز الدولة إلى سياسة التوسع في منح الإقطاعات، وأصبحت أكثر الأراضي المزروعة في هذا الصنف؛ حيث "أقطع قوّاده وخوّاصه وأتراكه ضياع السلطان، وضياع المستترين وضياع ابن شيرزاد وحق بيت المال في ضياع الرعية، وصار أكثر السواد مغلقًا، وزالت أيدى العمّال عنه، وبقي اليسير منه من المحلول فضمّن، واستغنى عن أكثر الدواوين فبطلت وبطلت أزمّتها، وجمعت الأعمال كلّها في ديوان واحد"[٤].

(١) شاكر مصطفى سليم: الجبايش دراسة أنثروبولوجية لقرية في أهوار العراق، بغداد (مطبعة العاني)، ١٩٧٠، ص٣١٥.

(٢) Wilferd Thesiger, "Marsh Dwellers of Southern Iraq", *The National Geographic Magazine*, Vol. CXIII, (February.1958), pp.204 – 239.

(٣) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، العراق (دار الرشيد)، ١٩٨١م، ص١٦٩- ١٧٠.

(٤) مسكويه: المصدر السابق، جـ ٢، ص٩٦.

ويقول الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) إن الإقطاع هو "أن يقطع السلطان رجلاً أرضاً فتصير له رقبتها، وتسمى تلك الأرضون: قطائع واحدتها: قطيعة"[١]؛ أي أن الأرض تصبح ملكًا لصاحب الإقطاع. ولكن حق الملكية لم يُراع دائمًا؛ حيث يُذكر أن الخليفة المقتدر بالله اضطر –بسبب أزمة مالية– إلى استرجاع إقطاعات سابقة، وأنشأ لها ديوانًا يخصها؛ هو ديوان المرتجعة[٢].

وقد لجأت الدولة العباسية إلى إقطاع أمراء البطائح الإقطاعات فيكون هذا نوعًا من التولية بالحكم والإدارة، مقابل تقديم خدماتهم للدولة (مالية وعسكرية)[٣]. ويذكر في ذلك إن "نوع الأقطاع، كان يعتمد في الواقع على مركز صاحبه، لا على ما يصحبه من حقوق نظرية"[٤].

كما أن هناك بعض الأوقات التي خرجت فيها البطائح عن سلطة الخلافة العباسية والسلطة البويهية، وذلك في عهد عمران بن شاهين على نحو ما ذكرنا بعدما حاول معز الدولة –وابنه بختيار من بعده– محاربته وخلعه عن البطائح، ورد أمرها إلى السلطة ببغداد، لكن دون جدوى؛ مما أدى إلى أن تقر الدولة أمر واقع بإقطاع البطائح له بعد استيلائه عليها؛ لتحقيق أفضل منفعة ممكنة من هذا[٥].

وكذلك أيضًا في عام ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م أثناء ولاية ابن المعبراني للبطائح كانت "مملكة جلال الدولة ما بين الحضرة وواسط والبطيحة، وليس له من ذلك إلا الخطبة، فأما الأموال والأعمال فمنقسمة بين الأعراب والأكراد والأطراف منها في أيدي المقطعين من الأتراك، والوزارة خالية من ناظر فيها"[٦].

وعلى نحو آخر كان هناك من ولاة البطائح من التزم بالتبعية للدولة، مثلما فعل مهذب الدولة الأول الذي عمل على العناية بإقطاعه، فكان يرتفع له من إقطاعه –كما تقدم– تسعة

---

(١) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تحقيق محمد كمال الدين الأدهمي، ليدن (مطبعة بريل)، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، ص٣٩.
(٢) عريب بن سعد القرطبي: صلة تاريخ الطبري (ملحق بكتاب تاريخ الطبري الجزء ١١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت (دار سويدان)، ص١٢٥.
(٣) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٨٤.
(٤) عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص٤٧- ٤٨.
(٥) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٩٧- ٣٩٨؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٨٥.
(٦) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ ١٥، ص٢٣٠.

آلاف وستمائة كراً من الحنطة، وثلاثة عشر ألفًا وثلاثمائة وسبعون كرًّا من الشعير، وثمانية آلاف كر من الأرز، وكان يرفع له من الورق ألفا ألف وسبعمائة ألف وخمسون ألفًا، وكان بعض بلاده تضمن[١]. حيث حصل على ضمانات من البويهيين أسفل واسط بمبلغ مليون وثلاثمائة ألف درهم[٢].

أيضًا عندما وقع اختيار أهل البطائح على سابور بن المرزبان، ليتولى أمرهم سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م، كتب إلى مشرف الدولة البويهي، طالبًا منه أن يقرر عليه ما كان على صدقة من مال؛ ضمانا لحكم البطائح، فأجابه إلى ذلك بعد أن زاد عليه الأموال[٣].

والجدير بالذكر أن كلًّا من نظام الإقطاع ونظام الضمان ظلا قائمين خلال عصري البويهيين والسلاجقة، بوصفهما نوعًا من التولية الإدارية، بعدما كانوا يرسلون وارد الإقطاع إلى الخزانة ببغداد بعد أخذ نصيبهم منه؛ فعندما دخل السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، ظل نظام الإقطاع في إدارة البطائح أسلوبًا من أساليب التنظيم الإداري والمالي[٤]، في الوقت الذي فقدت فيه البطائح نفوذها السياسي والاقتصادي الذي كانت تتمتع به سابقًا، وأصبحت تابعة تمام التبعية، وعلى نحو مباشر لسلطة السلاجقة؛ حيث كان المقطع يولي من ينوب عنه في الولاية، ويقيم هو خارج البطائح. مثال على ذلك عندما قام السلطان محمود السلجوقي، بإقطاع البطائح لريحان محكويه مولاه؛ فولى عليها نصر بن النفيس بن مهذب الدولة سنة ٥٠١هـ / ١١٠٧م "ناظرا بالبطيحة"[٥].

على الرغم من تفشي الإقطاع والضمان، فإن هذا لم يحُل دون استمرار تمتع الأهالي بالملكيات الخاصة؛ الأمر الذي يفهم من ذكر امتلاك بعض الأفراد ضياعًا خاصة تقع

---

(١) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٥، ص١٢٩.
- الضمان: وصف مسكوية نظام الضمان بقوله: "واقتصر في محاسبة الضمناء على ذكر أصول العقد، وما صح منه، وبقي من غير تفتيش عما عوملت به الرعية، وأجريت عليه أحوالها من جور أو نصفة، من غير إشراف على احتراس من الخراب أو خراب يعاد إلى العمارة، وجبايات تحدث على غير رسم، ومصادرات ترفع على محض الظلم، وإضافات إلى الارتفاع ليست بعبرة، وحسبانات في النفقات.لا حقيقة لشئ منها". (مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٩٩).
(٢) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٥٤-٢٥٧.
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٣٤- ١٣٥؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٤.
(٤) عبد القادر سلمان المعاضيدي: المرجع السابق، ص١٤٢.
(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٩، ص٢١٤؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٦.

بالجامدة[١]. كما يفهم هذا أيضًا من إعادة المظفر بن علي لأصحاب الضياع والأراضي ما كان أخذه منهم عمران بن شاهين وأبناؤه[٢].

ولعل هذه الملكيات الخاصة كانت تعطى من أرض الصوافي (المتروكة ولا وارث لها)[٣]، أو أرض الموات لغرض إحيائها؛ حيث كانت هناك أراض يغلب عليها الغياض والآجام والمستنقعات كالبطائح، ويحول فيها الماء دون زراعتها والانتفاع بها، فإذا عولجت هذه الأراضي حتى تصلح للزراعة، كانت تجري حينئذٍ مجرى المستحيا من الموات الذي يقع عليه الإقطاع[٤].

هـ- الثروة الحيوانية:

تمثل الثروة الحيوانية أهمية كبرى للفلاحين، وعنصرًا رئيسًا في البيئة الزراعية؛ فبعض الحيوانات تقدم اللحم واللبن، وبعضها يستخدم في أعمال الزراعة من حرث وري، وبعضها يعتمد عليه في الركوب والجر[٥]، وتعد البطائح بيئة طبيعة ملائمة لوجود أنواع متعددة من تلك الحيوانات.

وقد عُني البطائحيون بتربية **الجاموس** وهو الذي لا يتوالد إلا بالبلاد الحارة قرب المياه[٦]؛ ومن ثم فقد توالد بكثرة في البطائح، وذلك حين جلب من الهند؛ حيث وجد في البطائح وسائر الريف العراقي بيئة ملائمة، فكان أهم مصدر من مصادر الثروة للسكان هناك[٧]. كما اشتهرت كسكر -على نحو خاص- بوفرة الجواميس بها[٨].

(١) التنوخي: نشوار المحاضرة ، جـ٨ ، ص١٥٨- ١٥٩.
(٢) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٩٠.
(٣) يحيى بن آدم القرشي: الخراج، تحقيق حسين مؤنس، ط١، القاهرة (دار الشروق)، ١٩٨٧م، ص٦٣- ٦٤.
(٤) قدامة بن جعفر:المصدر السابق، ص٢١٧.
(٥) يسري أحمد زيدان: الأوضاع الاقتصادية في العراق والشام في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم/ جامعة القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص١٩١.
(٦) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٠- ١١.
(٧) سترك: دائرة المعارف الإسلامية، مادة البطيحة، ص٦٩٠.
(٨) القزويني: المصدر السابق، ص٤٤٦.

كما شهدت البطائح وجود **البقر**؛ حيث كان يستخدم في الحراثة والزراعة[١]، وقيل أيضًا إن البقر الجيد يجلب من كسكر[٢]. كذلك فقد عرفت البطائح وجود **الأغنام**[٣].

أما عن **الدواجن** فقد اشتهرت كسكر بدجاجها[٤]، تلك التي توافرت هناك بكثرة[٥]. وقد ذكر ابن عساكر أن في مدحها قيل: "أو ما علمت أن فراريج كسكر فيها ثقل كسكر وروائح آجامها، وكأنها من طير الماء فيها الطعم، فإن لم تعالج بالأبازير وتطيَّب بالأفواه وتروًّا بالزيت المغسول لم يمكن النظر إليها فضلًا عن أكله، وهي إذا عوينت بما وصفت وعولجت ففيها بقايا سنخها، ولئن رجعت إلى العراق لا ذقت منها شيئًا"[٦]، وقيل أيضًا دجاج كسكر موصوف بالجودة والسمن مذكور في أطايب الأطعمة، وربما بلغت الواحدة منها وزن الجدى والحمل[٧]. وقيل إن من طعام الملوك الدجاج الفتي الكسكري المسمن بلباب البر[٨].

أيضًا هناك **البط الكسكري**، وهو البط الكبير الذي يكون في المنازل، فإنه ليس بصيد فلا بأس بذبحه؛ لأنه ليس بمتوحش[٩]. كذلك **البطوط** وأمثالهما من طيور الماء، فإنها لا تكثر إلا على سواحل البحار وشطوط الأنهار والبطائح والآجام[١٠].

كما أن هناك من أهل البطائح من عنى **بالخيل الأصيل**؛ حيث قيل إن مدينة بلاس. يسكنها قوم من العرب، لهم خيل موصوفة بالكرم والجودة[١١].

---

(١) التنوخي: المصدر السابق، جـ ٨، ص١٥٤.
(٢) القزويني: المصدر السابق، ص٤٤٦.
(٣) سترك: دائرة المعارف الإسلامية، مادة البطيحة، ص٦٩٠.
(٤) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٤٦.
(٥) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة كسكر)، جـ٤، ص٥٢٣.
(٦) تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمروي، جـ٢، بيروت (دار الفكر)، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٣٩٣.
(٧) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة (دار المعارف)،١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.، ص٥٣٠، ٥٣٦.
(٨) الثعالبي: خاص الخاص، ط١، مصر (مطبعة السعادة)، ١٣٢٦هـ/١٨٠٩م، ص٤٤.
(٩) الشلبي: حاشية على كتاب تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي، ط١، مصر (المطبعة الأميرية)، ١٣١٣هـ، ص١٢.
(١٠) القزويني: المصدر السابق، ص١١.
(١١) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة بلاس)، جـ١، ص٥٦٤).

٢- الصناعة:

تعد الصناعة من بين الأعمدة الرئيسة للحياة الاقتصادية؛ فهى تلعب دورًا محوريًّا بين أنواع النشاط الاقتصادي، فإذا كان بإمكان الزراعة توفير المواد الخام، فإن بمقدور الصناعة أن تحولها -أو بعضها- إلى سلع صالحة للتبادل التجاري.

ولقد اشتهرت البطائح بوفرة القصب، حتى تعددت الصناعات التي اعتمدت عليه، فالقصب مصدر إيراد لا يستهان به، وهو مادة مهمة لأهل الريف، ولمن يعيش على الماء مثل أهل البطائح؛ حيث كانت تبنى هناك السدود من القصب والتراب؛ لمنع المياه من غمر الأراضي الزراعية المجاورة للبطائح؛ وبخاصة في أوقات الفيضانات(١). كما كان القصب يستعمل في كثير من الحاجات المنزلية(٢)؛ إذ صنع البطائحيون منه -مع التراب- بيوتًا لهم؛ حيث ذكر أن بني المنتفق (بنى معروف) منازلهم الآجام والقصب التي بين البصرة والكوفة من العراق(٣)؛ وهي عبارة عن أكواخ مستطيلة من القصب والحصير. كما استخدموا القصب أيضًا في صناعة الحصير يجلسون عليه، هو البارية، ويقال له البوري، والبورية، والبورياء، والباري، والبارياء؛ وهو الحصير المنسوج من القصب. وقد ساعد انتشار المادة الخام لصناعة الحصر من نبات الحلفا وأعواد القصب على انتشار هذه الصناعة(٤).

وقد صنع من القصب أداة للكتابة منذ القدم(٥)، وكان يكتب به على الورق والرق والجلود والقراطيس والصحف ومواد الكتابة الأخرى، فكانت تقطع القصبة قطعًا؛ للمساعدة على مسكها باليد، ثم يبرى أحد رأسيها، ويشق في وسطه شقًّا لطيفًا خفيفًا يسمح بدخول الحبر فيه، فإذا أريدت الكتابة به، غمس في الحبر، ثم كتب به. ويعرف هذا القلم بقلم القصب، تمييزًا له عن

---

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ ٢، ص٢٩٦- ٢٩٧.
(٢) سترك: دائرة المعارف الإسلامية، مادة البطيحة، ٦٩٠.
(٣) القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط٢، القاهرة (دار الكتاب المصري)، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٢١.
(٤) جواد على: المرجع السابق، جـ٧، ص٩١- ٩٢.
(٥) الغزالي: إحياء علوم الدين، ط١، بيروت (دار ابن حزم)، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص١٦٠٩-١٦١٠.

الأقلام المستعملة من مواد أخرى[١]. ولعل البطائح قد عرفت هذه الصناعة القديمة؛ نظرًا لغناها بالقصب.

أما عن صناعة السفن والقوارب، فقد كانت من بين الصناعات التي عرفتها البطائح. ويشير ابن الأثير إلى أن البطائح اشتهرت بصناعة السفن العسكرية[٢]، كما اشتهرت أيضًا بإعداد السفن وتهيئتها[٣]. كما ذكر أن مهذب الدولة الأول –أمير البطائح– قد أهدى الخليفة القادر بالله طيارًا (وهو نوع من أنواع السفن) كان بناه لنفسه[٤]. ولم تشر المصادر هل تم بناؤه بالبطائح أم خارجها.

كما عرفت البطائح صناعة الدقيق؛ حيث ذكر المقدسي أن مدينة الصليق اشتهرت بأنها معدن الدقيق[٥].

كذلك صناعة الورق؛ حيث قال ابن الجوزي: " كان يرتفع له من إقطاعة (مهذب الدولة علي بن نصر)... من الورق ألفا ألف وسبعمائة وخمسون ألفا"[٦].

وأيضًا صناعة القمصان؛ حيث ذكر البلاذري أن هناك ما يسمى بالقميص الكسكري، ووصفه بأنه من الكرابيس[٧] فوق الكعبين، كمه إلى الأصابع أو أصل الأصابع[٨].

كما اشتهر مدينة الطيب (وهي من مدن البطائح) بعمل التكك[٩]؛ وهذه التكك تشبه التكك الأرمنية، ولا يوجد مثلها في بلاد الإسلام خارج أرمنية. وتنتج الطيب أكسية جميلة وبركانات (أردية سوداء)[١٠]. وربما عرفت البطائح كذلك صناعة المناجل؛ حيث كان المنجل يستعمل

(١) جواد علي: المرجع السابق، جـ٨، ص٢٥٣.
(٢) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ص٣٠.
(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص٤٤٩.
(٤) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٤، ص٣٤٩.
(٥) المقدسي: المصدر السابق، ص١١٩.
(٦) المنتظم، جـ١٥، ص١٢٩-١٣٠.
(٧) الكرابيس: مفردها كرباس هي تعنى هنا ثوب من القطن. (رجب عبد الجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس، ط١، القاهرة (دار الأفاق العربية)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٤١٨).
(٨) البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار، ورياض زركلي، جـ٢، ط١، بيروت (دار الفكر)، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٨٧٠.
(٩) التِّكَّك: كلمة آرامية معرَّبة، وأصلها في الآرامية: تكتا، ومعناها: رباط أو شد، وكل ما تربط به السراويل، مفردها التِّكَّة. (رجب عبد الجواد إبراهيم: المرجع السابق، ص٩٤).
(١٠) الإدريسي: المصدر السابق، ص٣٩٧.

للحصاد هناك[١]. وهو عبارة عن سكين من الحديد بهيئة الهلال، ويمكننا أن نستدل على صناعته بالبطائح من إشارة "سكريد فيسفال هلبوش" إليه بأنه أداة عامة لكل شيء تقريبًا، ويختص بصنعه الحدادون[٢].

<u>٣- التجارة:</u>

تعد التجارة -بنوعيها الداخلي والخارجي- الغاية الأخيرة من وراء النشاطين الزراعي والصناعي، كما تعد أحد أهم مرتكزات قوة الدول؛ فهي مؤشر على مدى استقرارها السياسي والعسكري؛ الأمر الذي يتعزز بحرص الدول على حماية التجار، وتسهيل عملهم مهما كانت الظروف والأحوال.

<u>أ- العوامل المؤثرة في النشاط التجاري:</u>

ما كان لحركة التبادل التجاري أن تمضي قدمًا على نحو نشط، إلا في ظل توافر عدة عوامل تنوعت بين الإيجابي والسلبي. ولقد نشطت التجارة بأرض البطائح، وعرفت بعضًا من التجار الأثرياء[٣].

* توافر طرق التجارة والمواصلات:

اعتمدت البطائح على شبكتين من طرق التجارة والمواصلات؛ إحداهما نهرية والأخرى برية؛ مما أدى إلى تشجيع وتنشيط حركة التجارة هناك.

- الملاحة النهرية:

كانت المواصلات النهرية أنسب من المواصلات البرية، وأسرع في كثير من الأحيان. ولقد مثل دجلة والفرات أهم ممرين مائيين في البلاد[٤].

---

(١) التنوخي: الفرج بعد الشدة، جـ٤، ص١٥٣.
(٢) "مدينة المعدان في الحاضر والماضي"، ترجمة محمود الأمين، مجلة سومر، مج١٣، جـ١، ١٩٥٧م، ص٨٣-٩٤.
(٣) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ١، ص٣٧٨.
(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٥، ص١٦٦-١٦٧.

وعلى نحو ما قد سبق ذكره، فمياه البطائح يتباين منسوبها بين القلة والكثرة؛ ولقد شهدت المستنقعات والبحيرات والأجزاء الضحلة من البطائح، سير السمريات فيها، وكذلك الزوارق بالمدافع؛ لقرب قعرها وارتدام مجاريها بالتراب(١). ويوضح ذلك الإصطخري بقوله: "وفى حدود البصرة بين أضعاف قراها آجام كثيرة وبطائح، أكثرها يسار فيها بالمدارى"(٢).

أما المناطق التي يكثر فيها الماء، فهي مسطحات مائية واسعة، لا ينمو فيها أي نوع من أنواع النباتات المائية، وتسير فيها السفن النهرية الكبيرة، وتعرف بالهول(٣).

ساعدت البطائح على اتصال كل من بغداد والبصرة بالكوفة عن طريق النهيرات التى تمتد من الفرات. ويصف الإصطخري هذه الشبكة النهرية في قوله: "وبين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز، تخترق إليه أنهار من الفرات؛ فأولها مما يلي بغداد نهر صَرصْر صغيرة عامرة بالنخيل والزروع وسائر الثمار، من بغداد على ثلاثة فراسخ، ثم ينتهي على فرسخين إلى نهر الملك، وهو نهر كبير أضعاف نهر صرصر، وعليه جسر يُعبر من سفن، وينتهي نهر الملك إلى قصر عمر بن هبيرة الفزاري بإحدى شعبتيه، والأخرى ترمي في دجلة عند كوثي نحو ضيعة تعرف بالكيل، ثم يمتد عمود الفرات حتى يخرج منه نهر سُورا، وهو نهر كثير الماء، ليس يجرج من الفرات شعبة أكبر منه، حتى ينتهي إلى سورا ثم إلى سائر سواد الكوفة، ويقع الفاضل في البطائح، وكربلاء من غربي الفرات فيما يحاذي قصر ابن هبيرة"(٤).

كما وقعت البطائح على طريق التجارة الدولية؛ حيث يذكر البلاذري في ذلك أنه "أُهدي إلى الحجاج من السند فيل فأجيز البطائح في سفينة"(٥).

ولتأمين الملاحة داخل البطائح، شُقَّت وسط القصب الذي ينبت هناك مجارٍ عرفت باسم الأزقة، وأقيمت في مواضع معينة منها أكواخ من القصب أشبه بالدكاكين؛ لإقامة المراسي

(١) الإدريسي: المصدر السابق، ص٣٨٥.
(٢) الإصطخري: المصدر السابق، ص٨١.
(٣) سهراب: المصدر السابق، ص١٣٥.
(٤) الإصطخري: المصدر السابق، ص٨٤- ٨٥.
(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص٤١٠.

للزوارق، وفي كل كوخ خمسة مسالح للحراسة[١]. كما عرفت البطائح منارة من زمن حسان النبطي عرفت بـ(منارة حسان)[٢].

– المواصلات البرية:

حظيت البطائح بموقع جغرافي متميز؛ نظرا لأن شبكة من خطوط النقل والمواصلات البرية تمر بها، وهي الشبكة التي ربطت بين مدن العراق من ناحية، وبين العراق والأقطار المجاورة له من ناحية أخرى. كما تميزت أرض البطائح باستواء سطحها، وعدم وجود جبال تعوقها؛ مما ساعد على تنشيط حركة التجارة الداخلية ومن هذه الطرق[٣]:

الطريق من بغداد إلى البصرة، مارًّا بدير العاقول، ثم واسط والبطائح، ومنها إلى البصرة.

والطريق الذي يربط بين الكوفة وواسط، مارًّا بالبطائح.

والطريق من الكوفة إلى البصرة، مارًّا بالبطائح[٤].

* الحالة الأمنية والسياسية:

مما لاشك فيه أن الاضطراب الأمني وعدم الاستقرار السياسي يؤثران بالسلب في مختلف النواحي الاقتصادية؛ وبخاصة التجارة، والعكس بالعكس؛ ففي سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م انقطعت الطرق عن العراق عمومًا؛ لخوف النهب فغلت الأسعار وكثر الغلاء وتعذرت الأقوات[٥]. وهو ما يلقي بظلاله على حركة التجارة داخل الإقليم عمومًا.

---

(١) ابن رسته: المصدر السابق، ص١٨٥.
(٢) ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص٢٤٠.
- المنارة: موضع النور الذي يهتدى به. (ابن منظور: المصدر السابق (مادة نور)، مج٥، ص٢٤٠).
(٣) بدر عبد الرحمن محمد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب/ جامعة القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٢١٥- ٢١٦.
(٤) الإصطخري: المصدر السابق، ص٧٩.
(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٣٣٥.

أما في البطائح خصوصًا، فقد ذكر القزويني أنه في بعض الأحيان كان يفصل المركب في البطائح شهراً أو أكثر، وربما يأخذه اللصوص[١].

وفي عام ٣٣٩هـ/٩٥٠م، وحين استفحل أمر عمران بن شاهين، أفسد السابلة، وكان أصحابه يطلبون الخفارة من جند السلطان إذا مرّوا بهم إلى ضياعهم ومعايشهم بالبصرة، وقد وصلت هذه الأنباء إلى معز الدولة، مع كثرة شكايات الناس إليه؛ لما كانوا يلاقونه من الهوان في أثناء اجتيازهم لمنطقة البطائح[٢].

كما ذُكر أنه في عام ٣٤٤هـ/٩٥٥م اجتاز جماعة من التجار من الأهواز إلى بغداد مارين بأرض البطائح، فخرج عليهم عمران بن شاهين وأخذ أموالهم؛ مما أثار غضب الأمير معز الدولة البويهي[٣]. ويتضح لنا من ذلك أن أرض البطائح كانت من أهم طرق التجارة في العراق؛ حيث قضت الضرورة بأن يصالح البويهيون عمران بن شاهين، وأن يعودوا عن محاربته في ذلك الوقت[٤].

كما ورد ذكر بني معروف حكام البطائح، فقيل إنهم قد "كثر فسادهم وأذاهم لما يقاربهم من القرى، وقطعوا الطريق، وأفسدوا في النواحي المقاربة لبطيحة العراق، فشكا أهل تلك البلاد إلى الديوان منهم"[٥].

كذلك كثرة الضرائب، تعد من العوامل غير المشجعة على تنشيط حركة التجارة والاقتصاد عامة. ويذكر المقدسي في ذلك أن "الضرائب ثقيلة كثيرة محدثة في النهر والبرّ وفي البصرة تفتّش صعب وشوكات منكرة، وكذلك بالبطائح تقوّم الأمتعة وتفتّش"[٦].

---

(١) القزويني: المصدر السابق، ص٤٤٦.
(٢) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٣٠- ١٣١؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٣٦- ٢٣٧.
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧،ص ٢٥٢.
(٤) نفس المصدر، مج٧، ص٢٩٥- ٢٩٦؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص١٠٦.
(٥) نفس المصدر، مج١٠، ص٣٩٧.
(٦) المقدسي: المصدر السابق، ص١٣٣.

ب- تجارة السلع:

عرفت البطائح التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية.

أما التجارة الداخلية فهي -في إطار هذا البحث- تلك التي تتمثل في حركة البيع والشراء بين مدن البطائح وبعضها، وأيضًا حركة التبادل التجاري بين البطائح وسائر مدن العراق.

ولقد اشتهرت البطائح -على نحو ما تقدم- بزراعة الأرز وقصب السكر بكميات كبيرة، حتى كان إنتاجها من هذين الصنفين يكفي الاستهلاك المحلي، ويذهب الفائض إلى بغداد[١].

كما أرسلت ألبان الجاموس والزبد المستخرج منها إلى أسواق بغداد، حتى قيل إن هذه التجارة كانت أهم مصدر من مصادر الثروة لسكان البطائح؛ لما كانت تدره عليهم من الأرباح الطائلة. ومع أن الجاموس قد جلب في الأصل من الهند، إلا أنه توالد وكثر في أرض البطائح على نحو عجيب[٢].

ومن ناحية أخرى فقد كانت بحيرات السمك تؤجر للأفراد في البطائح الآجام؛ لكثرة ما بها من الأسماك[٣].

كما انتشرت **الأسواق** ببلاد العراق عمومًا، وقد صنفت الحوانيت تصنيفًا تجاريًّا يمكِّن من مراقبتها؛ لمنع الغش والتدليس بها، وليسهل على المشتري الحصول على حاجته، فكان أصحاب كل تجارة يجتمعون في مكان مخصوص بهم، فلم يكن يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة[٤].

ويذكر في ذلك أن الخليفة أبا جعفر المنصور[٥] دعا بثوب واسع فحد فيه الأسواق، ورتب كل صنف منها في موضعه، وقال: "اجعلوا **سوق القصابين** في آخر الأسواق"[٦].

(١) ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص٩١.
(٢) سترك: دائرة المعارف الإسلامية، مادة البطيحة، ص٦٩٠.
(٣) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: الخراج، بيروت (دار المعرفة)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٨٧؛ ابن رسته: المصدر السابق، مج٧، ص٩٤.
(٤) اليعقوبي: البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٣٧.
(٥) أبو جعفر المنصور، (عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس): ثاني خلفاء بني العباس، ولى الخلافة بعد وفاة أخيه أبو العباس السفاح سنة ١٣٦هـ/٧٥٤م. وهو باني مدينة بغداد، أمر بتخطيطها سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م، وجعلها دار الخلافة بدلا من الأنبار. (السيوطي: المصدر السابق، ص٢٠٥- ٢٠٧).
(٦) الخطيب البغدادي: المصدر السابق، مج١، ص٨٠ .

وكان لمدينة كوثي سوق(١)، ومثلما كان لمدينة سورا أسواق عامرة(٢).

أما عن التجارة الخارجية، فقد عرفت البطائح حركة تبادل تجاري واسعة؛ حيث قيل عن بني المنتفق (الذين منهم بنو معروف) إنهم: يستوردون من الهند نفيس الهدايا والقماش والسكر، ويصدرون الخيل الجيدة واللؤلؤ؛ فهم: "قوم يصلون إلى باب السلطان وصول التجار، يجلبون جياد الخيل وكرام المهارى واللؤلؤ، وأمتعة من أمتعة العراق والهند، ويرجعون بأنواع الحباء والإنعام والقماش والسكر وغير ذلك، ويكتب لهم بالمسامحة فيردون ويصدرون... وبلادهم بلاد زرع وبر وبحر، ولهم متاجر مربحة، وواصلهم إلى الهند لا ينقطع، وبلادهم ما بين العراق والحجاز، ولهم قصور مبنية وآطام عالية وريف غير متسع، إلى ما لهم من النعم والماشية والحاشية والغاشية، وإنما الكلمة قد صارت شتى لأناس مجتمعة"(٣).

٤ – الصيد:

يعد الصيد من بين الأنشطة الاقتصادية التي أقبل عليها سكان البطائح، والصيد نوعان بحري وبري.

فأما **الصيد البحري،** فنظرًا لطبيعة الرافدين، دجلة والفرات، والأراضي التي يمران بها وطبوغرافية هذه الأراضي، فقد تهيأ مجال ممتاز لامتلاك العراق ثروة سمكية مهمة في هذين النهرين وروافدهما وجداول الري المتفرعة منهما والمستنقعات والأهوار التي يكونانها عندما يبطؤ جريانهما؛ حيث تتكون المساحات المائية الواسعة(٤). ولم تكن هذه الثروة السمكية مهمة لسكان البطائح فحسب، بل كانت مهمة لجميع سكان العراق.

كما اشتهرت البطائح بوفرة الأسماك(٥)؛ وقد اتصفت بأنها مصيد السمك(٦). وقيل إن بحيرات السمك كانت تؤجر للأفراد في البطائح الآجام أيام عمر بن عبد العزيز (٩٩– ١٠١هـ/

---

(١) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٣٠٥.
(٢) الحميري: المصدر السابق، ص٣٣٢.
(٣) القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص١٢١- ١٢٢.
(٤) عادل عبدالله خطاب: المرجع السابق، ٢٥٨- ٢٥٩.
(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٣٠؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص١٢١؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، جـ٤، ص٦٧٧؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٩٢.
(٦) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٤٦.

٧١٨- ٧٢٠م)[١]. كما يذكر ابن رسته أن البطائح كانت كنزًا لأهل البصرة بما تنتج من السمك، فهي خزانة أهل البصرة يجتمع فيها المياه ومنها سمكهم الطري والمالح[٢].

وفي وصف مدينة الصليق وسكانها قيل أن هناك "ماء غزير وسمك خطير"[٣]. كما اختصت مدينة كسكر بالسمك الشبوط[٤]. كما عرفت بكثرة وتنوع السمك[٥]؛ حتى قيل إن هذه الأشياء بكسكر فاقت أنواعها في غيرها[٦]. أيضًا الجرّارة التي ذكرها ياقوت بقوله: "ناحية من نواحي البطيحة قريبة من البرّ، توصف بكثرة السمك"[٧]. كذلك نهر يما بالبطائح قيل إنه جيد السمك[٨].

وعن **كيفية صيد** أهل البطائح للسمك، فقد قيل إنهم يبنون حظيرة في الماء، ويصيحون حولها فيجتمع السمك إليها حتى تمتلئ[٩].

كما استقبل العراق بعامة جماعات من الأسماك المهاجرة عن طريق بحر البصرة والأبلة، يقول الجاحظ: "وهذا بحر البصرة والأبلة، يأتيهم ثلاثة أشهر معلومة معروفة من السنة السمك الأسبور[١٠]، فيعرفون وقت مجيئه وينتظرونه، ويعرفون وقت انقطاعه ومجيء غيره، فلا يمكث بهم الحال إلا قليلًا حتى يقبل السمك من ذلك البحر، في ذلك الأوان، فلا يزالون في صيد ثلاثة

---

(١) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: المصدر السابق، ص٨٧.
(٢) الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٩٤.
(٣) المقدسي: المصدر السابق، ص١١٩.
(٤) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٤٦.
- السمك الشبوط: وهو "دقيق الذنب، عريض الوسط، لين المس، صغير الرأس". (الهروي: إسفار الفصيح، تحقيق أحمد بن سعيد ابن محمد قشاش، جـ٢، الدينة المنورة (الجامعة الاسلامية)، ١٤٢٠هـ، ص٦٠٨). وقيل أيضا إنه مشهور وطوله ذراع وعرضه أربع أصابع. طيب اللحم، ويكثر في دجلة (القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط١، بيروت (مؤسسة الأعلمى)، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ص١٣٠).
(٥) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص٥٣٦.
(٦) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٤٦.
(٧) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة الجرارة)، جـ٢، ص١٣٦.
(٨) نفس المصدر (مادة يما)، جـ٥، ص٥٠٥.
ورد أن أهوار العراق تضم (في العصر الحديث) أكثر من ٢٦ نوعا من الأسماك، وهي كما يأتي: الشلك، البز، الجصان، الحمري، البني، العنزة، الكطان، البلعوط، الجري، أبو الزمير، الخشني، بياح بوري (بياح)، الزبيدي، الصبور، الكوسج أو قرش الثور، أبو السلمبح، البلطي، السبتي، هامور، الشيطان، المعالج، الحرش، الزوري، العجد. (هيثم الشيباني: أهوار العراق، مجلة الكاردينيا، حزيران ٢٠١٦.
http://www.algardenia.com/maqalat/24474-2016-06-26-15-35-08.html).
(٩) أبو هلال العسكري: الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، ط١، القاهرة (دار البشير)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٨٩.
(١٠) الأسبور: هو من الأسماك البحرية المشهورة، ومن فصيلة المرجان، والسرغوس، والسرب، والكحلاء، ونحوها.(أمين المعلوف: معجم الحيوان، بيروت (دار الرائد العربي)، ص٢٣٢).

أشهر معلومة من السنة، وذلك في كل سنة مرتين لكل جنس. ومعلوم عندهم أنه يكون في أحد الزمانين أسمن، وهو الجواف[١]، ثم يأتيهم الأسبور، على حساب مجيء الأسبور والجواف. فأما الأسبور فهو يقطع إليهم من بلاد الزنج. وذلك معروف عند البحريين. وأن الأسبور في الوقت الذي يقطع إلى دجلة البصرة لا يوجد في الزنج، وفي الوقت الذي يوجد في الزنج لا يوجد في دجلة. وربما اصطادوا منها شيئًا في الطريق في وقت قطعها المعروف، وفي وقت رجوعها. ومع ذلك أصناف من السمك كالإربيان[٢]، والرق[٣]، والكوسج[٤]، والبرد[٥]، وكذلك كان هناك البرستوج[٦]. وكل ذلك معروف الزمان، متوقع المخرج. وفي السمك أوابد وقواطع، وفيها سيارة لا تقيم"[٧]. ونظرًا لقرب مياه البطائح من تلك المنطقة، على نحو ما تقدم ذكره أنها " خزانة أهل البصرة يجتمع فيها المياه... ومنها سمكهم من الطري والمالح"[٨]. فمن المرجح أن البطائح كانت تستقبل تلك الأسماك المهاجرة[٩].

كما أن **الطيور المائية** موجودة في البطائح بكثرة؛ حيث يذكر القزويني أن البطائح يتولد فيها أشكال من الطيور غريبة لم يعرفها أحد[١٠]. وقيل أيضًا من طيور الماء ما يعرف بالغاقة،

(١) الجواف: نوع من السمك، ووصفه مثل وصف الأسبور. (القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص١١٢).
(٢) الإربيان: وهو يعرف في مصر بأسم الجنبري. (أمين المعلوف: المرجع السابق، ص١٩٤).
(٣) الرق: السلحفاة المائية. (عبد السلام هارون: حاشية كتاب الحيوان للجاحظ، جـ٤، ص١٠٢).
(٤) الكوسج: ذكره القزويني بقوله: نوع من السمك معروف، طوله مقدار ذراع أو ذراعين، تخافه دواب البحر، حيث قيل أن له أسنان كالسيف، وله وقت معين يكثر فيه بدجلة قرب البصرة" (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص١٣٤،١١٢).
(٥) البرد: لعله يكون البز أو البزون، وهو نوع من السمك معروف بالعراق. (عبد السلام هارون: حاشية كتاب الحيوان للجاحظ، ص١٠٢).
(٦) البرستوج: سمك بحري ذكره القزويني" حاله كحال الخطاطيف وغيرها من الطيور ينتقل من موضع إلى موضع" (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص١١٢).
(٧) الحيوان، جـ ٤، ص١٠١- ١٠٢.
(٨) ابن رسته: الأعلاق النفيسة، مج٧، ص٩٤.
(٩) وقد ورد أن منطقة البطائح وأهوارها تجتذب إليها الأسماك المهاجرة من البحر (وذلك في العصر الحديث)؛ حيث تضع بيضها في مياه الأهوار خفيفة الملوحة، وبعد تفقيس البيوض تمكث الأجنة عدة أشهر في منطقة الأهوار، ثم تحاول العودة إلى البحر عن طريق شط العرب مرة ثانية؛ ويدل ذلك على أهمية طبيعة نهري دجلة والفرات وأقسامهما المختلفة في تربية الأسماك، كما يلاحظ أهمية مياه البطائح بوصفها مراعي طبيعية غنية بالنباتات المائية ذات القيمة الغذائية، والضرورية لتسمين الأسماك وتكاثرها. (عادل عبدالله خطاب: المرجع السابق، ص٢٦٠).
(١٠) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٤٦.
- وفي العصر الحديث عرفت النورس والبط البري والأوز والتم (الأوز العراقي)، كما أن فيها أسرابًا من الكراكي والبجع والغرنوق والقلق والحباري والواق. (سترك: دائرة المعارف الإسلامية، مادة البطيحة، ص٦٩٠).

Adriansen H. K., "The Iraqi Marshlands: Is Environmental Rehabilitation Possible?", *Papers of the Applied Geography Conferences* (2006) 29, pp. 214- 223.

وتسمى عندهم الإوز. والإوز ضروب كثيرة وأجناس، وعمومًا فإن طير الماء أكثر من مائتي لون، وأسماؤها في البطائح بالنبطية[١].

عرفت البطائح وجود الحيوانات المفترسة؛ حيث شهدت وجود الأسود[٢]؛ لا سيما في كسكر[٣]، كذلك تكثر الأسود في بعض نواحي الجامدة ونهر جعفر[٤]، كما قيل إن أتباع الطريقة الرفاعية بقرية أم عبيدة كانوا يركبونها، كما يأكلون الحيات وهي حية[٥]؛ مما يدل على وجود الحيات كذلك؛ الأمر الذي يكشف عن احتمالية ممارسة الصيد البري بأرض البطائح.

(١) ابن سيده: المخصص، جـ ٢، ط١، بيروت (دار إحياء التراث العربي)، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٣٣٩.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٨، ص٩١.

(٣) حيث ورد أن الحجاج بن يوسف الثقفي كتب إلى عامله بكسكر يأمره أن يصيد له أسدا ضاريا. (الجاحظ: المحاسن والأضداد، تحقيق فوزي عطوى، بيروت، ١٩٦٩م، ص٥٩؛ عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مج٧، ط٣، القاهرة (مكتبة الخانكي)، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٤٦٣- ٤٦٤).

(٤) التنوخي: الفرج بعد الشدة، جـ٤، ص١٥٢- ١٥٣.

(٥) ابن كثير: المصدر السابق، جـ١٦، ص٥٥٩. وفي العصر الحديث وجدت هناك قطعان كثيرة من الوشق والفهد وابن آوى والذئب والقط البري، كما كثرت الخنازير البرية هناك. (سترك: دائرة المعارف الإسلامية، مادة البطيحة، ص٦٩٠- ٦٩١).

ثانيًا: النظام المالي في البطائح:

بالانتقال من النشاط الاقتصادي إلى النظام المالي في البطائح، نجد مجموعة من العناصر تستحق الوقوف أمامها:

١ – الموارد:

هناك من ولاة البطائح من عمل على **العناية بواردات إقطاعه،** مثلما فعل مهذب الدولة الأول، فكان يرتفع له من إقطاعه -كما تقدم- تسعة آلاف وستمائة كراً من الحنطة، وثلاثة عشر ألفًا وثلاثمائة وسبعون كرًا من الشعير، وثمانية آلاف كر من الأرز، وكان يُرفَع له من الورق ألفا ألف وسبعمائة ألف وخمسون ألفًا[١].

أيضًا تطرق المقدسي في حديثه عن **الضرائب** إلى أن هناك ضرائب تجارية بالبطائح؛ حيث يقول: "وأما الضرائب فثقيلة كثيرة محدثة في النهر والبر... بالبطائح تقوم الأمتعة وتفتش"[٢].

وكما تطرقت المصادر إلى أن البطائحيين كانوا يقطعون الطريق ويحدثون أعمال **السلب والنهب،** وذلك خلال عهد عمران بن شاهين؛ حيث ورد أنه سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م قام عمران بالاستيلاء على الأموال المرسلة إلى معز الدولة من الأهواز، كما استولى على سفينة بها أموال أخرى للتجار، وقبض أيضًا على المزعبل ملاح معز الدولة، وصادر ما معه من أموال. وكان مقدار المال المحمول لمعز الدولة مائة ألف دينار، وكان المال المحمول للتجار أضعاف ذلك. وظل عمران على تمرده حتى شفاء معز الدولة، الذي احتج على تصرفات عمران، وراسله في ذلك عن طريق أبي الحسين الكوكبي نقيب الطالبيين؛ حيث أمره برد الأموال، فرد عليه أمواله فقط وامتنع عن رد أموال التجار[٣].

(١) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٥، ص١٢٩.
(٢) المقدسي: المصدر السابق، ص١٣٣- ١٣٤.
(٣) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٥٨ـ ١٥٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٥٢.

وهناك حادثة أخرى، تتعلق بأعمال السلب والنهب، فعندما ألحق عمران بن شاهين الهزيمة ببختيار وجيشه سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م، جعل رجاله يتعقبون الجيش المنهزم ويتخطفون أطرافه ويقومون بأعمال السلب والنهب، فكثرت غنيمته منهم(١).

وهناك أيضا حادثة تتعلق **بالمصادرة**؛ ففي سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م، وبعد أن استتب الأمر للمظفر، عمل على استمالة الناس بالتودد إليهم، واستبدل بسياسة القتل سياسة العدل؛ فأعاد لأصحاب الضياع والأراضي ما كان أخذه منهم عمران بن شاهين وأبناؤه(٢)؛ مما يدل على أن مصادرة الممتلكات كانت من موارد الدولة في بعض الآونة.

وفي الحديث عن عصيان أهالي البطائح سنة ٤١٨هـ/ ١٠٢٧ على الأمير البويهي أبي كاليجار ووزيره أبي محمد بن بابشاذ متولي حكم البطائح آنذاك، ورد أن سبب هذا الخلاف أن أبا محمد بن بابشاذ تشدد في معاملة الناس هناك، وأخذ أموالهم وأساء إليهم وأمر بأن يوضع على كل دار بالصليق قسط؛ مما اضطر كثيرًا من الأهالي إلى ترك البطائح(٣).

٢- المصارف:

النفقة العامة هي: "مبلغ نقدي يخرج من الذمة المالية للدولة أو أحد تنظيماتها؛ بهدف إشباع حاجة عامة"(٤)، ويمكن عرض ما تناولته المصادر من أوجه الإنفاق بالبطائح خلال فترة الدراسة على النحو الآتي:

وعلى الوجه الآخر؛ ففي سنة (٣٧٩هـ/٩٨٩) أقام مهذب الدولة الأول -الذي امتد حكمه للبطائح ما يزيد على ثلاثين سنة نعمت فيها البلاد بالاستقرار- سقايات بواسط التي كانت تحت حكمه، ولم يبخل عليها بالأموال، وأنفق عليها ستة آلاف دينار(٥).

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٢٣.
(٢) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٩٠.
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج ٨، ص١٦٠؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٤.
(٤) حامد عبد المجيد دراز، والمرسي السيد حجازي: مبادئ الاقتصاد العام، الإسكندرية، ص٢٥٩.
(٥) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٤، ص٣٣٩.

في الحديث عن **الهدايا**، ذُكر أن عمران بن شاهين في ظل دعمه القوي لبختيار ضد ابن عمه عضد الدولة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، أسرع بإرسال ابنه الحسن بن عمران، بصحبة كاتبه وقواده في بعض زواريق إلى بختيار، كما حمل إليه وإلى ابن بقية مالًا وثيابًا[١].

أيضًا عندما لجأ القادر بالله **(قبل استخلافه)** إلى مهذب الدولة الأول، في سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م، وظل القادر في البطائح يحظى برعاية مهذب الدولة مدة ثلاثة أعوام تقريبًا حتى صار خليفة[٢]. وقيل إنه عندما "استقدموه من البطائح فجهزه أميرها مهذب الدولة علي بن نصر، وحمله من الآلات والرخت بما أمكن، وأعطاه طيارًا"[٣].

كذلك عندما تولى أبو عبد الله الحسين بن بكر الشرابي حكم البطائح، بدأ حكمه بمحاولة الحصول على اعتراف بحكمه؛ حيث أرسل الأموال والهدايا إلى الأمير البويهي سلطان الدولة؛ فأقره على البطائح، وظل في منصبه حتى سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م[٤].

كما تقرر على أغلب أمراء البطائح **دفع مبلغ من المال إلى السلطة الحاكمة ببغداد**؛ مثلما اتفق على ذلك الحسن بن عمران مع عضد الدولة[٥]، كما تقرر على مهذب الدولة الأول دفع خمسين ألف دينار كل سنة لبهاء الدولة[٦]، وحصل من البويهيين على ضمانات أسفل واسط بمبلغ مليون وثلاثمائة ألف درهم[٧].

كذلك سابور بن المرزبان الذي حكم البطائح، وكتب إلى مشرف الدولة البويهي، طالبًا منه أن يقرر عليه ما كان على صدقة بن فارس المازياري من مال؛ ضمانًا لحكم البطائح، فأجابه إلى ذلك بعد أن زاد عليه الأموال[٨].

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٦٩، ٣٧٠؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٦٥- ٣٦٦.
(٢) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٠٨؛ ابن الأزرق الفارقي: المصدر السابق، ص٦٣- ٦٥؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص١٢٦.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٥، ص١٢٨.
(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٢٠.
(٥) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٤١٠-٤١١؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٨٥- ٣٨٦.
(٦) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٣٢؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٢.
(٧) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٥٤-٢٥٧.
(٨) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٣٤- ١٣٥؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٤.

أيضًا حين جاء أبو نَصْرٍ شيرزَاد بن الحَسَنِ بن مَرْوَانَ إلى مشرف الدولة، وزاده في الأموال أكثر من سابور بن المرزبان، فكان أن أقره على ولاية البطائح، فسار إليها، وذلك سنة ٤١٨ هـ / ١٠٢٧م(١).

وعندما استولى أبو نصر بن الهيثم على البطائح عسكريا سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤٢م، حرص على أن يحصل على تقليد لحكمها، كغيره من الأمراء المقلَّدين؛ حيث تعهد بأن يدفع مبلغًا من المال كل سنة إلى جلال الدولة(٢).

كذلك عندما تولى حكم البطائح بدر الدين بن المظفر بن حماد بن أبي الجبر، كان يلتزم في كل سنة عددًا من الأجناد، وشيئًا من الحمل إلى الخليفة المقتفي لأمر الله(٣).

وهناك مصرف آخر يتعلق بتقديم **المساعدات المالية** والقروض؛ حيث قدم مهذب الدولة الأول لبهاء الدولة البويهي المساعدة المالية؛ إذ اقترض منه الأخير قرضين(٤).

وهناك مصرف آخر متعلق **بالجيش والنواحي العسكرية؛** حيث قام مهذب الدولة بتقديم المساعدة العسكرية لبهاء الدولة البويهي، وذلك عندما أرسل جيشا من قبله لاستعادة البصرة من يد أبي الطيب الفرحان الذي استولى عليها؛ لتعود البصرة إلى نفوذ بهاء الدولة(٥).

يضاف إلى ذلك كله مصرف **إطلاق المال من أجل استمالة الجند وكبار القواد،** مثلما فعل أبو الفرج محمد بن عمران بن شاهين عندما تمكن من قتل أخيه الأكبر الحسن بن عمران والاستيلاء على الحكم سنة٣٧٢هـ/٩٨٢م، ورتب مع القواد سرعة قتله فور وصوله، وكان قد وعد العسكر بالإحسان، وبذل الأموال، فأقروه على الإمارة، كما أسكت الثائرين على فعلته بالهدايا والأموال(٦).

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٣٤- ١٣٥.
(٢) نفس المصدر، مج٨، ص٢٥٣، ٢٦٦.
(٣) الحسيني: المصدر السابق، ص١٣٧.
(٤) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٥٧.
(٥) نفس المصدر، جـ٣، ص٢٥٧.
(٦) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤٠٧؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص١٢٣؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٧٩- ٦٨٠؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق، جـ٤، ص١٤١.

وكذلك فعل المظفر بن على (الحاجب) سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م؛ حيث أطلق المال وأرضى الجند[١]. أيضا هناك أبو نصر بن الهيثم سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤٢م، الذي استمال كبار القواد بالأموال[٢].

٣- العملات المتداولة:

تعد النقود -بصورة عامة- وسيطًا عامًّا ومقبولًا يسهل عمليات التبادل بين الناس[٣]، بينما تعد العملة وسيلة للمعاملات تعين على تقدير مختلف السلع[٤]، وقد عرف العالم الإسلامي العملات النقدية التي كانت تقوم على قاعدة ذهبية (الدينار)، وتلك التي قامت على قاعدة فضية (الدرهم)[٥].

ولقد ذكرت المصادر -بطرق مختلفة وفي سياقات شتى- النقود المتداولة في البطائح. فأما عن **الدينار** فقد ذُكرت بعض الإشارات عن تداوله هناك؛ منها:

في سياق الحديث عن عقد نكاح مهذب الدولة الأول على ابنة بهاء الدولة، والأمير أبي منصور بويه بن بهاء الدولة على ابنة مهذب الدولة، ورد أنه تقرر الصداق من كل جانب مائة ألف دينار، و قيل إن مهذّب الدولة الأول حمل بالمبلغ مالًا وغلّة، وذلك عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م[٦].

---

(١) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٨٨؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤١٢، ٤١١؛ أبو الفدا: المصدر السابق، جـ٢، ص١٢٣.

(٢) الكامل في التاريخ، مج٨، ص٢٥٣، ٢٦٦.

(٣) أمينة أحمد إمام الشوربجي: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي (٣٥٨- ٥٦٧هـ / ٩٦٩- ١١٧١م)، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ١٩٩٤م، ص١٨.

(٤) صفاء حافظ عبد الفتاح: الموانئ والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ٢٠١٠م، ص١٢٧.

(٥) طاهر راغب حسين: النقود الإسلامية الأولى، الكتاب الأول، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص١٠٢.

- الدينار: كلمة فارسية معربة، وهو اسم لنقد مضروب من الذهب اختلف وزنه وجودته ونسبة الذهب فيه باختلاف الزمان والمكان. (محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ط١، القاهرة (دار الشروق)، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٢٢٥). والكلمة في أصولها البعيدة لاتينية. (عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط٥، القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية)، ١٩٨٦م، ص٤٥).

- الدرهم: كلمة فارسية معربة، واسم لمضروب من الفضة اختلف وزنه باختلاف الزمان والمكان. (محمد عمارة: المرجع السابق، ص٢١٤. والكلمة يونانية في أصولها البعيدة. (عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص٤٥).

(٦) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٥٤؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤٦٧- ٤٦٨.

كما تقرر عام ٣٩٥هـ /١٠٠٤م على مهذب الدول الأول أن يدفع كل سنة لبهاء الدولة مبلغ خمسين ألف دينار[١].

وهناك حادثة أخرى تتعلق بمهذب الدولة الثاني، وهي عندما ضمنه سيف الدولة صدقة بن مزيد مدينة واسط سنة ٤٩٧هـ /١١٠٣م على أن يصبح نائبًا عنه في حكمها، تعهد بأن يدفع له مبلغًا من المال، وقيل إن هذا المال قدره خمسون ألف دينار[٢]، في حين ذكر الأصبهاني أنه كان أربعين ألف دينار[٣].

أما عن **الدرهم** فقد ذكرت المصادر أنه في سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م، وافق عمران على أن يقسط لبختيار مبلغ ألفي ألف درهم فقط[٤].

وورد أيضًا أنه عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م قد خطب لمهذب الدولة بواسط وأعمالها، واحتسب له من مال ضماناته بأسفل واسط مبلغ مليون وثلاثمائة ألف درهم غياثية منسوبة إلى الإقطاع. وكان عيار الدرهم الغياثي ثمانية ونصف حرف في كل عشرة[٥].

ويُستنتج –مما سبق– أن العملات المتداولة بالبطائح ما هي إلى عملات عباسية شائعة التداول. كما لم يرد ما يفيد أن هناك عملات قام بضربها وسكها أي من أمراء البطائح.

كما يُستنتج أيضًا من دراسة الحياة الاقتصادية بالبطائح، أنها عرفت زراعة محاصيل عديدة من الحبوب والفاكهة وغير ذلك، كما اشتهرت بزراعة محصول الأرز بل صدرته إلى بغداد، في حين غاب عن المصادر أي ذكر لمحاصيل الخضروات؛ ولعلها كانت من القلة بحيث لم تستحق الذكر. كما نجحت بيئة البطائح في توفير العديد من المواد الخام للصناعة؛ مثل القصب مما ساعد على انتشار صناعات عديدة بها. أما على مستوى النشاط التجاري، فقد حظيت البطائح بموقع جغرافي أمَّن لها المشاركة الفعالة في التجارة داخل العراق وخارجه؛ وعلى أثر ذلك شهدت نشاطًا تجاريًّا، ووجد بها الأسواق والمحلات، كما عرفت التجار الأثرياء.

---

(١) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص١٣٧؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٢.
(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٩، ص٧٤-٧٥.
(٣) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٢٥ .
(٤) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٩٧.
(٥) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٥٤.

أيضًا على مستوى الصيد، اشتهرت البطائح بوفرة الأسماك، حتى اتصفت بأنها مصيد لها. كما يلاحَظ أهمية البطائح بوصفها مراعي طبيعية ملائمة لتسمين الأسماك وتكاثرها؛ ومن ثم فقد استقبلت أنواعًا عديدة من الأسماك المهاجرة.

كما تأثرت الحياة الاقتصادية–من دون شك– بالوضع السياسي؛ إذ أدى استقرار أمراء البطائح إلى حدوث انتعاش اقتصادي بها؛ مثلما كانت الأحوال زمن مهذب الدولة الأول.

ومن ناحية أخرى كانت أوضاع الضرائب مؤثرة في النشاط الاقتصادي بالبطائح؛ فعندما عانى الفلاحون كثرة الضرائب الملقاة على كاهلهم، اضطر كثير منهم إلى مغادرة أراضيهم؛ مما انعكس بالسلب على الوضع الاقتصادي هناك؛ مثلما حدث خلال حكم الأمير البويهي أبي كاليجار ووزيره أبي محمد بن بشاذ.

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية في البطائح خلال عصري البويهيين والسلاجقة

أولًا: عناصر السكان في البطائح

١- النبط.

٢- العرب.

٣- الزط.

٤- الفرس.

٥- الأتراك.

٦- الزنج.

ثانيًا: طبقات المجتمع في البطائح

١- طبقة الخاصة.

٢- الطبقة الوسطى.

٣- طبقة العامة.

٤- أهل الذمة.

ثالثًا: مظاهر الحياة الاجتماعية في البطائح

١- عادة الإجارة.

٢- الأطعمة والأشربة.

٣- الملابس.

٤- الأعياد والاحتفالات.

٥- الأوضاع الصحية.

رابعًا: المنشآت الاجتماعية في البطائح

أولًا: عناصر السكان في البطائح:

سكن البطائح أقوامٌ عدة، كانوا خليطًا من أناس تختلف لغاتهم وأجناسهم وأديانهم، ويأتي في مقدمة هذا التركيب السكاني:

١ – النَّبَط:

ذكر المسعودي أن هناك عدة أراء حول أصل النَّبَط؛ فمن الناس من رأى أن أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطوفان، وأن السريانيين هم من النَّبَط. ومنهم من رأى أنهم إخوة لودماش ابن نبيط بن ماش بن إرم ابن سام بن نوح. ومنهم من رأى غير ذلك[١]. كما ورد أن ملوك بابل، هم من النَّبَط، وأن الفرس أخذت عنهم الملك[٢]؛ أي أن النَّبَط كانوا بأرض السواد والبطائح قبل الفرس.

وقد سموا نَبَطا؛ لأنهم استنبطوا المياه[٣]، واستنبطوا الأرض وعمروا سواد العراق وحفروا الأنهار العظام[٤]. كما شكلوا عامة سكان القرى والأرياف الواسعة. وكانت الفرات ودجلة لا ينتفع بهما، حتى يأتيا بلادهم فيفجرونهما في كل موضع؛ حيث حفروا الأنهار العظام بالعراق، وصرفوا دجلة والفرات بالسدود وقسموا مياههما[٥].

وهناك من النَّبَط من نسبت إليه بعض المواضع والقرى مثل حسان النَّبَطي عندما ولي الخراج للوليد ثم لهشام بن عبد الملك؛ حينئذٍ نسبت إليه بعض المواضع، كان من بينها قناة حسان بالبطائح[٦].

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ١، ص٢٠٧.
(٢) نفس المصدر، جـ١، ص٢١٥؛ الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية (مادة نبط)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، جـ٣، ط٤، بيروت (دار العلم للملايين)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١١٦٢؛ الخطيب البغدادي: المصدر السابق، مج١، ص٣٦٢؛ سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١، ص١٢٨- ١٢٩.
(٣) ابن الشجري: أمالي ابن الشجري، تحقيق محمود محمد الطناحي، جـ١، ط١، القاهرة (المؤسسة السعودية)، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٢٢٠.
(٤) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١، ص١٦٢.
(٥) الخطيب البغدادي: المصدر السابق، مج١، ص٣٦٢؛ سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١، ص١٢٨-١٢٩.
(٦) ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص٢٤٠.

كما ينتسب النبط إلى القرى لا إلى القبائل؛ حيث قال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: "تعلموا من النسب ما تعرفون به أنسابكم، وتصلون به أرحامكم، ولا تكونوا كنَبَط السواد إذا قيل لأحدهم: من أنت؟ فيقول: أنا من قرية كذا وكذا"[١].

أما بالنسبة للغة النَبَط ، فهي السريانية[٢]. وعلى ما يبدو فلم تكن النظرة إليها في الثقافة العربية جيدة؛ حيث يقول المقدسي:" وأما البطائح فنَبَط لا لسان ولا عقل"[٣].

أما بالنسبة إلى بقاء النَبَط بالبطائح خلال فترة الدراسة، فقد أشار مسكويه أيضًا إلى بقاء النبط بأرض البطائح خلال العصر البويهي، بل اختزل فيهم سكانها جميعًا؛ حيث يذكر أن عضد الدولة بعد وفاة عمران بن شاهين: "كره أن يجاوره النبط مستعصية، ويطاوله صغار أصحاب الأطراف، ومن يلوذ بالقصب والغياض والآجام ولا يستأصله، فعرّض في مجلسه بذكر الحسن بن عمران والبطيحة وطلب من يكفيه هذا الخطب"[٤]. وقد ظلوا يسكنون البطائح في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي؛ فهذا ياقوت الحموي يشير إلى قرية الطيب (البطائحية) بقوله: "أهلها نبط إلى الآن"[٥].

<u>٢– العرب:</u>

شهدت أرض البطائح سكنى العديد من القبائل العربية، تلك التي شارك بعضها وبعض مواليها في ثورتي الزط والزنج؛ حيث ذكر البلاذري انضمام موالي قبيلة باهلة العربية إلى زط البطائح في أثناء ثورتهم[٦]، كما أشار الطبري إلى دور هؤلاء الباهليين خلال ثورة الزنج؛ حيث سيطروا على بعض طرق البطائح؛ لا سيما طرق التجارة بها تحت زعامة رجل منهم، يدعى

---

(١) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ٢، ص٤٥٠.
(٢) السريانية: يقول ياقوت: "أن سورستان العراق، وإليها ينسب السريانيون وهم النبط، وأن لغتهم يقال لها السريانية، وكان حاشية الملك إذا التمسوا حوائجهم، وشكوا ظلاماتهم تكلّموا بها لأنّها أملق الألسنة" (معجم البلدان (مادة سورستان)، جـ ٣، ص٣١٧).
(٣) أحسن التقاسيم، ص١٢٨.
(٤) تجارب الأمم، جـ٢، ص٤٠٩-٤١٠.
(٥) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة الطيب)، جـ٤،ص ٦٠.
(٦) فتوح البلدان، ص٥٢٢- ٥٢٣.

سعيد بن أحمد بن سعيد بن سالم الباهلي، وقد قبض عليه، وأرسل إلى بغداد حيث صلب هناك سنة (٢٥٨هـ/ ٨٧١ م)[١].

أما في فترة دراستنا، فقد سكن أرض البطائح العديد من القبائل العربية التي كان لها دور واضح في الأحداث السياسية ليس في البطائح فحسب بل في العراق عمومًا؛ حيث يشير الصفدي إلى عرب البطائح أيام عمران بقوله: إن "عرب البطائح وواسط، وكانوا قد ملكوا عليهم شيخاً منهم يدعى عمران، وكان قد حاربه عز الدولة بن بويه عدة نوب، ولم ينتصف منه"[٢].

وكذلك هناك قبيلة بني أبي الجبر، فهي قبيلة عربية تنسب إلى سليمان بن منصور بن إسماعيل بن مالك بن طريف، وينتهي نسبه إلى معد بن عدنان. وقد حكمت تلك القبيلة البطائح من منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إلى منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[٣].

كما يذكر الأصبهاني قصيدة لمهذب الدولة الثاني أحمد بن محمد بن أبي الجبر يفتخر فيها بنسبه العربي بين القبائل، ومجد أجداده وهي:

سَلْ بقومي في الجاهليّةِ والإس	**لامِ يُــخْبِــرْك مـجـدُهم والعَلاءُ.**
مــن غِفار وضَـمْرَة وفِـــراس	**زعــــــماءٌ أَشِــدَّةٌ حُلَمـــاءُ.**
وإذا قلــتُ يـــا لَلَيْــثٍ أجابــت	**نــــي قُرَيْــشٌ وزَمْزَمٌ والصَّفـاءُ.**
ومِنَـــى والحَطِيـمُ والحِجْرُ والبي	**تُ وحَسْبي ما ضَمَّتِ البَطْحاءُ.**
ومتـــى شِمتُ مـن خُزَيْمَةَ بـرقاً	**أَسَدِيّــاً يــنْـهَلُّ منــه الحَيــاءُ.**
مَزْيَــدِيــاً عليـه من سِمَــة المُلْ	**كِ وَقـــارٌ وعـــزَّةٌ وبـهاءٌ.**[٤]

كذلك هناك قبيلة بنى أسد –أهل الحلة المزيديّة– أولئك الذين لجئوا إلى البطائح وعاشوا فيها، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، حتى تم إجلاؤهم عنها، وسلّمت بطائحهم وبلادهم إلى قبيلة

(١) تاريخ الرسل والملوك، جـ٩، ٤٩٠، ٤٩٨، ٥٢١.
(٢) أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد، وأخرين، جـ٤، ط١، بيروت (دار الفكر المعاصر)، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص١٤.
(٣) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٢٥- ٥٢٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٨، ص٤٠.
(٤) نفس المصدر، جـ٤، مج٢، ص٥٢٥- ٥٢٦.

بني معروف[١]. وعن نسب بني مزيد يذكر القلقشندي أنهم بطن من بني أسد بن خزيمة من العدنانية[٢].

أيضًا قبيلة بني معروف التي حكمت البطائح، فإن نسبهم عربي يرجع إلى بني المنتفق. وهم: بنو المنتفق بن عامر بن عقيل، والإمارة فيهم في بني معروف، ومنازلهم الآجام والقصب التي بين البصرة والكوفة من العراق[٣].

كما قيل إن مساكنهم كانت بالبحرين[٤]، ثم اختلف بنو عقيل مع جيرانهم من بني تغلب فغلب بنو تغلب على بني عقيل، وطردوهم من البحرين، فسار بنو عقيل إلى العراق، وملكوا الكوفة والبلاد الفُراتية، وبقيت المملكة بأيديهم حتى غلبوا عليها الملوك السلجوقية، فتحولوا عنها إلى البحرين حيث كانوا أولاً، فوجدوا بني تغلب قد ضعُف أمرهم فغلبوهم على البحرين، وصار الأمر بالبحرين لبني عُقيل[٥]. كما سبق ذكره.

ويتضح لنا مما سبق أن المجتمع بالبطائح –خلال فترة الدراسة– كان يتكون من عدد من القبائل، وربما كان ذلك أساسًا للتنظيم الاجتماعي بها.

٣- الزط:

ومن الجماعات الأخرى التي سكنت البطائح الزط، وهم جيل أسود من السند كما يذكر ابن منظور[٦]. ويذكر البلاذري أن موطنهم الأصلي بلاد السند، وأن من استقدمهم للبطائح هو الحجاج بن يوسف الثقفي؛ حيث أتى بجماعات منهم، ومعهم جواميسهم، فأسكنهم بأسافل كسكر،

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٧.
(٢) القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٤٢٠.
(٣) القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط٢، القاهرة (دار الكتاب المصري، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٢١.
(٤) البحرين: ذكرها ياقوت بقوله: "اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان، قيل هي قصبة هجر، وقيل هجر قصبة البحرين... وبينها وبين البصرة خمسة عشر يوما على الإبل، وبينها وبين عمان مسيرة شهر". (معجم البلدان (مادة البحرين)، جـ١، ص٤١٢).
(٥) القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٣٦٦.
(٦) لسان العرب (مادة زطط)، مج٧، ص٣٠٨.

فغلبوا على البطيحة وتناسلوا بها[١]. في حين يرى المسعودي أنهم قد جاءوا إلى العراق لغلاء وقع ببلادهم فساق وراءه الفقر والفاقة[٢].

ويمكن أن نستنتج من هذا أن الزط من سكان السند، وأنهم كانوا يقومون بأعمال الزراعة ويربون الجواميس، ثم تركوا بلادهم وهاجروا غربًا؛ لحدوث مجاعة في بلادهم، فسمح لهم الحجاج باستيطان منطقة البطائح؛ ليفيد منهم في استغلال تلك المنطقة[٣].

أما عن صفات الزط الجسمانية فهم طوال[٤]، ويتسمون –كما وصفهم لوبون– بتناسب الأعضاء وذكاء المنظر، والاسمرار، واتساع الأنوف وارتفاع طرفها، وصغر العيون وأفقيتها، ونتوء الوجنات، ودقة اللحى، واسوداد الشعور وكثافتها. وتتصف نساؤهم بطول القدود مع حسن المنظر[٥]، وكان للزط طريقة فريدة مشهورة في قص شعورهم، وقد أشار ابن منظور إلى ذلك بقوله: "فحلق رأسه زطيه"؛ أي على طريقة الزط، تلك التي كانت تأخذ شكل الصليب[٦].

وقد بدءوا حياتهم في البطائح بالسلب والنهب والعصيان، وقطعوا الطريق ومنعوا المجتازين ما بين البصرة وواسط، كما أشرنا سابقًا، حتى اضطر الخليفة المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣- ٨٤٢م) إلى محاربتهم ونفي بعضهم إلى خانقين[٧].

وفي حديث أبي شجاع عن بعض نواحي العراق سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م، ذكر أن الزط كانوا من بين القوى المسيطرة على "السواحل وقصب البلاد التي تجاورها"[٨]؛ الأمر الذي يعني بقاءهم في العراق عمومًا، وربما في البطائح خصوصًا خلال تلك الحقبة.

---

(١) فتوح البلدان، ص٥٢٢- ٥٢٣.
(٢) التنبيـــــه والإشراف، ليدن (مطبعة بريل)، ١٨٩٣م، ص٣٥٥ .
(٣) عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، ط٣، بيروت (دار الطليعة)، ١٩٩٧م، ص١٨٧.
(٤) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، جـ ٦، (المكتبة السلفية)، ص٤٧٧.
(٥) غوستاف لوبون: حضارة الهند، ص١٣١- ١٣٢ .
(٦) ابن منظور: المصدر السابق (مادة زطط)، مج ٧، ص٣٠٨ .
(٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص٥٢٢-٥٢٣.
خانقين: هي مدينة بحلوان العراق (المقدسي: المصدر السابق، ص٢٥)؛ ويذكرها ياقوت بقوله: "بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد". (معجم البلدان (مادة خانقين)، جـ٢، ص٣٨٩).
(٨) ذيل تجارب الأمم، جـ٣، ص٤١٥.

٤ – الفرس:

من بين الفرس، ورد ذكر الديلم في البطائح، وهم شعب فارسي جبلي، كان يسكن قرب بحر قزوين[١]، ولقد جاء بعض من هؤلاء الديلم إلى العراق قبل التغلب البويهي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م؛ حيث يشير مسكويه إلى وجود جنود من الديلم ببغداد، وذلك في عام ٣٣١هـ/٩٤٣م[٢]. كما أشار ابن الأثير إلى وجود الجند الديلم والأتراك بالبطائح، ودورهم في تولية محمد بن يني الإمارة بها عام (٤٠٨هـ/١٠١٧م)؛ حيث يقول: "فاستدعى (محمد بن يني) الديلم والأتراك، ورغبهم ووعدهم، واستحلفهم لنفسه وقرر معهم القبض على أبي الحسين بن مهذب الدولة، وتسليمه إليه"[٣]؛ وفي ذلك دلالة على أنهم كانوا يشكلون قسمًا مهمًا من جيش البطائح.

وهناك إشارة أخرى إلى وجود الجند الديلم بالبطائح خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي؛ ففي سنة (٤٣٥هـ/١٠٤٣م) جرت حرب بين ابن الهيثم صاحب البطيحة، والأجناد من الديلم؛ فأحرقت الجامدة وغيرها، حتى خطب جند البطائح للملك أبي كاليجار[٤]. إلا أنه ليست لدينا أية معلومات عن تنظيماتهم الداخلية بالبطائح، ولكن يبدو –في ضوء ما تقدم– أن بعضًا منهم قد أسندت إليه مهام قيادية بالجيش البطائحي.

٥ – الأتراك:

كثر الترك في العراق عمومًا في عهد الخليفة المعتصم[٥]، ولقد حافظوا على وجودهم بالجيش حتى دخول البويهيين بغداد، كما كان الجيش البويهي يتألف من شقين: الديلم والأتراك،

(١) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٣٠؛ عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي، ص٣٦.
- بلاد الديلم: هي "بلاد واسعة، يحيط بها من شرقيها بلاد خراسان، ومن جنوبيها مدن الجبال، ومن غربيها آذربايجان، ومن شماليها بحر الخزر. وهي بلاد ذات مياه جارية وأنهار كثيرة، عامرة وبها مستقر التجار. أهلها مقاتلون يقاتلون بالتروس والمزاريق، ذوو أخلاق حسنة. ترتفع منها الثياب الإبريسم ذات اللون الواحد والملونة كالحرير والمبرم وما شابه ذلك. كما يرتفع منها الكتان وما شابهه بكثرة". (مؤلف مجهول: حدود العالم من الشرق إلى الغرب، ص١٠٩).
(٢) تجارب الأمم، جـ٢، ص٤١.
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٢٠؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص١٥٠؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٣.
(٤) نفس المصدر، مج٨، ص٢٦٦.
(٥) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مصر (المطبعة الرحمانية)، ص١٦٩.

ولقد استحوذت عناصر من المقاتلة الأتراك على إقطاعات كبيرة بالعراق؛ خاصة بمنطقة السواد(١).

أما جيش البطائح فقد كان الأتراك من بين عناصره، كما أسندت بعض المهام القيادية إلى جماعة منهم، لدرجة أن صار لهم دور في تولية بعض من حكم البطائح(٢)؛ الأمر الذي يدل على أهميتهم في الجيش البطائحي، على نحو ما تقدم. وغني عن البيان أن وجود هذا العنصر بالجيش –ومن قبله الديلم– يعني وجوده بالحياة الاجتماعية.

٦– الزنج:

وهم من العناصر التي وفدت إلى منطقة البطائح، وسكنت أطرافها، كما أشرنا سابقا. وكانوا يجلبون –في الأكثر– من أجل استخدامهم في أعمال الزراعة واستصلاح الأراضي، واستخراج الملح من الأراضي السبخة(٣).

ومع أن المصادر المتاحة لدينا لم تذكر شيئًا يدل على وجودهم بالبطائح زمن الدراسة، إلا أنها في الوقت نفسه لم تُشر إلى تعرضهم للإبادة أو التهجير من أرض البطائح؛ الأمر الذي يرجح بقاءهم هناك في الزمن المشار إليه؛ لا سيما في ضوء ما ورد عن كثرة أعدادهم حين قاموا بثورتهم في تلك المنطقة(٤).

نستنتج مما سبق أن البطائح شهدت تنوعًا سكانيًا، وربما لغويًا (على الأقل كانت هناك لغة النبط السريانية بجانب اللغة العربية). ومن هنا يمكن القول إن البطائح قدمت نموذجًا للتوطن والاستقرار يقوم على تجاور مجموعة من العناصر السكانية المختلفة في بيئة واحدة، من غير أن تكشف الأحداث السياسية المذكورة سابقًا عن صراعات نشبت بين تلك العناصر(٥).

---

(١) مسكويه: المصدر السابق،جـ٢، ص٩٦-٩٧.
(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٢٠؛ أبو الفدا: المصر السابق، جـ٢، ص١٥٠؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٣.
(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٩، ص٤١٠؛ فيصل السامر: ثورة الزنج، المدى، دمشق، ط٢، ٢٠٠٠م، ص٢٣.
(٤) ابن كثير: المصدر السابق، جـ١٤، ص٥٧٦.
(٥) Al- Tameemi R., "Reading the Cultural Specificities of the Iraqi Marsh Arabs From Their Landscape", *Landscape Research Record*, no 5, pp. 39- 51.

ثانيا: طبقات المجتمع في البطائح:

برغم أنه من المفترض ألا يُقسَّم المجتمع الإسلامي إلى طبقات؛ لما جعلته العقيدة الإسلامية من أخوة بين المسلمين، بوصفهم أفرادًا متساوين في إطار أمه واحدة[١]، إلا أن الواقع كان مغايرًا لذلك؛ فقد وجد تقسيم للمجتمع الإسلامي في أيام العباسيين، تظهر فيه عقلية العصر في تصور طبقاته[٢].

كما أن المجتمع البطائحي لم يكن كتلة واحدة لاتنوع فيها، بل اختلف أفراده من حيث اللغة والجنس والديانة. كما أُبعِد العرب –في بعض الأحيان– عن حكم البطائح؛ حيث تسلط الأجانب من البويهيين والسلاجقة. أيضاً شهد المجتمع البطائحي نموًّا اقتصاديًّا في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة، كل هذه العوامل أدت إلى ضعف التمييز الاجتماعي القائم على العنصر أو القومية، وأصبح الأساس الاقتصادي ثم الاجتماعي هو ما يحدد مركز الشخص في المجتمع البطائحي. وهو ما يظهر على النحو الآتي:

١- طبقة الخاصة:

تكونت هذه الطبقة من أمراء البطائح، وكذلك قادة الجند، وكبار التجار، الذين كان من بينهم من استطاع الوصول إلى حكم البطائح.

أ- **فئة أمراء البطائح:** جاءوا على رأس الهرم الاجتماعي في البلاد، وتمتع بعضهم بمكانة رفيعة خارجها؛ فمنهم من منحته الخلافة ألقابًا شأنهم في ذلك شأن الأمراء البويهيين، ينطبق هذا على عمران بن شاهين الذي منح لقب "معين الدولة" سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م[٣]. وهناك من تمتع بنفوذ سياسي في مواجهة السلطة ببغداد، فحاز استقلالية كبيرة في ولاية البطائح؛ والدليل على ذلك لجوء بعض الشخصيات إليهم؛ لحمايتهم من ظلم أو بطش واقع عليهم، حتى لجأ القادر بالله

---

(١) عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص ٨٧.
(٢) المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق كرم حلمي فرحات، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤١٧هـ/٢٠٠٧م، ص١٤٧- ١٥٠؛ جعفر حسين خصباك: العراق في عهد المغول الإيلخانيين٦٥٦-٧٣٦هـ/١٢٥٨-١٣٣٥م، ط١، بغداد، ١٩٦٨، ص٢٦٢؛عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص ٨٧؛ علي عبد الرازق جلبي، والسيد عبد العاطي السيد، وإسماعيل علي سعد: علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية)، ١٩٩٩م، ص٢٣٤، ٢٣٥.
(٣) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٥٤.

(قبل استخلافه) إلى البطائح؛ فرارًا من أخيه الخليفة الطائع لله الذي اتهمه بمحاولة خلعه في أثناء مرضه سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م، فأراد الطائع قتل أخيه، وظل القادر في البطائح يحظى برعاية مهذب الدولة (الأول) مدة ثلاثة أعوام تقريبًا حتى صار خليفة على نحو ما تقدم ذكره[١]. كذلك أيضًا هناك من ذكر اسمه في الخطبة بمدينة البصرة، وبذلت له الطاعة فيها والتبعية، كما هو الحال مع مهذب الدولة (الأول)[٢]. على نحو ما سبقت الإشارة.

وهناك من الأمراء البطائحيين من اهتم بالتقرب إلى الناس؛ فحسنت سيرته ونشر العدل؛ مثل مهذب الدولة (الأول)[٣]. ويمكن أن يُستدل على ذلك أيضًا من موقف أهالي البطائح وما أبدوه من فرح وسرور حين قدم مهذب الدولة (الأول) لولاية بلادهم للمرة الثانية عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م[٤].

وهناك أيضًا من ظلم بعض أهالي البطائح؛ مثل عمران بن شاهين؛ والدليل على ذلك ما قام به المظفر في بداية حكمه من استمالة الناس بالتودد إليهم، واستبدل بسياسة القتل سياسة الرحمة والعدل، وردَّ لأصحاب الضياع والأراضي ما كان أخذه منهم عمران بن شاهين وأبناؤه، وأخرج أبا المعالي وأمه إلى واسط، على أنه ظل يرسل لهم الأموال والنفقات[٥]. وهناك من ضاعف الضرائب على الرعية؛ من هؤلاء أبو محمد بن بابشاذ المعين على البطائح من قِبَل أبي كاليجار، حتى أعلن أهالي البطائح عصيانهم على الأمير البويهي أبي كاليجار سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م[٦].

وهناك من أساء التصرف وأفرط في صرف الأموال على نفسه وأولاده وأصحابه؛ مثل مهذب الدولة (الثاني) الذي ضمن حكم مدينة واسط لصدقة بن مزيد مقابل الأموال، واستناب في الأعمال أولاده وأصحابه، فمدوا أيديهم في الأموال، وفرطوا فيها، وفرقوها[٧].

---

(١) أبو شجاع: المصدر السابق، ج٣، ص٢٠٨؛ ابن الأزرق الفارقي: المصدر السابق، ص٦٣- ٦٥؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص١٢٦.
(٢) نفس المصدر، جـ٣، ص٢٧٣.
(٣) نفس المصدر، جـ٣، ص٢٧٤.
(٤) أبو الفدا: المصدر السابق، جـ٢، ص١٣٧.
(٥) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٩٠.
(٦) ابن الأثير: المصدر السابق، مج ٨، ص١٦٠؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٤.
(٧) نفس المصدر، مج٩، ص١١٠.

أما بالنسبة للمستوى المعيشي لأمراء البطائح، فهناك من استقام له الحال حتى اهتم بمظاهر الملك والترف؛ مثل مهذب الدولة (الأول) الذي أقام دارًا واسعة بالصليق سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م تحاكي أبنية الملوك(١)، كذلك هناك من اهتم بإقامة مجالس واحتفالات يحضرها الناس عامة، مثلما فعل المظفر بن علي الحاجب عند توليه الحكم(٢).

وعلى صعيد العلاقات الأسرية بين أفراد هذه الطبقة، يمكن القول إن هناك من ولاة البطائح من أكرم أهله؛ ويظهر هذا لدى مهذب الدولة (الأول) الذي تمسك بتنفيذ وصية خاله المظفر بن على الحاجب في ترتيب الولاية بينه وبين ابن خالته علي بن جعفر، مع بقاء الود بينهما موصلًا(٣). بينما كان هناك من عسف وظلم أهله؛ مثل عمران بن شاهين حتى استأمن أخويه بأعدائه على نحو ما تقدم(٤).

ب- فئة قادة الجند: هناك من أمراء البطائح من تقرب من كبار الجند البطائحيين؛ ربما لأنه وعى أهمية ذلك لصالحه فتقوى بهم؛ مثل محمد بن يني(٥). وعقب وفاة ابن يني اجتمع القواد، واتفقوا على تولية حكم البطائح إلى أبي عبد الله الحسين بن بكر الشرابي(٦). وهناك أيضًا من حكام البطائح من أبعد كبار الجند الأكفاء عنه وقرب صغارهم؛ فتعرض للمؤامرة التي أفضت إلى قتله؛ ينطبق هذا على أبي الفرج محمد بن عمران بن شاهين(٧). وهناك أيضًا من اضطرب أمره مع جنده من الغز والديلم، إلى حد العصيان ووقوع حرب بينه وبين أولئك الجند؛ وهو ما ينطبق على أبي نصر بن الهيثم(٨). كما سبقت الإشارة.

---

(١) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٤٥٥.
(٢) نفس المصدر، جـ٣، ص٨٩؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٠.
(٣) نفس المصدر، جـ٣، ص١٣٥؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤٢٨.
(٤) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٨١، ١٨٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج ٧، ص٢٦٧، ٢٧١.
(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٢٠.
(٦) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٣.
(٧) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣ ص ٨٩، ٨٨؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٠.
(٨) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٢٦٦.

وهناك من كسر شوكة الجند، وأظهر لهم الصرامة بعدما ناصروه وولوه للحكم؛ مثلما فعل المظفر بن علي الحاجب سنة (٣٧٣هـ/٩٨٣م). فعندما قيل له في التوثقة من العسكر بالأيمان قال: "التوثقة سيفي، من استقام غمدته عنه، ومن اعوجّ سللته عليه"[١].

جـ- فئة كبار التجار: تقدم الحديث عن وصف بني معروف، الذين حكموا البطائح (٥٥٨-٦١٦هـ/١١٦٣-١٢١٩م) بأنهم: "قوم يصلون إلى باب السلطان وصول التجار، يجلبون جياد الخيل وكرام المهارى واللؤلؤ، وأمتعة من أمتعة العراق والهند، ويرجعون بأنواع الحباء والإنعام والقماش والسكر وغير ذلك، ويكتب لهم بالمسامحة فيردون ويصدرون... وبلادهم بلاد زرع وبر وبحر، ولهم متاجر مربحة، وواصلهم إلى الهند لا ينقطع، وبلادهم ما بين العراق والحجاز، ولهم قصور مبنية وآطام عالية وريف غير متسع، إلى ما لهم من النعم والماشية والحاشية والغاشية، وإنما الكلمة قد صارت شتى لأناس مجتمعة"[٢]. إلا أننا ليس لدينا معلومات عن مقدار ثرواتهم، وإن أمكن ترجيح أنها كانت كبيرة، بناء على ما سبق ذكره.

كما وردت الإشارة أيضًا إلى وجود كبار تجار بالبطائح، مع الحديث عن ثرواتهم الكبيرة؛ حيث ورد أن قرية باذِبين، وهي إحدى قرى البطائح الكبيرة، كان يعيش بها جماعة من التجار الأثرياء[٣]. ومن المرجح أن وجود هذه الفئة بالبطائح يرجع إلى عدة عوامل؛ منها موقع البطائح المتميز؛ حيث كانت ملتقى عدة طرق تجارية داخلية وخارجية، برية وبحرية، كما سبق توضيح ذلك. بجانب وفرة الأسواق ببعض مدن البطائح؛ حيث كانت تعد مركزًا مهمًّا للتجارة الداخلية؛ مما ساعد على تنشيط حركة التجارة وتبادل السلع هناك، وأفضى إلى ظهور طبقة من التجار الأثرياء، على نحو ما جرى بيانه.

د- فئة الأشراف: يمكن إلحاق الأشراف بهذه الطبقة؛ حيث حظي هؤلاء بمكانة اجتماعية رفيعة في العراق؛ بسبب قرابتهم من الخلفاء العباسيين، ونسبهم القرشي[٤]. وكان لهم نقيب يرأس

(١) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٨٩.
(٢) القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص١٢١- ١٢٢.
(٣) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة باذبين)، جـ١، ص٣٧٨.
(٤) عبد القادر سلمان المعاضيدي: المرجع السابق، ص٢٠٥.

النقابة في نطاق مدينة بعينها، ومن مسؤولياته إزالة الفتن الطائفية التي كانت تقع بين أهل السنة والشيعة في نطاق نقابته[١].

ولقد تمتع نقباء الأشراف بمكانة رفيعة لدى حكام البطائح؛ فقد أرسل معز الدولة البويهي أبا الحسين الكوكبي نقيب الطالبيين سفيرًا إلى عمران بن شاهين يبلغه غضب الأمير البويهي من بعض التصرفات؛ لعله يرتجع، وهو ما حدث بالفعل على نحو ما تقدم بيانه[٢].

ولعل في وصف الأصبهاني للغراف (وهى من مدن البطائح) أيام المظفر بن أبي الجبر بأنها "مجمع الأفاضل والأشراف"[٣]، لعل في هذا ما يدل على كثرتهم في ذلك العهد. وقد كان لهؤلاء الأشراف من الطالبيين نقابة تجمعهم، وقد ورد أن يحيى بن ثابت بن حازم الرفاعي الحسيني المكي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م) تولى نقيب أشراف الطالبيين بالبصرة وواسط والبطائح وما يليها عام ٤٥١هـ/١٠٥٩م[٤]؛ بما يعني أن نقابة البطائح –على الأقل زمن أبي يحيى المذكور– كانت ضمن اتحاد نقابي أوسع.

ومن الغريب أن ذكر البيهقي أحد هؤلاء الأشراف بوصفه نقيبًا لطائفة الصابئة الذين كانوا يسكنون البطائح، ولا يعترفون إلا بنبوة شيث بن آدم، فيقول: "وبها (أي بالبطائح) قوم من الطباطبائيين لا يعرفون إلا بنبوة شيث بن آدم عليه السلام. ونقيبها: السيد النقيب أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن رضي الله عنه"[٥].

٢– الطبقة الوسطى:

تضم هذه الطبقة العلماء: من القراء والمحَدِّثين والفقهاء والقضاة والكُتاب والأدباء، وغيرهم ممن حظي باحترام وتقدير الأمراء البطائحيين؛ حيث اهتم بعض أمراء البطائح بالعلم والعلماء

(١) ابن الساعي: مختصر أخبار الخلفاء، ط١، القاهرة (المطبعة الأميرية)، ١٣٠٩هـ، ص٨٩.
(٢) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٥٩.
(٣) خريدة القصر، جـ٤، مج٢، ص٥٣٠.
(٤) ابن الساعي: المصدر السابق، ص٨٧- ٨٩؛ الزركلي: المرجع السابق، جـ٨، ص١٤٠.
(٥) البيهقي: لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، تحقيق السيد مهدي الرجائي، جـ٢، ط٢، (مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى)، ٢٠١٧م، ص٥٤٩.

بصورة عامة، فأكرموهم وقربوهم إليهم، على نحو ما فعل عمران بن شاهين[(١)]، وكذلك مهذب الدولة الأول الذي جعل قصره ملتقى للشعراء من كل صوب وفج، فأكرمهم وأوسعهم جودًا وأفضالًا[(٢)]، كما اعتمد المظفر بن حماد في أشغاله على العلماء والأدباء[(٣)].

ومن الملاحظ أيضًا أن الغالبية العظمى من علماء البطائح كانوا من الفقهاء والقراء والمحدثين؛ وربما يرجع ذلك إلى هيمنة العلوم الدينية من جهة، وإلى أن الدين كان أهم منظم للحياة الاجتماعية آنذاك من جهة أخرى[(٤)]، حتى إن الغالبية العظمى من الفقهاء والعلماء والقراء والمحدثين كانوا ينتمون إلى بيوتات وصفت بالفضل؛ فكان بعضهم من الشهود العدول، كما تولى بعضهم منصب القضاء، كما سيأتي بيانه.

كما تشير المصادر إلى أن هناك من رجال العلم من حظوا بمنزلة كبيرة في المجتمع، وتمتع بعضهم –لا سيما الكُتاب– بصلة وثيقة جمعتهم بولاة البطائح؛ فكانوا يقدمون لهم النصح والمشورة، مع تدبير بعضهم لأمور الدولة، بجانب القيام بأعمال السفارات، بل شارك بعضهم في الحروب أحيانًا. ويتضح لنا ذلك عندما اتخذ عمران بن شاهين له كاتبًا، وأرسله إلى عضد الدولة يلتمس عهدًا ومنشورًا وتقريرًا، فأجيب إلى ذلك[(٥)]. وتذكر المصادر أيضًا إشراك عمران كاتبه هذا في الحروب؛ حيث أرسله ومعه ابنه الحسن بن عمران وبعض من قواده؛ لتقديم المساعدة العسكرية للأمير البويهي بختيار[(٦)]. ولم توضح لنا المصادر أي معلومات أخرى عن هذا الكاتب. بالإضافة إلى ذلك فقد أشار مسكويه إلى أن سهل بن بشر الكاتب كانت تربطه بعمران صداقة قوية[(٧)].

كما أشارت المصادر إلى أن المظفر بن على الحاجب أيضًا قد اتخذ له كاتبًا[(٨)]. كذلك فعل مهذب الدولة (الأول) فكان هبة الله بن عيسى كاتبه ومدبر أمره[(٩)]. إلا أن المصادر لم

(١) التنوخي: الفرج بعد الشدة، جـ١، ص١٧٣- ١٧٤.
(٢) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص١٣٥.
(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٢٢، ص٢٧٧.
(٤) واسط في العصر العباسي، ص٢٠٧.
(٥) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٤٦.
(٦) نفس المصدر، جـ٢، ص٣٦٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٦٥.
(٧) نفس المصدر، جـ٢، ص٢٩٧.
(٨) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٨٨- ٨٩؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٠.
(٩) نفس المصدر، جـ٣، ص٢٠٤.

تزودنا بمعلومات مفصلة عن واجباتهم. ومهما يكن من أمر، فمن الملاحظ أننا لم نعد نسمع عن هذا المنصب في البطائح إبان العصر السلجوقي؛ فلعله قد ألغي آنذاك[١].

أما بالنسبة لوظائف العلماء وما كانوا يتقاضونه من أجور، فإلى جانب من عمل منهم لدى حكام البطائح، كما سبقت الإشارة[٢]، فإن منهم من كان يعمل في إحدى وظائف الدولة؛ كالقضاء وغيره[٣]، ومنهم من كان يعتمد على الرواتب التي تخصصها له الدولة؛ مثل أبي الحسن علي بن عساكر البطائحي، وهو من البطائح، وقد أصبح مقرئ بغداد، واستمر في هذا الصدد مدّة طويلة[٤]، ومنهم من كان يعمل بالتدريس؛ مثل القاضي أبي الحسن علي بن أحمد ابن الغريب الجامدي، الذي أقرأ بالجامدة، فارتحل إليه الطلاب؛ ليستزيدوا من علمه[٥]، ومنهم من تعددت مصادر دخله؛ مثل القاضي أبي القاسم عمر بن أحمد الباسيسي، الذي كان قاضيًا وشاعرًا وكان يبري السهام للمظفر بن حماد[٦].

ومن شعراء البطائح من اشتهر بالهجاء متكسبًا به؛ مثل الصارم مرجى بن بتاه البطائحي خال مهذب الدولة بن أبي الجبر، وهو من فحول الشعراء، وقد كان الهجاء في وقته سلوكًا مؤثرًا في واقع الناس؛ لذا فقد كان أمراء البطائح وأعيانها يخشون هجاءه لهم بالإحسان إليه، وقد ذكره الأصبهاني بقوله: "لا يرى عن الهجاء البتة إحجاماً، فلسان الصارم صارم، مصاول مصادم، قريضه كالمقراض في قطع الأعراض بما له من الأغراض"[٧].

ومن العلماء البطائحيين من لحقت به نكبة؛ ينطبق هذا على أبي القاسم، عمر بن الحسن ابن أحمد بن الباسيسى، الذي كان من الشهود المُعَدَّلين. ذكره الصفدي بقوله: "نُكب آخر أيام المقتفي، وبقي مكسوراً ....، فاختلق له جرماً حبسه به إلى أن مات في حبسه غمًّا، سنة اثنتين –

---

(١) عبد القادر سلمان المعاضيدي: المرجع السابق، ص١٤١.
(٢) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٠٤.
(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٢٢، ص٢٧٧.
(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، جـ٤، ص١٨١٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٢٠، ص٥٤٨- ٥٤٩؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، جـ٦، ط١، دمشق (دار ابن كثير)، ١٩٨٦م، ص٤٠١.
(٥) الخطيب البغدادي: المصدر السابق، مج١٤، ص٣٨٣. كما ذكره الذهبي باسم علي بن أحمد العريف الجامدي. (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق طيار آلى قولاج، مج١، إستانبول، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٧٨٦).
(٦) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٨٥- ٥٨٦.
(٧) خريدة القصر وجريدة العصر، جـ٤، مج٢، ص٥٣٢.

أو ثلاث– وستين وخمس مائة"[١]. كذلك الصارم مرجى بن بتاه البطائحي، هجا المظفر بن حماد فأمر بقتله[٢].

ويتبين –مما تقدم– أن أغلب فئات هذه الطبقة كانت مواردها المالية متوسطة، تقع بين موارد فئات طبقة الخاصة أصحاب الثروات الكبيرة، وموارد فئات العامة القليلة؛ لذلك ارتأينا أن نطلق على هذه الفئات اسم فئات الطبقة المتوسطة؛ تميزًا لها عن فئات طبقتي الخاصة والعامة.

٣– طبقة العامة:

تتكون هذه الطبقة من فئات عديدة هي:

أ– فئة الصناع وأرباب الحرف: شهد المجتمع البطائحي عدة صناعات، كما سبقت الإشارة. وكانت كل طائفة من طوائف أهل هذه الصناعات والحرف تتجمع في مكان واحد، ولهم سوق عرف بأسماء صناعاتهم؛ ومن هؤلاء قطاع القصب (القصابون)، الذين قيل عنهم: "اجعلوا سوق القصابين في آخر الأسواق، فإنهم سفهاء وفي أيديهم الحديد القاطع"[٣].

ويتحدث التنوخي عن بعض الصناع المستأجرين لقطع القصب بإحدى الضياع بالبطائح، وأحوالهم، وبعض ما كان يقابلهم حين يخرجون لعملهم، فذكر أن أحدهم قام بقتل شبل قد هاجمهم، ثم طاردهم السبع واللبوة؛ غضبًا لقتل وليدهما، فأسرعوا خارج أجمة القصب؛ ليناموا في الصحراء بدار قد خربت، حتى اجتمع عليهم بضعة عشر سبعًا فما قدروا عليهم، وتهاربت السباع[٤].

ب– فئة صغار التجار والباعة: ليس من المستبعد وجود طائفة من التجار الذين لم ينالوا القسط نفسه من الثراء المادي لكبار التجار، غير أن المصادر لم تورد لهؤلاء ذكرًا صريحًا؛ ومن ثم يمكن الحديث عنهم بوصفهم فئة من عامة السكان يتولون بيع المواد الاستهلاكية إلى سكان المدينة. ولعل هؤلاء قد تجمعوا في الأسواق المشار إليها سابقًا.

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٢٢، ص٢٧٧.
(٢) خريدة القصر وجريدة العصر، جـ٤، مج٢، ص٥٣٢ ـ ٥٣٤.
(٣) الخطيب البغدادي: المصدر السابق، مج١، ص٨٠؛ حورية عبده سلام: الحياة الاجتماعية في العراق زمن البويهيين، ط١، القاهرة (دار العالم العربي)، ٢٠٠٨م، ص٥١- ٥٢.
(٤) التنوخي: الفرج بعد الشدة، جـ٤، ص١٥٢- ١٥٣.

جـ- فئة الفلاحين: هناك من العبيد من سُخروا للعمل في الإقطاعيات الزراعية؛ مثل العبيد الزنوج البطائحيين(١)، وكانوا في وضع اجتماعي بائس؛ حيث أشرنا إليهم سابقًا خلال ثورة الزنج(٢). أما خلال فترة دراستنا فلم يرد لدينا ذكر لهم.

وبما أن منطقة البطائح تعد من أهم المناطق الزراعية بالعراق، كما ذكرنا سابقًا، فلابد أن أعداد الفلاحين هناك كانت كبيرة؛ يوحي بذلك غزارة إنتاجهم الزراعي، لدرجة جعلتهم يصدرون الأرز والقصب(٣).

ولقد شهدت البطائح بعض الاضطرابات السياسية والحروب التي كانت غالبًا ما تؤدي إلى خراب السدود وكسر القنوات(٤)، كما أن البويهيين منحوا جندهم من الأتراك والديلم أراضي وقرى ليأخذوا عطاءهم من واردها. ويذكر مسكويه مساوئ هذا الأمر على الفلاحين في أحداث سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م بقوله: "حتى صار الرسم جاريًا بأن يخرب الجند إقطاعاتهم ثمّ يردّوها ويعتاضوا عنها من حيث يختارون... وكانت الأصول تذوب على مر السنين، ودرست العبر القديمة، وفسدت المشارب، وبطلت المصالح، وأتت الجوائح على التنّاء، ورقّت أحوالهم؛ فمن بين هارب جال، وبين مظلوم صابر لا ينصف، وبين مستريح إلى تسليم ضيعته إلى المقطع؛ ليأمن شرّه ويوافقه"(٥).

كما شهدت البطائح من الحكام من تشدد في معاملة الناس، وأخذ أموالهم وأساء إليهم، إلى حد أن صدرت الأوامر بوضع قسط على كل دار بالصليق؛ مما اضطر كثيرًا من الأهالي إلى ترك البطائح، على نحو ما وقع سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م(٦)؛ ولا شك أن هذا قد ألقى بظلاله على حياة الفلاحين هناك.

كما شهدت المنطقة تكرار الفيضانات تارة، وقلة المياه في نهري دجلة والفرات تارة أخرى، وسقوط الثلوج أيضًا في بعض المواسم؛ مما قد يؤدي إلى تلف المزروعات ويرافق ذلك زيادة

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٩، ص٤١٠.
(٢) فيصل السامري: المرجع السابق، ص٣٤.
(٣) ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص٩١.
(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٢٢، مج٨، ص٢٦٦.
(٥) تجارب الأمم، جـ٢، ص٩٧.
(٦) ابن الأثير: المصدر السابق، مج ٨، ص١٦٠؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٤.

الأسعار، على نحو ما تقدم؛ الأمر الذي كان له أسوأ الأثر في أحوال المجتمع عمومًا، وأحوال الفلاحين على وجه الخصوص.

د- فئة اللصوص وقطاع الطرق: ثمة إشارات إلى وجود اللصوص وقطاع الطرق بالبطائح[١]، فيقول القزويني: "وربما فصل المركب في هذه البطيحة شهرًا أو أكثر، وربما يأخذه اللصوص"[٢].

وقد يعمل هؤلاء اللصوص من خلال الدولة نفسها، كما حدث في عهد عمران بن شاهين؛ حيث ورد أنه سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، استولى على الأموال المرسلة إلى معز الدولة من الأهواز، كما استولى على سفينة بها أموال أخرى للتجار، وقبض أيضًا على المزعبل ملاح معز الدولة، وصادر ما معه من أموال. وكان مقدار المال المحمول لمعز الدولة مائة ألف دينار، وكان المال المحمول للتجار أضعاف ذلك[٣]. وربما يستدل من ذلك على أن حركة عمران وأتباعه، كانت قد استهدفت إجراء إصلاح اجتماعي للطبقة الفقيرة.

ويؤكد ذلك أن هناك إشارات إلى أن بعض مشايخ الصوفية بالبطائح كانوا في بداية حياتهم من اللصوص وقطاع الطرق، ثم تابوا وارتقوا إلى مصاف أصحاب الطرق الصوفية؛ من هؤلاء أبو بكر بن هوار البطائحي، الذي أثنى المشايخ من أهل عصره على جلالته وعلو مقامه[٤].

كما لابد من الإشارة إلى عامة سكان إحدى مدن البطائح؛ حيث قال المقدسي عن أهل الصليق: "وكل بلد يحيط به أنهار فإن في أهله شغبًا وخروجًا؛ مثل ... الصليق"[٥]. وهذا يوضح الموقف السلبي من سكان الصليق.

---

(١) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١١٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٣٠؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص١٢١.
(٢) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٤٦.
(٣) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٥٨ ـ ١٥٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٢٥٢.
- وقد ظل للصوص دورهم في المنطقة بعد فترة الدراسة؛ إذ يذكر ابن بطوطة أنه حين كان في طريقه إلى واسط على جانب الفرات "بالموضع المعروف بالعذار، وهو غابة قصب في وسط الماء، يسكنها أعراب يعرفون بالمعادي، وهم قطاع الطريق رافضية المذهب، خرجوا على جماعة من الفقراء تأخروا عن رفقتنا، فسلبوهم حتى النعال والكشاكل، وهم يتحصنون بتلك الغابة ويمتنعون بها ممن يريدهم". (رحلة ابن بطوطة، مج٢، ص٧).
(٤) عبد الوهاب الشعراني: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، جـ١، ص١٧٦- ١٧٧.
(٥) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١١٩.

وبعيدًا عن التراتب السابق، فعلى ما يبدو أن **المرأة في المجتمع البطائحي** قد حظيت باحترام وتقدير؛ فبرغم أن المصادر المتاحة لدينا لم تُعنَ بالحديث عن المرأة في المجتمع البطائحي، فقد ورد ذكر بعض النساء في سياق الأحداث السياسية؛ من هؤلاء أخت الحسن بن عمران التي حين مرضت، كان لمرضها دور في انتقال السلطة بالبطائح، على نحو ما تقدم بيانه(١).

وهناك أيضًا زوجة مهذب الدولة الأول، وهي ابنة بهاء الدولة البويهي، وقد تقدم الحديث عن زواجهما وما اقترن به من مهر عالٍ(٢)، كما ذكرت كذلك حين وكَّل أبو العباس بن واصل بدارها من يحرسها، ثم جمع كل ما فيها وأرسله إلى أبيها(٣). كذلك ثمة حديث عن ابنة مهذب الدولة الثاني التي زوجها أبوها بحماد بن أبي الجبر ليداريه(٤)، ويلاحظ هنا أثر ما يسمى بالزواج السياسي فيما أوردته المصادر عن المرأة في البطائح.

٤ – أهل الذمة:

شهدت البطائح وجود أهل الذمة بها؛ لا سيما النصارى واليهود (أهل الكتاب)، إلى جانب أصحاب الديانات الأخرى الذين يعيشون تحت الحكم الإسلامي أو في البلاد ذات الأغلبية المسلمة، وقد تمثل أهل الذمة بالبطائح في:

أ– النصارى:

هناك إشارة بالمصادر إلى وجود دير قريب من البطائح، أسفل واسط يسمى "عُمْرُ كسكر" أو "عُمْرُ واسط"، وقد وصفه الشابشتي (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) بقوله: "هو أسفل من واسط، في الجانب الشرقي منها، بالقرية المعروفة ببرجوني(٥)، وفيه كرسي المطران، وهو عمر كبير عظيم

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤٠٧؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص١٢٣؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٧٩- ٦٨٠؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق، جـ٤، ص١٤١.
(٢) نفس المصدر، مج٧، ص٤٦٧- ٤٦٨.
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص٢٩-٣٠؛ أبو الفدا: المصدر السابق، جـ٢، ص١٣٧.
(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٥.
(٥) قرية برجوني: أو برجونية، قرية في شرقي واسط. (ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة برجونية)، جـ١، ص٤٤٥).

حسن البناء محكم الصنعة، حوله قلايات[١] كثيرة، كل قلاية منها لراهب... ويحيط بالموضع بساتين كثيرة فيها الشجر والنخل وسائر الثمار. فكل ذي ظرف يطرقه، وكل ذي شجن يسلى به"[٢]. وقيل فيه أيضًا إنه مشهور عند النصارى، فلا يراه القاصد حتى يلتصق بحائطه[٣].

كما ذكر عمرو بن متى أن الخليفة المطيع لله (٣٣٤- ٣٦٣هـ/٩٤٥- ٩٧٣م)، ومعه معز الدولة البويهي عندما ذهبا إلى قتال أبي الحسن البريدي نزلا هذا الدير[٤].

<u>ب- اليهود:</u>

أشار القفطي إلى وجود اليهود بالبطائح؛ حيث ذكر -على وجه التحديد- أن اليهود هم أكثر أهل مدينة سُورَا[٥]. ويؤكد ذلك ياقوت الحموي، وهي المدينة التي نسب إليها تعتيق الخمر، وقيل إن يهود سورا هم من يقومون بتعتيقه؛ حيث قال الشاعر:

وفتــى يدير عليّ من طرف لـه — خمرًا تولّد في العظام فتورا.
ما زلت أشربها وأسقي صاحبي — حتــى رأيت لسانه مكسورا.
ممّا تــخيَّرت التّــجار ببـابـل — أوما تعتّقه اليهود بسورا[٦].

وقد ورد أن اليهود لا تأكل من بقل سورا، وتقول: هي مغيض الطوفان[٧]، كما كان لهم مدرسة كبيرة هناك[٨].

ويبدو أن يهود العراق بعامة كانوا يتمتعون بكثير من الحرية في ظل التسامح الديني؛ حيث ذكر ياقوت أنه قام بزيارة قبر النبي عزير (عليه السلام) بميسان، وهو مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود، ولهم عليه وقوف وتأتيه النذور[٩]، كذلك هناك قبر عزرة بن هارون بن عمران؛

---

(١) القلايات: مفردها قلاية، ويذكر ياقوت أن القلاية بناء كالدير. (معجم البلدان (مادة قلاية)، جـ٤، ص٤٣٨).
(٢) الشابشتي: الديارات، تحقيق كوركيس عواد، ط٢، بغداد (مطبعة المعارف)، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ص٢٧٤
(٣) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة عمر) ، جـ ٤، ص١٧٤.
(٤) أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، طبع في رومية الكبرى،١٨٩٦م، ص٩١.
(٥) أخبـار العلمـاء بأخبـار الحكمـاء، تحقيـق إبـراهيم شـمس الـدين، ط١، بيـروت (دار الكتـب العلميـة)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٥١.
(٦) معجم البلدان (مادة سورا)، جـ٣، ص٣١٦.
(٧) الدينوري: عيون الأخبار، مج١، جـ٢، بيروت (دار الكتاب العربي)، ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م، ص٢١٤.
(٨) عزرا حداد: ملحق (٣) بكتاب رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة عزرا حداد، ط١، أبو ظبي (المجمع الثقافي)، ٢٠٠٢م، ص٣٨٦.
(٩) معجم البلدان (مادة ميسان)، جـ٥، ص٢٨٠.

حيث يوجد بالحزامون شرق مدينة واسط، ويزوره المسلمون واليهود أيضًا[١]. وذكر السموءل بن يحيى المغربي أن اليهود قد "بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة. وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عند البطائح بالعراق"[٢].

جـ- الصابئة[٣]:

لقد سكن الصابئة البطائح قبل الفتح الإسلامي، وظلوا بها، ويبدو أن بعضهم قد دخل في الإسلام؛ حيث ذكر ياقوت الحموي ذلك بقوله: "والمتعارف عندنا أن الطيب من عمارة شيث بن آدم، عليه السلام، وما زال أهلها على ملة شيث وهو مذهب الصابئة، إلى أن جاء الإسلام فأسلموا"[٤]. ويقول سبط ابن الجوزي: "فإن الصابئة اليوم بأرض البطائح منهم خلق كثير، وهم الذين يسكرون الأنهار، ولا يطلعون أحدًا على مذاهبهم"[٥].

وعلى ما يبدو، فقد أدت كثرتهم بالبطائح إلى أنهم عرفوا بصابئة البطائح، وقد كان لهم رئيس يعرف (بالمحسح) وهو الذي شرع الملة. وقيل أيضًا إنهم كانوا يعظمون النجوم[٦]. ويبدو أن سبب إقامتهم في هذه المنطقة يعود إلى ما في ديانتهم من فريضة الاغتسال والتغطس في المياه الجارية[٧]؛ حيث يكثرون الاغتسال، ويغسلون جميع ما يأكلونه[٨]. حتى دعاهم ابن النديم

---

(١) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة الحزامون)، جـ٢، ص٢٩٠- ٢٩١.

(٢) بذل المجهود في إفحام اليهود، ط١، دمشق (دار القلم)، ص١٣٤.

(٣) الصابئة: أطلقت هذه التسمية على المنشقين على عبادة قومهم الخارجين عليها، كما أطلق أهل مكة على النبي وعلى أتباعه الصابئ والصباة، فصارت علمًا على من تنكر لعبادة قومه؛ ولهذا نجد الإسلام يطلقها في بادئ الأمر على نابذي عبادة الأصنام، وهم الذين دعاهم بأنهم على دين إبراهيم. ولما كان التنكر للأصنام هو عقيدة الإسلام؛ لذلك صارت مدحًا لمن أطلق الجاهليون عليهم تلك اللفظة لا ذمًا. (جواد علي: المرجع السابق، جـ ٦، ص٧٠٢-٧٠٣).

(٤) معجم البلدان، جـ ٤، ص٦٠. كما أرجع المسعودي بداية ظهور الصابئة إلى عهد ملك الفرس طهمورث بن نوبجهان بن أرفخشذ ابن أوشهنج؛ حيث ظهر في خلال سنين عهده رجل يقال له بوداسف، وهو الذي أحدث مذهب الصابئة، واحتذى به جماعة من الناس. وكانت ديارهم بين واسط والبصرة من أرض العراق نحو البطائح والآجام. (مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ١، ص٢٢٢- ٢٢٣)؛
Dave von Zoonen and Wirya K, The Sabean- Mandaeans: Perceptions of Reconciliation and Conflict, Middle East Research Institute, Iraq, 2017, p. 5.

(٥) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ ٢، ص٣٦٧.

(٦) ابن النديم: الفهرست، تحقيق رضا تجدد، جـ٩، ص٤٠٣- ٤٠٤.
- أما بخصوص تعظيمهم للنجوم، فقد ذكر الشهرستاني أن من أقوال بعضهم: "إنا نحتاج في معرفة الله تعالى، ومعرفة طاعته، وأوامره، وأحكامه إلى متوسط، لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانيًا لا جسمانيا". (الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، جـ٢، القاهرة (دار الاتحاد العربي)، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، ص٣٥).

(٧) الليدي دراوور: الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي، وغضبان الرومي، ط٢، دمشق (دار المدى)، ٢٠٠٦م، ص٣١.

(٨) ابن النديم: المصدر السابق، جـ٩، ص٤٠٣- ٤٠٤.

بالمغتسلة تارة، وبصابئة البطائح تارة أخرى(١)، ومنهم من عرف باسم منداييي أو المندائيين، وهي تسميه يستعملونها فيما بينهم(٢)، وسماهم البيهقي الطبطبائيين(٣).

وقد كان لهذه الطائفة نقيب هناك: "ونقيبها السيد النقيب أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن رضي الله عنه"(٤).

غير أنه ليس لدينا معلومات عن تعدادهم وأحوالهم بالبطائح، أو ما إذا كان قد وقع عليهم أي اضطهاد يذكر خلال فترة الدراسة.

وقد اختلف علماء الإسلام في إجراء الأحكام على الصابئة عمومًا؛ فمن العلماء من ألحقهم بأهل الكتاب، ومن العلماء من قال هم يقرءون الزبور، ويعبدون الكواكب، والكواكب عندهم الآلهة المدبرات للعالم. وسبب هذا الاضطراب هو اشتباه أحوالهم وتكتمهم في دينهم(٥). وعندما ولي القاهر بالله(٦) بلغه ما هم عليه، فاستفتى الفقهاء فيهم، فأفتوه بقتلهم، وقالوا: لا كتاب لهم ولا نبي، وهم يعبدون الكواكب، فنظر، فرآهم خلقًا كثيرًا، فبذلوا للقاهر مالًا فكف عنهم(٧).

ومهما يكن من أمر فلا يوجد لدينا ما يشير إلى أن ثمة فتنًا أو مصادمات وقعت بين المسلمين وأهل الأديان الأخرى بالبطائح؛ مما يشير إلى أن العلاقة كانت – فيما يبدو– حسنة في أغلب الأحوال.

---

(١) ابن النديم: المصدر السابق، ص٤٠٣؛ عزيز سباهي: أصول الصابئة، ط١، دمشق (دار المدى)، ١٩٩٦م، ص١٩٩.
(٢) الليدي دراوور: المرجع السابق، ص٣١؛ أحمد عبد المنعم العدوي: الصابئة منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، ط١، القاهرة (دار رؤية)، ٢٠١٢م، ص٨٠.
(٣) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، جـ٢، ص٥٤٩.
(٤) نفس المصدر.
(٥) الجصاص: أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، جـ٣، بيروت (دار إحياء التراث العربي)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٣٢٨- ٣٢٩؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير، سورة البقرة آية ٦٢، جـ١، تونس (الدار التونسية)، ١٨٨٤م، ص٥٣١، ٥٣٦-٥٣٧.
Beeston A. F. L., "Saba", in *The Encyclopedia of Islam*, Brill, Leiden, 1995, vol. viii, pp. 664- 665.
(٦) القاهر بالله، أبو منصور محمد بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل: من خلفاء الدولة العباسية، بويع في أيام (المقتدر) أخيه لأبيه، سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، وأقام يومين ثم خلع وسجن، ولما قتل المقتدر (سنة ٩٣٢/٣٢٠م) أخرج من السجن، وبويع، فأقام إلى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م ولم تحسن سيرته، فهاج الجند وخلعوه وكحلوا عينيه بالنار. (السيوطي: المصدر السابق، ص٣٠٦- ٣٠٩).
(٧) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٦٧.

ثالثًا: مظاهر الحياة الاجتماعية في البطائح:

تنوعت مظاهر الحياة الاجتماعية في البطائح. نستعرضها فيما يأتي:

١ – عادة الإجارة:

هي عادة عربية أصيلة؛ لعلها انتشرت بالبطائح نتيجة لتأثير القبائل العربية القاطنة هناك. وقد شاعت ثقافة الاستجارة[١] بين أهل البطائح وحكامها؛ حيث يقول ياقوت الحموي في حديثه عن الصليق (دار ملك عمران ثم مهذب الدولة أبي نصر): إنها كانت "ملجأ لكلّ خائف ومأوى لكل مطرود إذا هرب الخائف من بغداد، وهي دار ملك بني العباس وآل بويه والسلجوقية، لجأ إلى صاحبها؛ فلا سبيل إليه بوجه ولا سبب ولا يمكن استخلاصه بالغلبة أبدا"[٢].

كذلك عندما هزم عضد الدولة معظم خواص عز الدولة وأعيان عسكره، الذين وَردوا قريبًا من البَطائح على حال سَيِّئة، حينئذٍ بعث إليهم عمران بن شاهين زَواريق فيها طعام وثياب وسلاح، ونزلوا في الماء واخترقوا البطائح، فتلقَّاهم عمران وعسكره، وقبَّل يد عز الدولة، وأنزله، وأكرمه، وأقاموا عنده ثلاثة أيام، وصحَّ قولُ عمران لما راسلَ عز الدولة وقال: إنك ستحتاج إليَّ، وتحصل في يَدي، ثم ساروا إلى واسِط[٣].

ولما استجار ابن سهلان بالشرابي (حاكم البطائح) قال الأخير: "قد تحيَّرتُ في أمره، إن أسلمتُه كان فضيحةً وقباحةً، وإنْ لم أسلمه عاديتُ سلطانَ الدولة ... فقالوا: (أصحابه من وجهاء البطائح) قد علمتَ أنَّ ناموس بلدنا هذا أن من لجأ إليه واستجار به يُجار، وما جرت العادةُ بتسليم مَن يحصل عندنا، لا في قديم الزمان ولا في حديثه، فدافع عن الرجل، فراسله، وقوَّى نفسه، وعقد لابنه على ابنته سرًّا، وتحالفا وتعاهدا، ثم ردَّ الشرابيُّ رسالةً إلى بغداد يقول: قد

(١) الاستجارة: هي -في اللغة- طلب شخص من آخر أن يحفظه ويحميه، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن ذلك. والاستجارة ذات دلالة عامة؛ لأنها تشمل كل أحوال طلب الحماية، بخلاف الاستئمان، فإنه في دخول دار الإسلام لغير المسلم وعكسه. (وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية: الموسوعة الفقهية الكويتية، جـ٣، ط٢، الكويت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص١٦١).
(٢) معجم البلدان، جـ٣، ص٤٨٠.
(٣) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٧، ص٤٨٨.

عُرِفَ عادةُ بلدنا في إجارةِ مَنْ استجار بنا، وما يُمكننا نقضُ هذه السُّنَّة، فإن كان الغرضُ حِفْظَ هذا الرجل ومنعه من الإفساد فهو في داري كالمعتقل، وما أُمَكِّنُه من أمرٍ تخافه منه"(١).

ويصور لنا أبو شجاع البطائح في عهد مهذب الدولة (الأول) قائلا: "... واستجار به الخائف فأجاره بأمانه، ولاذ به الملهوف فوطَّأ له كنف إحسانه، وسلك بالناس طريقة جميلة في العدل والإنصاف، وصارت البطيحة معقلًا لكل من قصدها من الأطراف، واتخذها الأكابر وطنًا فبنوا فيها الدور وشيدوا فيها القصور"(٢).

٢- الأطعمة والأشربة:

هناك إشارات إلى بعض الأطعمة والأشربة التي اشتهرت بها البطائح؛ منها:

الدجاج الكسكري: ورد مدح الدجاج الكسكري –على نحو ما تقدم– حيث قيل فيه: "أو ما علمت أن فراريج كسكر فيها ثقل كسكر وروائح آجامها، وكأنها من طير الماء فيها الطعم فإن لم تعالج بالأبازير وتطيب بالأفواه وتروا بالزيت المغسول، لم يمكن النظر إليها، فضلا عن أكله، وهي إذا عوينت بما وصفت وعولجت ففيها بقايا سنخها، ولئن رجعت إلى العراق لا ذقت منها شيئا"(٣). وقيل أيضًا: دجاج كسكر موصوف بالجودة والسمن مذكور في أطايب الأطعمة، وربما بلغت الواحدة منها وزن الجدى والحمل(٤). وقيل إن من طعام الملوك الدجاج الفتي الكسكري المسمن بلباب البر(٥).

كذلك **الأسماك**: ففي وصف مدينة الصليق قيل عنها، إدامهم السمك عظيم(٦)، كما اختصت مدينة كسكر بالسمك الوافر والمتنوع بجانب الصحناة(٧)، حتى قيل إن هذه الأشياء بكسكر فاقت أنواعها في غيرها(٨).

(١) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٨، ص٢٧٥- ٢٧٦.
(٢) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص١٣٥.
(٣) ابن عساكر: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٩٣.
(٤) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص٥٣٠، ٥٣٦.
(٥) الثعالبي: خاص الخاص، ط١، القاهرة (مطبعة السعادة)، ١٣٢٦هـ/١٨٠٩م، ص٤٤.
(٦) المقدسي: المصدر السابق، ص١١٩.
(٧) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص٥٣٦.
- الصحناة: إدام يتخذ من السمك الصغار المملح. (إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص٥٠٨).
(٨) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٤٦.

الخمر: عرفت البطائح من الفاكهة زراعة العنب؛ حيث يقول ابن حوقل عن سورا: "وسورا هذه بين تلك النواحي أكثرها كرومًا وأشربة[١]"، حتى نسبت إليها الخمر[٢]. ولعل هذا مرجعه إلى وجود اليهود هناك على نحو ما تقدم.

الجراد: عرفت البطائح وجود الجراد حتى إن هناك من شعراء البطائح من أنشد في الجرادة[٣]. ولعل أهل البطائح اشتهروا بأكل الجراد وطيب لحمه؛ حيث ذكر الجاحظ البصري (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م) "وها هنا قومٌ لا يأكلون الجرادَ الأعرابيّ السمين، ونحن لا نعرف طعاماً أطيبَ منه"[٤].

الحيات: كما اشتهر أتباع الطريقة الرفاعية بقرية أم عبيدة بأنهم كانوا يأكلون الحيات، وهي حية[٥]. على نحو ما سبق ذكره.

كما أشارت المصادر إلى أن البطائح قد اشتهرت بزراعة بعض المحاصيل، بكميات كبيرة مثل الأرز وقصب السكر، حتى ذُكِر أن إنتاجها منهما كان يكفي الاستهلاك المحلي ويصدر الفائض إلى بغداد[٦]، على نحو ما تقدم. وعلى الرغم من هذا فلم نجد أية إشارة عن اشتهار البطائح بأطعمة من الأرز أو السكر. كذلك لم تمدنا المصادر بما كان على موائد الأمراء وغيرهم من طبقة الخاصة.

٣- الملابس:

اختلفت ملابس الرجال وتباينت بحسب مكانة الفرد الاجتماعية، والمهنة التي يعمل بها. ونذكر هنا أن عمران بن شاهين رفض أن يلبس ما يلبسه الأمراء البويهيون، وذلك عندما رفض

(١) ابن حوقل: المصدر السابق، ص٢٤٣.
(٢) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة سورا)، جـ٣، ص٣١٦.
(٣) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٩٥.
(٤) الجاحظ : الحيوان ، جـ٤ ، ص٤٣.
(٥) ابن خلكان: المصدر السابق، مج١، ص١٧١؛ ابن كثير: المصدر السابق، جـ ١٦، ص٥٥٩.
(٦) ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص٩١.

هدية الأمير البويهي بختيار من ملابس قائلًا له: "أما الخلعة[١] والفرس، فلست ممن يلبس لباسكم"[٢].

كما ورد أن أحمد بن علي أبا الحسن البتي الكاتب، (وقد كان يكتب للقادر بالله عند إقامته بالبطائح سنة ٣٨١هـ/٩٩١م) كان في بدء أمره "يلبس الطيلسان[٣]، ثم لبس من بعده الدراعة[٤]، وسلك في لبسه مذاهب الكتاب القدماء، وكان يلبس الخفين والمبطنة[٥]، ويتعمم العمة[٦] الثغرية، وإن لبس لالجة[٧] لم تكن إلا مريدية، وكان لا يتعرض لحلق شعره جريا على السنة السالفة. وكان شكله ولفظه وما يورده من النوادر يدعو إلى مكاثرته"[٨].

كما سبقت الإشارة إلى ما يعرف بالقميص الكسكري الذي كان من الكرابيس فوق الكعبين، كمه إلى الأصابع أو أصل الأصابع[٩].

كما اشتهر الزط بصناعة الثياب، "وإليهم تنسب الثياب الزطية"[١٠]، وكانت فيما يبدو تختلف في صناعتها عن باقي الثياب المعروفة في ذلك الوقت، ولكن الذي لا نستطيع الجزم به هو: هل كانت هذه الثياب صنفًا معينًا من المنسوجات كان الزط يقومون بصناعتها؛ لتلائم

---

(١) الخِلْعَة: ما يُخلع على الإنسان من الثياب، وإذا قيل خلع فلان على فلان كان معناه أعطاه ثوبًا. وكانت الخلع في العصر العباسى غالبًا ما تشتمل على عمامة وشى مذهبة وغلالة ومبطنة ودراعة دبيقية. كما تنوعت الخلع أيام العباسيين، وكانت تختلف قيمتها بالنسبة لمن تخلع عليه كل حسب مركزه. (رجب عبد الجواد إبراهيم: المرجع السابق، ص١٥٥).

(٢) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٣٠.

(٣) الطيلسان: كساء مدوَّر أخضر لا أسفل له؛ لحمته أو سداه من صوف يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ، وفسر بكساء يُلقى على الكتف كالوشاح، ويحيط بالبدن، خال من الصنعة كالتفصيل والخياطة، من ألبسة العلماء في العصر الإسلامي، كان يتخذ على الأغلب من القماش الأخضر، ويعرف بمصر والشام باسم: الشال. والطيلسان هو الطرحة التي توضع على الرأس والكتفين، وأحيانًا على الكتفين فقط، وغالبًا كانت هذه الطرحة تشبه المنديل الكبير الذي يتدلى على الكتفين ليقى الرقبة من حرارة الشمس (رجب عبد الجواد إبراهيم: المرجع السابق، ص٣٠٦).

(٤) الدراعة: هى جُبَّة مشقوقة المقدم، أو ثوب تحتانى. ولا تكون إلا من الصوف، والجمع: دراريع (نفس المرجع، ص١٧١).

(٥) المُبطَّنة: رداء يُلبس فوق الثياب، وله بطانة قوية. (رجب عبد الجواد إبراهيم: المرجع السابق، ص٧٠).

(٦) العمة أوالعمامة: هي لباس عربي أطلقه العرب على قطعة القماش التي تُلفُّ حول الرأس وحدها، أو قطعة القماش التي تلف عدة لفات حول الطاقية. وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعتمُّ؛ وكذلك كان الخلفاء الراشدون؛ وخلفاء بني أمية وبنى العباس؛ فقد كانت طبيعة الحياة الصحراوية تستدعى تغطية الرأس. (نفس المرجع، ص٣٣٤).

(٧) لالجة: ربما المقصود بها لالكة، والمقصود بها الحذاء. (نفس المرجع، ص٣٣٤).

(٨) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، جـ١، ص٣٧٣-٣٧٤.

(٩) البلاذري: أنساب الأشراف، جـ٢، ص٨٧٠ .

(١٠) ابن منظور: المصدر السابق (مادة زطط)، مج٧، ص٣٠٨ .

الذوق العربي ومن ثم كثر بيعها في الأسواق العربية، أو أنها هي الأزياء التقليدية الخاصة بهم فقط؟

٤ – الأعياد والاحتفالات:

مثلت الأعياد والاحتفالات مظهرا مجتمعيًّا أصيلًا، يختلط فيه ما هو ديني بما هو اجتماعي على نحو فعال.

إلى جانب ما اعتاده أهل العراق والمسلمون عمومًا من الاحتفال بمختلف الأعياد؛ لاسيما ما كان دينيًّا منها، نجد أن هناك أعيادًا أخرى؛ مثل عيدي النيروز(١)، والمهرجان(٢)، وهما من الأعياد الفارسية القديمة التي ارتبطت بالبطائح(٣).

وفي هذا العيد كان يرش الناس الماء بعضهم على بعض، ومن أسباب ذلك غرض الاغتسال، وقيل أيضًا إن رش الماء إنما هو بمنزلة التطهر مما اكتسبته الأبدان من دخان النار وما التصق بها من أدناس الإيقاد، ولأنه يدفع عن الهواء فساده المولد للأوبئة والأمراض(٤)؛ ويرجح –مما سبق– أن هناك علاقة بين النيروز وصابئة البطائح أو ما سماهم ابن النديم المغتسلة، فربما هم من شرعوا سنة الاغتسال وعيد النوروز.

ومن ناحية أخرى، فقد ورد أن الشاعر مهيار الديلمي(٥) امتدح أبا عبد الله بن يني حاكم البطائح، وكتب له قصيده في المهرجان(٦)؛ مما يدل على الاحتفال به هناك.

---

(١) النيروز: عيد شهير من أعياد الفرس من أصل "نو" بمعنى جديد، و"روز" بمعنى يوم؛ أي: اليوم الجديد، وهو أول يوم من الربيع. (ابن فارس: النيروز (نوادر المخطوطات)، المجموعة ٥، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٤؛ أبو ريحان البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية، ليبزج، ١٨٧٩م، ص٢١٦).

(٢) المهرجان: عيد من أعياد الفرس كذلك، يعيّد به في الشهر السابع من شهورهم الشمسية، وهو شهر "مهر" "مهرماه"، ويدعى العيد "مهركان"، وبين النيروز والمهرجان مائة وتسعة وستون يوماً. (المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٢، ص١٩٧- ١٩٨).

(٣) ياقوت الحموي: المصدر السابق (مادة البطيحة)، جـ١، ص٥٣٥.

(٤) البيروني: المصدر السابق، ص٢١٨.

(٥) مهيار الديلمي: أبو الحسن مهيار بن مروزيه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور؛ كان مقدماً على أهل وقته، وله ديوان شعر كبير يدخل في أربع مجلدات، وهو رقيق الحاشية طويل النفس في قصائده. كان مجوسيا وأسلم في سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م (ابن خلكان: المصدر السابق، مج٥، ص٣٥٩- ٣٦٠).

(٦) مهيار الديلمي: ديوان مهيار الديلمي، جـ٣، ط١، القاهرة (دار الكتب المصرية)، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، ص٩٢.

وكان هناك احتفال بالأعياد الأخرى (لعلها الأعياد الإسلامية: الفطر والأضحى)؛ الأمر الذي تجلى في ارتداء الملابس الجديدة: وفي ذلك أنشد الشاعر، في يوم عيد:

لبِس الجنود جديدهم في عيدهم ... ولبِستُ حزن أبي الحسين جديدا.
ووَدِدْتُ لو حضَر المُصَلَّى فيهِمُ ... حيًّـا وكنتُ المُسْبَـتَ المَلْحُودا.
أيسُرُّني عيـدٌ ولم أَرَ وجـهَهُ ... فيـه أَلا بُـعداً لذلك عيـدا.
كيفَ المَسرَّة لامْرِئ فقَدَ الهوى ... وحثـا عليـه جَنادِلاً وصَعيدا.
أَفحينَ عادَ الليـثُ بأساً يُتَّـقَى ... والبـدرُ حُسناً والسَّحابةُ جودا"[١].

٥- الأوضاع الصحية:

هناك من الأوبئة ما كان يهدد البطائحيين؛ بسبب كثرة الحشرات وامتلاء الأرض هناك بالبق والضفادع؛ خاصة في فصل الصيف[٢]. يؤكد ذلك ما ذكره المقدسي بقوله: "والبطائح نعوذ بالله منها. ومن شاهدها في الصيف رأى العجب، إنما ينامون في الكلل، وثم بق له حمة كالإبرة إنما هي نحرة" [٣]. كما خص المقدسي مدينة الصليق بأن بها حرًّا شديدًا وبقًّا مهلكًا[٤]. وكذلك كانت مدينة الجامدة[٥]. كما قيل إن بق البطائح يضرب به المثل في الكثرة وسوء الأمر، حتى إنها إذا ظفرت بالإنسان السكران النائم، أكلت لحمه وشربت دمه، ولم تبق منه إلا عظامًا عارية[٦].

كما يهدد البعوض والذباب هذه المنطقة بانتشار الأوبئة فيها[٧]، "والشطر الذي يلي زقاق الهِفَّة لا ينامُ أَهله من البعوض". وكانت البعوضة تغمس خرطومها في جلد الجاموس، كما يغمس الرجل أصابعَه في الثريد[٨].

---

(١) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٥٤.
(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٢٢.
(٣) المقدسي: المصدر السابق، ص١٢٥.
(٤) نفس المصدر، ص١١٩.
(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٣٢٢.
(٦) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص٣٩٨.
(٧) سترك: دائرة المعارف الإسلامية، مادة البطيحة، ص٦٩١.
(٨) الجاحظ: الحيوان، جـ٥، ص٣٩٩.

وفي عام ٣٧٨هـ/٩٨٨م، وقع وباء بالبطائح من شدة الحر؛ فمات منه خلق كثير حتى امتلأت منهم الشوارع(١). وفي عام ٤٠٦هـ/١٠١٥م وقع بالبصرة وما جاورها وباء شديد حتى عجز الحفارون عن حفر القبور من كثرة الموتى(٢). ولعله طال البطائح.

كما ذكرت بعض المصادر عددًا من الأمراض التي أصابت بعض حكام البطائح أو أقربائهم؛ ففي عام ٣٣٩هـ/٩٥٠م مات وزير معز الدولة، أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري إثر حمى حادة أصابته في مدينة الجامدة بالبطائح(٣). كذلك في عام ٤٠٨هـ/١٠١٧م توفي مهذب الدولة الأول؛ وكان سبب موته أنه افتصد ساعده ومرض منه، واشتد مرضه حتى توفى بعد ذلك(٤). وفي العام نفسه ورد أن أبا محمد عبد الله بن يني مات على أثر ذبحة(٥). كما مرض صدقة بن فارس المازياري حاكم البطائح سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م، ثم ذُكر أنه توفي في العام نفسه(٦).

والجدير بالذكر هنا أن الوزير أبا علي الرخجي وزير مشرف الدولة، أمر ببناء مارستان لعلاج أهل واسط والبطائح، وقد افتتحه سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م، وعين له خزانًا وأطباء ووكلاء، وأكثر فيه من الأدوية والأشربة، ووقف عليه الوقوف الكثيرة من أجل استمرار عمله(٧).

كما ذكر ابن رسته أن البطائحيين كانوا يحتمون من البق، ويكتنون منه في الأكواخ(٨)؛ مما يستنتج منه أن هناك طرقًا عديدة –وإن كانت بدائية– للتعايش مع بيئة البطائح الصعبة.

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤٣٥.
(٢) نفس المصدر، مج٨، ص٩٣.
(٣) مسكويه: المصدر السابق، جـ٢، ص١٢٣؛ الهمذاني: المصدر السابق، ص٣٦٩.
(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٢٠.
(٥) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص١٥٠.
(٦) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٨، ص١٣٤- ١٣٥؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٤.
(٧) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٥، ص٢٦٩؛ أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستان في الإسلام، ط٢، بيروت (دار الرائد العربي)، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٩٨؛ عبد القادرسلمان المعاضيدي: المرجع السابق، ص٣١١-٣١٢.
(٨) ابن رسته: المصدر السابق، ص١٨٥.

رابعًا: المنشآت الاجتماعية في البطائح:

شهدت البطائح العديد من المنشآت التي لعبت دورًا اجتماعيًّا؛ مثل: المساجد الجامعة، والمزارات والدور والقصور والحمامات وغير ذلك، كما لعب بعض هذه المنشآت أدوارًا علمية سيأتي بيانها لاحقًا.

شهدت البطائح عددًا من **المساجد الجامعة،** كما لم يقتصر دور المساجد هناك –شأن سائر بلاد المسلمين– على أداء الشعائر الدينية، بل كان لها دور اجتماعي أيضًا؛ حيث يذكر التنوخى (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، أنه جلس في المسجد الجامع بشقشي مع بعض اللاجئين إلى البطائح، وقد أخذوا يذكرون الأحاديث النبوية المتعلقة بالفرج بعد الشدة؛ تعزية لأنفسهم[(١)].

شهدت البطائح بعض **المزارات الصوفية؛** ففي قرية أم عبيدة كان قبر أبي العباس أحمد الرفاعي (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م)، وهو شيخ الطائفة المعروفة بالرفاعية والبطائحية[(٢)]. وقد كان قبره مقصدًا للزائرين[(٣)]، كما دفن معه طائفة من أتباعه[(٤)]؛ ولعل قبورهم كانت بدورها مزارات كذلك.

ونظرًا لوقوع كربلاء –حيث قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما– بداخل مدينة الطف البطائحية، فقد ذُكر أن قبره واقع هناك، وأن له مشهدًا عظيمًا في أوقات من السنة[(٥)]. كما ذكره ابن حوقل بقوله: "وكربلاء من غربيّ الفرات، فيما يحاذى قصر ابن هبيرة، وبها قبر الحسين بن عليّ صلوات الله عليهما، وله مشهد عظيم، وخطب في أوقات من السنة بزيارته، وقصده جسيم"[(٦)].

(١) التنوخي: الفرج بعد الشدة، جـ١، ص١٧٣- ١٧٤.
(٢) ابن خلكان: المصدر السابق، مج١، ص١٧١- ١٧٢.
(٣) ابن بطوطة: المصدر السابق، مج٢، ص٧.
(٤) ابن كثير: المصدر السابق، جـ١٨، ص٤٩.
(٥) ابن عساكر: المصدر السابق، جـ١٤، ص٢٥٧؛ البلادي: المرجع السابق، ص٢٦٨؛ الهندي: المرجع السابق، جـ٤، ص١٠١٤.
(٦) صورة الأرض، ص٢٤٣.

اتخذ ولاة البطائح لهم **دارًا** للإمارة سكنوها؛ حيث ذُكر في ذلك أن هناك دارًا للإمارة بمدينة المنصورة كانت لأبي الفرج محمد بن عمران، وأيضًا للمظفر من بعده، إلا أننا لم نجد أية إشارة عنها غير ذلك(١).

كما ذكر ياقوت دار إمارة بالصليق كانت دار مُلك مهذب الدولة (الأول)(٢). ولقد أنشأها سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م، كما وصفها لنا الصابئ بقوله: "أنشأ مهذب الدولة داره بالصليق، فوسّع صحنها وعظّم أبنيتها، وكبّر مجالسها، وسلك مسالك الملوك فيها، ونقل إليها من الآلات والساج الشيء الكثير؛ فجاءت أحسن دار وأفخمها وأجلها وأعظمها. وقد رأيتها في أيامه وكانت من أبنية الملوك وذوي الهمم الكبيرة منهم، وما شاهدت صحنا كصحنها في انفساحه واتساعه، وكانت راكبة لدجلة ولها روشن وشبابيك عليها. ونقضت هذه الدار في سنة سبع عشرة وأربعمائة، حتى قلعت أساساتها وجعلت دكة في تعفّى آثارها. وكان سبب ذاك أن باع العمال في أيام الفترة بعضها على أرباب الأقساط وطمع الجند بهذا الابتداء؛ فأتوا على جميعها"(٣).

أما بالنسبة **لدور العامة** بالبطائح، فهي عبارة عن أكواخ من القصب والحصران أشبه بالدكاكين، وهى التي كانت بين الأزقة المائية، وبها كان السكان يحتمون من البق(٤).

كذلك ذكر البيهقي أن البطائح "بلاد على سطح الماء، أبنيتها على الخشب والقصب، وهي من عجائب الدنيا"(٥). كما اختلفت الأبنية بحسب السعة والضيق، كذلك كان بعضها مملوكاً، وبعضها مستأجراً أو مستعاراً(٦).

وهناك وصف لدار قد خربت بالصحراء على مقربة من أجمة القصب بالبطائح؛ حيث تكونت من غرفة ذات سطح وباب وأمامها صحنان(٧). كما احتوت البطائح على قصور؛ مثل قصر أنس بن مالك بالطف(٨).

---

(١) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص٨٨، ٨٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج٧، ص٤١٢، ٤١١؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص١٢٣؛ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٦٨٠.
(٢) معجم البلدان، جـ٣، ص٤٨٠.
(٣) تاريخ الصابي ملحق بكتاب ذيل تجارب الأمم، ص٤٥٥.
(٤) ابن رسته: المصدر السابق، ص١٨٥.
(٥) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، جـ٢، ص٥٤٩.
(٦) أبو حامد الغزالي: المصدر السابق، ص١٥٩٢.
(٧) التنوخي: الفرج بعد الشدة، جـ٤، ص١٥٢- ١٥٣.
(٨) ابن خلكان: المصدر السابق، مج٤، ص١٨٢؛ الحميري: المصدر السابق، ص٢٨٣، ٣٩٦.

ويشير ابن حوقل إلى أن هناك أبنية تتصف بالجمال على نهر معقل بالبطائح؛ حيث يقول: "على نهر معقل أيضًا أبنية شريفة، ومساكن حسنة عالية، **وقصور** مشيّدة، وبساتين وضياع واسعة غزيرة كبيرة عظيمة"(١).

كما عرفت البطائح منشآت أخرى مثل وجود **الحمامات** على أراضيها(٢).

بالإضافة إلى ذلك عرفت البطائح بعض المنشآت الاقتصادية المشار إليها سابقًا؛ مثل **الأسواق**، بجانب **منارة**، عرفت بمنارة حسان.

ويظهر –مما سبق– أنه على الرغم من أن البطائح كانت مسكونة بعناصر متنوعة سكانيًّا ولغويًّا ودينيًّا أيضًا، فلم يرد ما يشير إلى أن ثمة فتنًا أو مصادمات وقعت بينهم وبين المسلمين؛ ومن هنا يمكن القول: إن البطائح قدمت نموذجًا للتوطُّن والاستقرار يقوم على تجاور مجموعة من العناصر السكانية المختلفة في بيئة واحدة، ولا يمنع هذا القول بأن شأن العرب قد قوي هناك على حساب بقية العناصر؛ وذلك لاستئثارهم بالسلطة.

(١) ابن حوقل: المصدر السابق، ص٢٣٦- ٢٣٨.
(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، مج٩، ص٤١٢؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٣، ص٣١.

الفصل الرابع

الحياة الثقافية في البطائح خلال عصري البويهيين والسلاجقة

أولا: العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية بالبطائح

١- اهتمام أمراء البطائح بالعلم والعلماء.

٢- مراكز النشاط العلمي والتعليمي بالبطائح.

ثانيًا: النشاط العلمي في البطائح

١- العلوم الدينية الإسلامية:

أ- علم القراءات.

ب- علم الحديث.

جـ- علم الفقه.

د- التصوف.

٢- العلوم اللسانية:

أ- النحو.

ب- الشعر.

٣- العلوم الإنسانية:

أ- علم التاريخ.

يستند التشريع في الإسلام إلى مصدرين أساسيين؛ أولهما: القرآن الكريم، وثانيهما: السنة النبوية، وحول هذين المصدرين دارت أنشطة المسلمين العلمية بالدرجة الأولى، وتبلورت الأبحاث في عدد من العلوم التي توسعت مع مرور الزمن ونضجت؛ فكانت علوم القراءات، والحديث، والفقه وأصوله، بالإضافة إلى علوم اللغة العربية التي نزل بها القرآن وصيغ فيها الحديث.

أولًا: العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية بالبطائح:

تعددت العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية داخل البطائح، وهى العوامل التي تتجسد فيما يأتي:

١ – اهتمام أمراء البطائح بالعلم والعلماء:

لابد لنا ونحن ندرس الحياة الثقافية بالبطائح أن نتعرف العوامل المؤثرة في صياغة الواقع الثقافي والفكري الذي ساد المنطقة زمن الدراسة.

لجأ بعض العلماء إلى البطائح في عهد الأمير القوي عمران بن شاهين سنة ٣٦٥هـ/٩٧٦م؛ وذلك هربًا من بعض النكبات التي لحقت بهم واعتصامًا بأميرها المذكور؛ ومن بين هؤلاء التنوخي صاحب كتاب الفرج بعد الشدة؛ حيث ذكر أنه لقي هناك جماعة من معارفه ممن كانوا من العلماء أو المهتمين بالعلم، وفدوا من البصرة وواسط، خائفين على نفوسهم؛ إذ كانوا قد هربوا من أحد الوزراء (ابن بقية). وقد أخذوا في رواية بعض الأحاديث النبوية المتعلقة بالفرج بعد الشدة داخل أحد المساجد الجامعة البطائح، وكان هذا في يوم الجمعة[١]؛ وفي هذا ما يشير إلى أن أسلوب القمع والتنكيل قد طال الكُتاب، وأن البطائح كانت ملاذًا وملجأ لأطياف متنوعة من المجتمع.

ومن الأمراء البطائحيين الذين اهتموا بالعلم كثيرًا مهذب الدولة الأول؛ إذ كان قصره في الصليق ملتقى "للشعراء من كل صوب وفج إلى بابه فأوسعهم جودًا ونوالًا وإكرامًا وأفضالًا"[٢]. وكذلك الأدباء من أمثال أبي القاسم هبة الله بن عيسى الذي خدم القادر بالله بالبطائح، وكان

(١) التنوخي: الفرج بعد الشدة، جـ١، ص١٧٣- ١٧٤.
(٢) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ٣، ص١٣٥؛ هلال الصابئ: ملحق بكتاب ذيل تجارب الأمم، تحقيق هـ ف آمدروز، جـ٣، القاهرة (دار الكتاب الإسلامي)، ص٤٥٥.

مهذب الدولة يفضله على سائر الأدباء والعلماء[١]. وهو من الكُتاب المفلقين، ومكاتباته مشهورة، توفى عام ٤٠٥هـ/١٠١٥م[٢].

كما شهدت البطائح بعض المناظرات التي شارك فيها بعض رجال الدولة؛ مثل التي كانت بين كاتب مهذب الدولة الأول هبة الله بن عيسى وأبي القاسم الحسين بن علي المغربي وزير البويهيين ببغداد، وقد بدأت شعرًا ثم جاء الرد عليها في رقعة من النثر، وقد كانت اللغة موضوعها[٣].

كما أن هناك طائفة من العلماء الذين لم ينتسبوا إلى البطائح، ولكنهم عاشوا بها على اختلاف مذاهبهم؛ مما يدل على انتعاش الحياة الثقافية بالبطائح آنذاك؛ ومن هؤلاء أحمد بن على أبو الحسن البتي[٤]، فقد كان يكتب للقادر بالله عند إقامته بالبطائح سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، وكان يذهب مذهب المعتزلة[٥]، ويميل إلى فقه أبي حنيفة[٦]، وقد توفى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م[٧].

وهناك من الفقهاء القضاة من اتصل بحكام البطائح، وإن لم يكونوا من أهلها مثلما لم يستقروا فيها. وكان بعضهم على المذهب الحنبلي[٨]؛ ومن هؤلاء محمد بن محمد بن

---

(١) ابن الجوزي: المصر السابق، جـ١٥، ص١١٠.
(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٨، ص٨٥.
(٣) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ق٤، مج١، ط١، بيروت (دار الثقافة)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٤٧٩- ٤٨٠.
(٤) البتي نسبة الى بت: قرية قرب بعقوبا من نواحي بغداد. (ابن ناصر الدمشقي: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، جـ١، (مؤسسة رسالة) ، ص٣٤١).
(٥) مذهب المعتزلة: نشأت هذه الفرقة بسبب الخلاف الذي حدث بين الحسن البصري المتوفي سنة ١١٠هـ/٧٢٨م، وواصل بن عطاء أبي حذيفة الغزّال مولى بني ضبة المتوفي سنة ١٢١هـ/٧٤٨م، حيث كان في أول أمره يجلس إلى الحسن البصري، فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر وقال الجماعة بإيمانهم، خرج واصل عن الفريقين وقال بمنزلة بين المنزلتين، فطرده الحسن عن مجلسه، فاعتزل عنه، وتبعه عمرو بن عبيد، ومن ثمّ سمّوا وجماعتهم المعتزلة. (ياقوت الحموي: معجم الأدباء، جـ٦، ص٢٧٩٣).
(٦) المذهب الحنفي: هو أحد مذاهب أهل السنة، أسسه الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، المولود بالكوفة سنة ٨٠هـ/٦٩٩م، لأسرة فارسية الأصل، والمتوفى سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م، وكان تاجر ثياب ثم مال إلى العلم، ويعتمد هذا المذهب على الكتاب والسنة والإجماع، ثم قول الصحابي فيما ليس للاجتهاد فيه مجال، ثم القياس والاستحسان. وقد صار هذا المذهب المذهبَ الرسمي للخلافة العباسية. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٦، ص٣٩٠- ٤٠٣؛ محمد أبو زهرة: أبو حنيفة حياته وعصره- آراؤه وفقهه، ط٢، دار الفكر العربي، ص١٤، ٥٢٠).
(٧) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، جـ١، ص٣٧٤،٣٧٣.
(٨) المذهب الحنبلي: مذهب فقهي من المذاهب الفقهية المشتهرة الأربعة عند أهل السنة والجماعة؛ كالمذاهب: الحنفي والمالكي والشافعي. وهو ينسب إلى الإمام أحمد بن حنبل المولود في بغداد سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م. وقد اهتم كثيرًا بعلم الحديث حتى جلس للتحديث والإفتاء في بغداد، وكان الناس يجتمعون على درسه حتى يبلغ

الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء (القاضي أبو يعلى الصغير)، الملقب بعماد الدين ابن القاضي أبي خازم ابن القاضي الكبير أبي يعلى، وهو شيخ المذهب الحنبلي في وقته. ولد سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م. وتوفى سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م[١].

ولعل هذا مؤشر على أن البطائح في (لا سيما زمن مهذب الدولة الأول) إن لم تكن جاذبة لعدد كبير من العلماء، فهي على الأقل لم تخْلُ منهم، سواء أكانوا بطائحيين أم كانوا وافدين على البطائح.

كذلك أيضًا من بين الأمراء البطائحيين الذين اهتموا بالعلم والأدب، الأمير مهذب الدولة الثاني أحمد بن محمد بن أبي الجبر؛ ذلك أنه من أسرة آل الجبر، التي كان بعض أفرادها شعراء وأمراء في الوقت نفسه؛ حيث ذكره الصفدي بقوله: إنه "كان أديبًا فاضلًا، له معرفة بأيام الناس، وله ديوان شعر، ولم يزل آباؤه وأجداده أمراء بالبطيحة. توفي ببغداد سنة ٥٠٨هـ/١١١٥م. ومدح الإمام المستظهر بالله بقصيدة"[٢]؛ ويدل ذلك على الاستقرار السياسي للبطائح، والعلاقة الطيبة بين الأمير مهذب الدولة الثاني والخلافة العباسية في ذلك الوقت، وأثر ذلك في دعم الحياة الثقافية بالبطائح؛ لا سيما على الصعيد الأدبي.

أما المظفر حماد بن أبي الجبر، فقد ذكر الأصبهاني أنه كان للخائف ملاذًا، فكل من يخشى الخليفة والسلطان، يجد عنده المن والمنى والأمان، فلا يُقدر عليه ولا يساء إليه، حتى قال بعض الواسطيين فيه شعرًا منه:

كـلُّ مَــنْ وَلَّتْ سعادتُــه ... فإلـــى الغَرّافِ ينــــحدرُ.
وتـرى الغَرّافَ عن كَثَب ... عبـــرةً يأتـي بها الخـبرُ[٣].

عددهم قرابة خمسة آلاف. توفى سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م. (الخطيب البغدادي: المصدر السابق، مج٦، ص٩٠-١٠٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١١، ص١٧٧، وما بعدها).

(١) ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، جـ٢، ط١، الرياض (مكتبة العبيكان)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص٩٥- ١٠٠.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٨، ص٢٧.

(٣) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٢٩.

وقد مدح المظفرَ بن حماد، الشاعرُ الأمير شهاب الدين أبو الفوارس، سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي، الأديب الفقيه الشافعي البغدادي، الذي اشتهر بلقب الحيص بيص، وقد مات في شعبان سنة ٥٧٤هـ/١١٧٩م[١]، وله في مدح المظفر بن حماد:

ظِلُّ الأسنّـــةِ لا جُـدْرانُ بـــغدادِ وسابـغُ الزُّغْفِ لا مَوْشيّ أبرادِ.
أدنى إلى المجدِ من عيشٍ يقارنهُ تهضُّمٌ من أبـاةِ الحمدِ أوغادِ[٢].

كما اعتمد المظفر بن حماد في أشغاله على العلماء والأدباء؛ مثل أبي القاسم عمر بن الحسن بن أحمد بن الباسيسي، وهو من أهل الغراف، كان من الشهود المُعَدَّلين، وكان المظفَّر يثق إليه؛ إذ رآه ثقة وعدلاً، حوى أدباً وفضلاً، وله نظمٌ ونثر[٣].

وبالإضافة إلى حكام البطائح، فقد كان لبعض أقربائهم وذويهم أثر في الحياة الثقافية هناك؛ ومن بين هؤلاء: الصارم مرجى بن بتاه البطائحي خال مهذب الدولة الثاني؛ حيث كان من فحول الشعراء، وأعيان الفضلاء[٤].

ويلاحظ هنا أثر الحكام الذين طالت مدد حكمهم؛ فنعموا باستقرار نسبي، في رعاية العلم والعلماء؛ حيث لم يكن لغير هؤلاء دور مماثل؛ بما يعكس الأثر السلبي لغياب مثل هذا الاستقرار في الحياة الثقافية.

<u>٢– مراكز النشاط العلمي والتعليمي بالبطائح:</u>

كانت المساجد أهم المراكز الثقافية، ليس في البطائح فقط، بل في الأمصار الإسلامية جميعًا؛ حيث لعبت دورًا مهمًا في نشر العلم؛ إذ كان العلماء يدرِّسون بالمساجد، ويعقدون بها الحلقات العلمية في التفسير والحديث والفقه واللغة والتاريخ وغيرها[٥]. ومن الممكن أن ندرك

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص٦١- ٦٢.
(٢) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ١، ص٢٣٥.
(٣) نفس المصدر، جـ٤، مج٢، ص٥٨٥. كما ذكره الصفدي بقوله: "نكب آخر أيام المقتفي، وبقي مكسورًا إلى أيام الوزير ابن البلدي، فاختلق له جرما حبسه به إلى أن مات في حبسه غمًّا، سنة اثنتين - أو ثلاث - وستين وخمس مائة". (الوافي بالوفيات، جـ٢٢، ص٢٧٧).
(٤) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٣٢.
(٥) علي حسني الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ط٢، القاهرة (مكتبة الخانجي)، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٢٦٤.

النشاط العلمي للمساجد بالبطائح من كثرة القراء والمحدثين والفقهاء وتلامذتهم هناك، مع العلم أن المصادر لدينا لم تشر إلى أماكن تدريسهم، غير أنه يمكن ترجيح وجود دور محوري للمساجد في النشاط العلمي لعلماء البطائح، في ضوء الدور العلمي المذكور للمساجد الإسلامية.

فهناك المسجد الجامع "بشقشي" الذي بناه الأمير البويهي معز الدولة بالبطائح (ولعل هذا حدث إبان مرحلة صلحه مع عمران بن شاهين)، وقد ورد أنه كان موضع اجتماع بعض العلماء الهاربين إلى البطائح في زمن عمران بن شاهين، وأنهم كانوا يروون فيه بعض الأحاديث النبوية في يوم الجمعة[١]، غير أنه لم يرد ما يفيد وجود حلقات علم نظامية في هذا المسجد، وإن كان وجود المسجد وتدارس العلم فيه يعطي مؤشرًا على احتمالية وجود مثل تلك الحلقات.

كما ذكر ابن رسته مدينة طهيثا (إحدى مدن البطائح)، وذلك بوصفها مدينة كبيرة وبها مسجد جامع[٢].

كما كان قصر مهذب الدولة الأول بالصليق، من أبرز الدور التي كانت تمثل مركزًا للنشاط الثقافي بالبطائح حيث مثَّل –بصحنه الواسع وأبنيته العظيمة– ملتقى للشعراء والأدباء[٣].

وعلى الرغم من وجود المدارس في بغداد، إلا أنها –على ما يبدو– لم تبلغ البطائح في تلك الحقبة؛ مما يعكس انحسار النشاط العلمي هناك في المراكز التقليدية المذكورة.

ومن ناحية أخرى، فعلى الرغم من وجود ما يفيد إيقاف أحد علماء البطائح –وهو أبو الحسن علي بن عساكر بن المرحب البطائحي الضرير– كتبه على أحد مراكز العلم ببغداد، وذلك حين توفي سنة٥٧٢هـ/١١٧٦م، وعلى الرغم من أن الوقف كان ببغداد حيث توفي وليس بالبطائح[٤]، إلا أن هذا يعكس توجه علماء بطائحيين نحو خدمة طلاب العلم على نحو يؤثر بالإيجاب في الحياة الثقافية، الأمر الذي لعله انسحب على البطائح نفسها، وإن أغفلت المصادر ذكره؛ ربما لقلة شيوعه.

(١) التنوخي: الفرج بعد الشدة، جـ١، ص١٧٣- ١٧٤.
(٢) ابن رسته: المصدر السابق، مج ٧، ص١٨٥.
(٣) أبو شجاع: المصدر السابق، جـ ٣، ص١٣٥؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٥، ص١١٠.
(٤) وقد ذكر ابن كثير أن أبا الحسن البطائحي قد أوقف كتبه بمسجد ابن جردة ببغداد. (البداية والنهاية، جـ ١٦، ص٥٢٠) بينما ذكر ياقوت أنه قد "أوقف كتبه على مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلي". (معجم الأدباء، جـ٤، ص١٨١٩-١٨٢٠).

كان نظام التدريس السائد في العالم الإسلامي عمومًا (بما فيه البطائح خلال فترة دراستنا) قائمًا على إلقاء المحاضرات، وقد اختلفت طريقة الإلقاء باختلاف موضوع الدراسة؛ فنجد المحدِّثين والفقهاء والأدباء والنحاة قد اتبعوا طريقة السماع؛ حيث يروى الأستاذ من كتبه أو من كتاب غيره أو من ذاكرته ما يريد إلقاءه على طلابه[١]. يقول الذهبي على سبيل المثال: "أحمد ابن صدقة بن علي بن كليزا، أبو بكر الواسطي المقرئ الغرافي الخياط. سمع من أبي عبد الله محمد بن علي الجلابي قطعة من مسند أحمد بن سنان القطان، وحدث بها ببغداد"[٢]. كما يقول أيضًا: "قرأت بخط الشيخ موفق الدين: سمعنا من البطائحي الإبانة لابن بطة، والزهد لأحمد"[٣].

كما كان الطلاب حريصين على أخذ الإجازات عن شيوخهم فيما سمعوه منهم؛ حيث يجيز الشيخ لتلاميذه أن يرووا عنه حديثًا أو كتابًا، ويمنحهم شهادة معتمدة بخط يده في هذا الأمر؛ فعل هذا –مثلًا– أبو الحسن علي بن أحمد بن الغريب الجامدي، الذي أقرأ بالجامدة، فارتحل إليه ليستزيد من علمه الفرج بن عمر بن الحسن بن أحمد بن عبد الكريم بن دندان، أبو الفتح الواسطي المقرئ الضرير المفسِّر، وأقرأ عليه القرآن بالجامدة بقراءة عاصم رواية أبي بكر[٤]، وذلك سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م[٥]. كذلك هناك محمد بن علي بن الحسين، أبو يعلى الواسطي الجامدي المعروف بابن القارئ؛ إذ حدث بواسط بالإجازة عن القاضي محمد بن علي بن الجلابي. وتوفى سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م[٦].

---

(١) مريزن سعيد مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٤- ١٤٠٥هـ/١٩٨٤-١٩٨٥م،ص٢٤١- ٢٤٤.
(٢) تاريخ الإسلام، مج١٣، ص٣٩٣.
(٣) سير أعلام النبلاء، جـ٢٠، ص٥٤٩.
(٤) عاصم: هو عاصم بن أبي النجود، وهو أسدي كوفي، وأحد القراء السبعة، وتابعي جليل. قرأ عاصم على أبي عبدالرحمن السلمي وكذلك زر بن حبيش الأسدي. وعاصم هو الإمام الذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبدالرحمن السلمي فهو معدود في الطبقة الثالثة من التابعين بالكوفة. ولقد رحل إليه الناس للقراءة من مختلف الآفاق. توفي سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م. (ياقوت الحموي: معجم الأدباء، جـ٤، ص١٤٧٤-١٤٧٥).
وأبو بكر: هو الراوي أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي. أحد رواة القرَّاء السبعة، إمام عَلَم كبير، مُقرئ عالم حجَّة، من كبار أئمة السنة وفقهائها، كثير العلم والعمل، زاهد ورع، كان يقول عن نفسه: أنا نصف الإسلام. قرأ على عاصم بن أبي النَّجود القرآن. توفي سنة ١٩٣هـ/٨٠٩م. (نفس المصدر، جـ٢، ص٧٥١- ٧٥٧).
(٥) الخطيب البغدادي: المصدر السابق، مج١٤، ص٣٨٣. كما ذكره الذهبي باسم علي بن أحمد العريف الجامدي. (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق طيار آلى قولاج، مج١، استانبول، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٧٨٦).
(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، مج١٣، ص٥٥٩.

ثانيًا: النشاط العلمي في البطائح:

اشتغل كثير من علماء البطائح وأدبائها بأكثر من علم، على عادة العلماء المسلمين في تلك الحقبة، غير أن هذا لا ينفي تفرُّد طائفة منهم بعلوم معينة غلبت عليهم؛ من هؤلاء أبو الحسن علي بن عساكر البطائحي، المعروف بالبطائحي الضرير الحنبلي الذي عرف بالمقرئ(١)؛ حيث قرأ القرآن وأقرأ، وله مصنف في القراءات، لكنه أيضًا سمع الحديث من جماعة وحدَّث بكثير من الأحاديث، وبجانب العلوم الدينية كان أيضًا نحويًّا جيدًا(٢).

وعلى العكس اشتهر بعض الشعراء بالشعر دون سواه؛ من هؤلاء أبو الخطاب البطائحي محمد بن محمد بن أحمد المضري، وهو من أهل البطائح(٣).

بينما غاب تمامًا كل نشاط يعالج العلوم العقلية مثل الطبيعة والفلك، ويظهر هذا من تناول العلوم المختلفة وجهود علماء البطائح فيها.

١- العلوم الدينية الإسلامية:

شهدت البطائح تدريس بعض العلوم الإسلامية؛ مثل القراءات، والحديث، والفقه.

أ- علم القراءات:

القراءات: جمع قراءة، مصدر قرأ في اللغة، وهي في الاصطلاح العلمي: مذهب من مذاهب النطق في القرآن، يذهب به إمام من الأئمة القرَّاء مذهبًا يخالف غيره(٤). وهي من علوم الدين التي تبحث في كيفية قراءة ألفاظ القرآن؛ وذلك لأن تباين لهجات العرب ثم اختلاف لهجات المسلمين من الشعوب المفتوحة، أوجد اختلافًا في نطق حروف القرآن(٥)؛ وهذا التعدد راجع إلى اختلاف اللهجات بين القبائل العربية في الجاهلية واستمرار الاختلاف في الإسلام، وعجْز كل قبيلة في البداية عن أخذ القرآن بلهجة أخرى غير لهجتها نظرا لأمية أفرادها، فلما تعلم معظمهم

(١) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ٤، ص١٨١٩؛ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، جـ٦، ص٤٠١.
(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٨، ص٢٣٣ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٢٠، ص٥٤٨- ٥٤٩.
(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ١، ص١٣٣.
(٤) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن ، ط١١، القاهرة (مكتبة وهبة)، ٢٠٠٠م، ص١٦٢.
(٥) عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص١٧٥-١٧٦.

الكتابة، توحدت لهجاتهم على لهجة الرسول –صلى الله عليه وسلم– وهى لهجة مُضَر؛ ومن ثم ارتفع حكم الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وصار يقرأ على حرف واحد بلهجة مُضَر، وهذا الحرف هو الذى جمع الخليفة عثمان بن عفان المصحف عليه(1)، وإن بقيت القراءات على مستوى النطق. ولقد كان الهدف من ذلك صيانة القرآن عن التحريف، مع استنباط معانٍ من كل قراءة لا توجد في القراءات الأخرى(2).

اشتهر في علم القراءات عدد من البطائحيين؛ منهم: القاضي أبو الحسن علي بن أحمد بن الغريب الجامدي، الذي أقرأ بالجامدة، فارتحل إليه ليستزيد من علمه الفرج بن عمر بن الحسن ابن أحمد بن عبد الكريم بن دندان، أبو الفتح الواسطي المقرئ الضرير المفسِّر، وأقرأ عليه القرآن بالجامدة بقراءة عاصم رواية أبي بكر، وذلك سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م(3).

أيضًا هناك حُذَيْفَة بن يحيى، أبو بَكْر البطائحيّ المقرئ، الذي كانت ولادته في سنة٤٩٠هـ/١٠٩٦م، وهو شيخ صالح سديد من أهل القرآن، عاش إحدى وستين سنة، وتوفي سنة ٥٥١هـ/١١٥٧م(4).

كما أن هناك طائفة من المقرئين الذين عاشوا بالبطائح ولم ينتسبوا إليها، وقد كان لهؤلاء –بلا شك– تأثيرهم في علم القراءات داخل البطائح. من هؤلاء محمد بن القاسم بن يحيى بن عبد الله بن نزار، أبو القاسم التكريتي(5)، أقرأ بالجامدة فارتحل إليه الطلاب من أجل العلم، مثل أبي علي غلام الهرّاس(6).

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري، جـ١، الرياض (دار عالم الكتب)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص٤٦-٤٧.

(٢) عبد العزيز أحمد إسماعيل: أحكام القراءات لأئمة السبعة، الرياض، ١٩٩٦م، ص٣ .

(٣) الخطيب البغدادي: المصدر السابق، مج١٤، ص٣٨٣؛ الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مج١، ص٧٨٦.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، مج١٢، ص٢٨؛ كما ذكره السمعاني بقوله: "سمع معي وبقراءتي الكثير من أبي بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري، وكان سمع قبلنا من أبي طالب الحسين بن محمد بن علي الزيني وأبي الخير المبارك بن الحسين الغسال وغيرهما، سمعت منه أحاديث يسيرة ببغداد ". (الأنساب، جـ١، ص٣٦٦).

(٥) التكريتي: هذه النسبة إلى تكريت، وهي بلدة كبيرة لها قلعة حصينة على دجلة فوق بغداد بنحو ثلاثين فرسخا، وسميت تكريت بتكريت بنت وائل أخت بكر بن وائل والقلعة التي لها بناها سابور بن أزدشير بن بابك. (السمعاني: الأنساب، جـ١، ص٤٧٣).

(٦) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج برجشتراسر، جـ٢، ط١، بيروت (دار الكتب العلمية)، ٢٠٠٦م، ص٢٠٤.

وكذلك ابن أخيه محمد بن نزار بن القاسم بن يحيى بن عبد الله بن نزار، أبو بكر التكريتي، وهو ابن أخي محمد بن القاسم المتقدم. تصدّى لتعليم القرآن، وذاع صيته بين الناس، واشتهر بالثقة وجودة القراءة، فأصبح مقرئ الجامدة، وأقبل عليه الطلاب يأخذون عنه(١).

ومن القراء البطائحيين من نشأ بالبطائح وعاش بها مدة ثم رحل في طلب العلم، وقد نال هؤلاء القرَّاء منزلة علمية وشهرة واسعة؛ فشد الرحال إليهم عدد من طلبة العلم للقراءة عليهم والحصول على إجازاتهم العلمية. من هؤلاء أبو الحسن علي بن عساكر البطائحي، المعروف بالبطائحي الضرير مقرئ العراق، ولد بقرية المحمدية بالبطائح(٢)، قدم بغداد وقرأ بالروايات الكثيرة المشهورة والشّاذّة. وكان بارعًا في القراءات، ثقة صحيح السّماع؛ لذلك فقد أصبح مقرئ بغداد، واستمر في هذا الصدد مدّة طويلة، كما أنه أفاد الناس حيث أسهم في علم القراءات ووضع مصنفًا فيه(٣). وكانت له جماعة بجامع القصر(٤). كما أنه خلف مقدار أربعمائة دينار، بالإضافة إلى دار في دار الخلافة(٥). وكانت وفاته ببغداد سنة ٥٧٢هـ/١١٧٧م(٦).

ب- علم الحديث:

إن علم الحديث لب العلوم الإسلامية؛ فعلم الحديث من العلوم الشرعية، وهو من أصول الفروض(٧)؛ لذلك عني المسلمون بالحديث النبوي عناية عظيمة بما وضعوا من قوانين للرواية هي أصح وأدق طريق علمي في نقل الروايات واختبارها، وكان من أهم هذه القوانين البحث في إسناد الحديث، وفحص أحوال الرواة، وتمكنوا من تقسيم الأحاديث بحسب متونها من جهة،

- غلام الهراس: الْحَسَن بْن القاسم بْن عليّ الواسطي المقرئ، أبو علي، إمام الحرمين، كان أحد من عني بالقراءات، وصنّف فيها، ومن البلاد التي رحل إليها من أجل العلم الجامدة، ورحل القرَّاء إليه من الآفاق، ولد سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م، ومات سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م بواسط عن ٩٤سنة. (الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، جـ٢، بيروت (دار الكتب العلمية)، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٣٢٤).

(١) ابن الجزري: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٣٦ .

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، جـ٤، ص١٨١٩.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٢٠، ص٥٤٨- ٥٤٩.

(٤) ابن القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جـ٢، ط١، القاهرة (دار الفكر العربي)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٢٩٨.

(٥) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ٤، ص١٨٢٠.

(٦) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٨، ص٢٣٣. وقد ذكر ابن الأثير وفاته سنة ٥٧١هـ (الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص٧٩).

(٧) ابن الأثير أبو السعادات: جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، جـ١، (مكتبة الحلواني)، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص٣٩.

وبحسب أسانيدها من جهة أخرى، واستنبطوا مصطلحات مخصوصة بهم عرفوا بها، ودققوا في الالتزام بها؛ فأصبحت علمًا قائمًا بذاته، قال السمعاني: "اعلم وفقك الله أن علم الحديث أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى، إذ الأحكام مبنية عليها ومستنبطة منها"(١). وهذه المقولة توضح مكانة الحديث النبوي الشريف وأهميته؛ ومن هذا المنطلق فقد حرص المسلمون على العناية بالحديث النبوي منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم.

وممن أنجبت البطائح من المحدِّثين أبو الحسن البطيحي، وهو محمد بن عبد الكريم بن علي بن بشر، من أهل البطيحة، حدث بواسط، وروى عنه جماعة من الثقات، كما أنه عاد إلى البطيحة حيث توفى بها سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م(٢).

وأيضًا هناك يحيى بن هبة الله بن فضل الله بن محمد، أبو الحسن بن النخاس الغرافي. حدث عن أبي علي الفارقي، وآخرين، وتوفي سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م(٣).

بالإضافة إلى محمد بن أحمد بن سلطان، أبي الفضل الغرافي. حدث عن أبي علي الحسن ابن إبراهيم الفارقي. وتوفي سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م(٤).

أيضًا أبو بكر أحمد بن صدقة بن علي الغرافي المقرئ الخياط. وعلى نحو ما سبق ذكره فقد سمع من أبي عبد الله محمد بن علي الجلابي مسند الخلفاء الراشدين من مسند أحمد بن سنان القطان، وحدث بواسط وببغداد، وقد روى عنه جماعه، وتوفى بواسط سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م(٥).

---

(١) السمعاني: أدب الأملاء والاستملاء، بيروت (دار الكتب العلمية)، ص٣.
(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٣، ص٢٣٢. في حين ذكر ابن الأثير أن عبد الكريم بن بشر البطائحي، توفى بواسط عام ٤٩٠هـ. (اللباب في تهذيب الأنساب، جـ١، بغداد (مكتبة المثنى)، ص١٥٩- ١٦٠).
(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، مج ١٢، ص٨٤٨.
(٤) نفس المصدر، مج١٢، ص٨٣٩.
(٥) ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، جـ٦، ط٢، القاهرة (دار الكتاب الإسلامي)، ١٩٩٣م، ص ٤١٨؛ الذهبي: المصدر السابق، مج١٣، ص٣٩٣.

وكذلك محمد بن علي بن الحُسين، أبو يَعلى الواسطي الجامدي، المعروف بابن القارئ. حدث بواسط بالإجازة، ومات في جمادَى الأولى سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م[١].

أيضًا أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الله بن قاذويه البزّاز، ويعرف بابن العجمي، وقد نسب إلى الصليق؛ حيث ورد أن مولده سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م بالصّليق. كما أنه ارتحل إلى بغداد وأقام بها، وسمع أبا جعفر محمد بن أحمد بن مسلمة المعدل، وأبا الحسين أحمد بن محمد بن البقور وغيرهما، ومات بواسط في سنة ٥١١هـ/١١١٧م[٢]. وقد قيل إنه حدث بكثير، كما أملى بجامع واسط وسأل السلفي خميسًا عنه فوثقه وأثنى على فهمه[٣].

جـ- علم الفقه:

هو العلم الذي يتناول القرآن والحديث؛ بقصد الفهم واستخراج الأحكام لما يعِن للمسلمين من مشاكل دينية مثل العبادات، أو دنيوية مثل المعاملات؛ وهو بذلك يرادف التشريع، ومن يقم به يعرف بالفقيه ويجمع على فقهاء. كذلك يسمى بعلم الفروع؛ لأن علماء الدين في الإسلام جروا على تشبيه التشريع بشجرة لها أصول وفروع[٤]. وفي هذا يقول ابن خلدون: "الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والندب والكراهة والإباحة، وهى متلقاة من الكتاب والسنة وما نصه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"[٥].

ومن فقهاء البطائح الذين تولوا القضاء فيها، القاضي العدل أبو القاسم، عمر بن الحسن ابن أحمد بن الباسيسي الملقب بجمال الإسلام، "وهو من أهل الغَراف، شيخ فاضل متميز، عاقل متعزز"[٦]، وقد كان من الشهود المُعَدَّلين، وتوفى سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧م[٧].

---

(١) الذهبي: المصدر السابق، مج١٣، ص٥٥٩- ٥٦٠.
(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان (مادة الصليق)، جـ٣، ص٤٨٠.
(٣) الدبيثي: المختصر المحتاج اليه من تأريخ الحافظ أبي عبد الله الدبيثي، تحقيق مصطفى جواد، بغداد (مطبعة المعارف)، ١٣٧١هـ/١٩٥١م، ج١، ص٢-٣.
(٤) عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص١٨١.
(٥) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ١، ص٥٦٣.
(٦) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج١، ص٥٨٥.
(٧) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٢٢، ص٢٧٧.

كذلك القاضي أبو المعالي، هبة الله بن فضل الله بن محمد بن النخاس الغرافي، وكان قاضيًا بالغراف(١)، كان مولده ومولد أبيه بالغراف، ثم سكن واسطًا، وقد كانت له معرفة بالأدب؛ حيث سمع عام ٥١١هـ/١١١٧م من الحريري كتاب المقامات، وحدث بها عنه. وتوفي في محرم من سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧م(٢).

وهناك أبو الحسين بن الرؤاسي، وهو محمد بن علي بن الحسن الفقيه الشافعي الإمام، ولى القضاء على البطائح والأعمال السفلى من واسط، وكان يملي العلم على تلامذته بعد٤٤٠هـ/١٠٤٩م، ومات في أعماله التي كان يتولاها، وكتُبه هناك معه فتفرقت وضاعت(٣).

ولئن تعددت المذاهب الفقهية بالبطائح، فقد كان أغلب فقائها على المذهب الشافعي(٤)؛ ومن هؤلاء، القاضي أبو العباس المعروف بابن المندائي، أحمد بن بختيار بن علي بن محمد بن جعفر ابن إبراهيم، وهو من البطائح، نشأ بها، ومولده سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٤م، وكان صدوقًا ثقة، تفقه بواسط على المذهب الشافعي، ثم ولي قضاء الكوفة(٥)، وصنف كتبًا في الحديث والفقه وغيرهما؛ منها كتاب القضاة(٦)، وتوفي سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م. كما كان له معرفة تامة بالأدب والنحو واللغة(٧).

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، مج١٢، ص٨٤٨.

(٢) ابن نقطة: تكملة الإكمال، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، جـ٤، ط١، مكة (مركز إحياء التراث الإسلامي)، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٤١٥.

(٣) خميس الحوزي: سؤالات الحافظ السلفي، تحقيق مطاع الطرابيشي، دمشق (مجمع اللغة العربية)، ١٩٧٦م، ص٧٦.

(٤) المذهب الشافعي: هو أحد مذاهب أهل السنة والجماعة، أسسه الإمام محمد بن إدريس الشافعي، المولود سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م، والمتوفى سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م، ويعتمد هذا المذهب على الكتاب والسنة والإجماع، فقول الصحابي ثم القياس، وللإمام الشافعي كتاب في الفقه وهو "الأم" وكتاب آخر في الأصول وهو "الرسالة"، ويعد به الشافعي أول من دون في علم الأصول. (ياقوت الحموي: معجم الأدباء، جـ٦، ٢٣٩٣، وما بعدها). ومن المرجح أن سبب كون الغالبية من فقهاء البطائح من أتباع المذهب الشافعي هو أن البويهيين عندما حكموا العراق تبنوا سياسة قائمة على تأييد المذهب الشيعي؛ وذلك من أجل الحصول على تأييد أصحاب هذا المذهب لكي يستعينوا بهم على تحقيق هدفهم؛ فأدى ذلك إلى انتشار التشيع بالعراق. وقد ساعدت سياستهم المذهبية هذه على تنشيط الحركة الإسماعيلية، فلما جاء السلاجقة السنيون إلى الحكم بالعراق، أدركوا خطر ذلك على مستقبل دولتهم؛ فجعلوا سياستهم قائمة على نشر المذهب الشافعي ومقاومة الدعوات المخالفة بوسائل متعددة، فأسس وزيرهم نظام الملك (وكان شافعي المذهب) مدارس مخصوصة بالفقهاء الشافعية في مدن العراق والمشرق وكان من شروط القبول في هذه المدارس أن يكون الطالب شافعيا أصلا وفرعا؛ فازدهر هذا المذهب في العراق والشام. (عبد القادر سلمان المعاضيدي: المرجع السابق، ص٢٦٥-٢٦٦).

(٥) ذكر السبكي أنه ولي قضاء واسط مدة. (طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، جـ٦، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية)، ص١٤).

(٦) الصفدي: المصدر السابق، جـ٦، ص١٦٣.

(٧) ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ١، ص٢٠٢.

كذلك أبو الحسن البطائحى، علي بن جابر بن زهير بن علي، الذي ولد عام ٥٢٩هـ/١١٣٥م بقرية تعرف بساقية سليمان بالبطائح، كان علي هذا وأبوه قبله قاضيين بها. قدم بغداد وأقام هناك؛ للتفقه على مذهب الشافعي، ثم رحل إلى رحبة مالك بن طوق[١]، وأقام بها مشتغلًا بالفقه والأدب، ثم عاد إلى البطائح بعدما حصَّل جانبًا من الفقه والأدب. وتولى القضاء بها وبالغراف وأعمالها، وكان فاضلًا، وتوفي منحدرًا من بغداد إلى واسط سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م[٢].

وهناك عيسى بن يوسف بن أحمد الغرافي، المعروف بالتقي الأعمى الدمشقي الشافعي الفقيه الذي اشتهر خارج البطائح؛ حيث كان مدرسًا بالأمينية[٣]، وكان فقيهاً، خبيرًا بالمذهب الشافعي، مفتياً، نبيلاً، ابتلي بأخذ ماله، واتهم به شخصًا يقرأ عليه ويقوده، فحط عليه الناس، فشنق نفسه سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٦م[٤].

كما وجد بالبطائح من كان على المذهب الحنفي؛ مثل أحمد بن علي أبي الحسن البتي، الذي كان يكتب للقادر عند إقامته بالبطائح سنة٣٨١هـ/٩٩١م، وعلى نحو ما ورد سابقًا، فقد كان البتي حافظًا للقرآن ومحدثًا[٥]، وكان يذهب مذهب المعتزلة، في الأصول، ويميل إلى فقه أبي حنيفة في الفروع، ومات سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م. وله تصانيف منها: كتاب القادري، وكتاب العميدي، كتاب الفخري[٦].

وهناك من الفقهاء القضاة من اتصل بحكام البطائح، وإن لم يكونوا منها أو يستقروا فيها. وكان بعضهم على المذهب الحنبلي؛ ومن هؤلاء محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد ابن خلف بن أحمد بن الفراء (القاضي أبو يعلى الصغير)، الملقب بعماد الدين ابن القاضي أبي

(١) الرحبة: هي رحبة مالك بن طوق، وتعرف برحبة الشام، وهي من المدن الشهيرة وتقع على نهر الفرات (ابن جبير: رحلة ابن جبير، بيروت (دار صادر)، ص٢٢٣)، بينها وبين دمشق ثمانية أيام، ومن حلب خمسة أيام، وإلى بغداد مائة فرسخ، وإلى الرقة نيف وعشرون فرسخا، وهي بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات أسفل من قرقيسيا. (ياقوت الحموي: معجم البلدان (مادة الرحبة)، جـ٣، ص٣٨).

(٢) الدبيثي: ذيل تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف، مج٤، ط١، بيروت (دار الغرب الإسلامي)، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٤٢٠-٤٢١.

(٣) الأمينية: مدرسة منسوبة إلى أمين الدولة كمشتكين بن عبدالله، توفي سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م. (بشار عواد معروف: حاشية تاريخ الإسلام للذهبي، مج١٣، ص٥٥).

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ، مج١٣، ص٥٥.

(٥) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٧، ص١٥١- ١٥٢ .

(٦) نفس المصدر، جـ١، ص٣٧٣، ٣٧٤.

خازم ابن القاضي الكبير أبي يعلى، ولد سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م. وهو شيخ المذهب الحنبلي في وقته. وبرع في المذهب والخلاف والمناظرة، وأفتى ودرس وناظر. وكان ذا ذكاء مفرط، وذهن ثاقب، وفصاحة وحسن عبارة. كان تلامذته يقرءون عليه المذهب، وقيل إنه لم ير مثله في حسن عبارته، وعذوبة محاورته، وحسن سمته، مع لطافة طبع، ولين معاشرة، ولطف تفهيم، ولقد جد واجتهد حتى صار أنظر أهل زمانه، وأوحد أقرانه، وكان ذا خاطر عاطر، وفطنة ناشئة، أعرف الناس باختلاف أقوال الفقهاء. ظهر علمه في الآفاق، وكان من تلاميذه من ناظر ودرس وأفتى في حياته. ولي قضاء واسط سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م، وبقي مدة بها حاكمًا، ثم عزله قاضي القضاة أَبُو الحسن بن الدامغاني، وذكر عنه: أنه لم يلتفت إلى عزله واستمر على الحكم، ثم خاف عاقبة ذلك، فتشفع بصاحب البطيحة (ابن أبي الجبر) إلى الخليفة، ثم قدم بغداد بعد إحدى عشرة سنة، وتوفى سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م(١).

د- التصوف:

يعد التصوف نزعة من النزعات، وليس فرقة من الفرق، التي لها آراء مستقرة ثابتة الأهداف والتعليمات؛ حيث يمكن أن يكون المرء سنيًا صوفيًّا أو شيعيًّا صوفيًّا(٢).

ومن أهم صوفية البطائح زمن الدراسة: أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة، أبو العباس الرفاعي المغربي البطائحي. قدم أبوه أبو الحسن من المغرب، وسكن البطائح بقرية أم عبيدة، وتزوج بأخت منصور الزاهد، ورزق منها الشيخ أحمد وإخوته، وكان أبو الحسن مقرئًا، يؤم بالشيخ منصور، فتوفي وابنه أحمد ما زال في بطن أمه، فرباه خاله(٣).

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق، جـ٢، ص٩٥- ١٠٠.

(٢) مريزن سعيد مريزن عسيري: المرجع السابق، ص١٣٧. والتصوف زهد في متاع الدنيا وعكوف على العبادة؛ ومن هنا يرجح اشتقاق كلمة تصوف من لبس الصوف الخشن المتسق مع الزهد. كما ظهرت لكل جماعة متصوفة طريقتها -جمعها طرق- في إيجاد الهيام الصوفي؛ منها طائفة تقوم بإنشاد الإدوار والأحزاب وهي أدعية دينية، تتخلل أغلبها عبارات ذكر الجلالة، مثل يا لطيف أو الله. (عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص١٩٠-١٩٢). وهناك من لهم أفعال عجيبة، حيث كان لأتباع الطريقة الرفاعية أفعال عجيبة؛ مثل أكل الحيات وهي حية، والنزول إلى التنانير وهي تتضرم بالنار فيطفئونها، وقيل إنهم كانوا يركبون الأسود وأشباه ذلك. (ابن خلكان: المصدر السابق، مج١، ص١٧١).

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص٧٧؛ السبكي: المصدر السابق، جـ٦، ص٢٣.

وكان أحمد رجلًا صالحًا تفقه على مذهب الشافعي، وقرأ العديد من كتب الفقه(١)، حتى أصبح عالمًا فقهيًا مفتيًا، أثنى عليه ووصفه الذهبي بقوله: "العابد، الزاهد، شيخ العارفين"(٢).كما ذكره ابن الأثير بقوله: "كان صالحًا ذا قبول عظيم عند الناس، وله من التلاميذ ما لا يحصى"(٣)، أما الصفدي فوصفه بقوله: إنه "الزاهد الكبير، سلطان العارفين في زمانه"(٤).

انضم إليه خلق من الفقراء، وأحسنوا فيه الاعتقاد، ويقال لهم الأحمدية أو الرفاعية نسبة إليه أو يقال لهم البطائحية نسبة إلى البطائح. ولم يكن للشيخ أحمد عقب، إنما العقب لأخيه وأولاده يتوارثون المشيخة والولاية على تلك الناحية. وقد توفي بأم عبيدة سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م، وهو في عشر السبعين، وكان له ولأتباعه أوقات معلومة يجتمع عندهم من الفقراء عالم لا يحصون، ويقومون بكفاية الجميع(٥).

وقيل عنه، كان لا يقوم لأحد من الرؤساء، ويقول: "النظر إلى وجوههم يقسي القلب". وكان كثير الاستغفار، عالي المقدار، رقيق القلب، غزير الإخلاص(٦).

من آرائه الفقهية والتربوية أنه قال: "سلكت كل الطرق الموصلة، فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الافتقار، والذل، والانكسار. فقيل له: يا سيدي، فكيف يكون؟ قال: تعظم أمر الله، وتشفق على خلق الله، وتقتدي بسنة سيدك رسول الله –صلى الله عليه وسلم–". كما أنه "إذا قدم من سفر شمر، وجمع الحطب، ثم يحمله إلى بيوت الأرامل والمساكين، فكان الفقراء يوافقونه ويحتطبون معه". وكان يملأ الماء للأرامل ويؤثرهن. وذكر أيضًا أنه عندما مر على دار الطعام، فرأى الكلاب يأكلون التمر من القوصرة، وهم يتحارشون، فوقف على الباب لئلا يدخل إليهم أحد يؤذيهم، وهو يقول: إي مباركين اصطلحوا وكلوا، ولا يدروا بكم يمنعوكم(٧).

وللشيخ أبي العباس الرفاعي شعر، رغم ما كان عليه من الاشتغال بالعبادة والزهد والوعظ والإرشاد، منه على ما قيل:

---

(١) السبكي: المصدر السابق، جـ٦، ص٢٤.
(٢) سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص٧٧.
(٣) الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص١١٨.
(٤) الوافي بالوفيات، جـ٧، ص١٤٣.
(٥) ابن خلكان: المصدر السابق، مج١، ص١٧١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، مج١٢، ص٦١٠.
(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ١٢، ص٦٠٧.
(٧) الذهبي: تاريخ الإسلام، مج١٢، ص٦٠٦.

إذا جن ليلي هام قلبي بذكركم	أنوح كما ناح الحمام المطوق.
وفوقي سحاب يمطر الهم والأسى	وتحتي بحار بالأسى تتدفق.
سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها	تفك الأسارى دونه وهو موثق؟
فلا هو مقتول ففي القتل راحة	ولا هو ممنون عليه فيطلق[(١)].

ومن أصحاب الطرق أيضًا منصور البطائحي، وهو خال أبي العباس أحمد الرفاعي الذي تعلم منه كثيرًا. وقد ورد أن منصور البطائحي هذا "ينتمي إليه جماعة كثيرة من ذوي الأحوال وأرباب المقامات"، ومن أقوله: "لك ثلاث خصال من صفات الأولياء: الثقة بالله تعالى في كل شيء، والفناء بالاستناد إليه عن كل شيء، والرجوع إليه في كل حال". وأيضًا: "إذا أحب الله عبدًا أعاذه من الغفلة والمنام". وقيل إنه سكن نهر دقلى من أرض البطائح حتى مات بها وقبره مزار، "ولما حضرته الوفاة قالت له زوجته أوصِ لولدك، فقال بل لابن أختي أحمد فكررت عليه القول، فقال لابنه ولابن أخته ائتياني بنخيل من أرض كذا فأتاه ابنه بنخيل كثير ولم يأته ابن أخته بشيء، فقال له يا أحمد لِمَ لَم تأتِ بنخيل؟ فقال وجدته كله يسبح الله عز وجل فلم أستطع أن أقلع منه شيئا فسكتت زوجته"[(٢)].

كذلك هناك أبو بكر بن هوار البطائحي، كان أيضًا من أصحاب الطرق. ولقد كان في بادئ الأمر من قطاع الطريق، ولكن تاب الله عليه. وورد أنه أول من ألبسه أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخرقة ثوبًا وطاقية في النوم، فاستيقظ فوجدهما عليه، كما أثنى المشايخ من أهل عصره على جلالته وعلو مقامه. ومن أقواله: "التصوف ذكر باجتماع ووجد باستماع وتحمل باتباع"[(٣)].

ومنهم أيضًا عزاز بن مستودع البطائحي، قيل إنه انتهت إليه رياسة الطريق في البطائح، وأخذ عنه جماعة من الصلحاء والعلماء الطريق، وأجمع المشايخ على تعظيمه. ومن أقوله: "الغفلة غفلتان غفلة رحمة وغفلة نقمة، فأما التي هي رحمة فكشف الغطاء ليشاهد القوم العظمة والجلال فيذهلوا عن العبودية إلا الفرائض والسنن ويغفلوا عن مراعاة السر إلا مراقبة واردات

---

(١) ابن خلكان: المصدر السابق، مج١، ص١٧٢. في حين أن الذهبي ذكر أن هذه الأبيات للشيخ عبد الغني بن نقطة. (تاريخ الإسلام، مج١٢، ص٦٠٩).
(٢) عبد الوهاب الشعراني: المصدر السابق، جـ١، ص١٧٨- ١٧٩.
(٣) نفس المصدر، جـ١، ص١٧٦- ١٧٧.

الهيبة، وأما التي هي نقمة فاشتغال العبد عن طاعة الله عز وجل بمعصيته والتفاته إلى الكرامات وغفلته عن طريق الاستقامة"[1].

وكذلك أيضًا تاج العارفين أبو الوفاء، حيث ذكر الشعراني: "ومنهم الشيخ تاج العارفين أبو الوفاء رضى الله تعالى عنه ورحمه. كان من أعيان مشايخ العراق في وقته له الكرامات الخارقة، وقد انتهت إليه رياسة هذا الشأن في زمانه، وتتلمذ له خلق لا يحصون من العلماء والصلحاء، وكان له أربعون خادمًا من أرباب الأحوال. ولما أخذ عليه شيخه الشنبكي[2] العهد قال قد وقع اليوم في شبكتي طائر لم يقع مثله في شبكة شيخ وكانت مشايخ البطائح يقولون عجبًا لمن يذكر أبا الوفاء ولم يمر يده على وجهه ويسمي الله"، وهو أول من سمي بتاج العارفين. ومن أقواله: "التسليم إرسال النفس في ميادين الأحكام وترك الشفقة عليها من الطوارق"[3].

<u>٢ – العلوم اللسانية:</u>

<u>أ– النحو:</u>

أنجبت البطائح نحاة ولغويين، غير أننا لم نجد في المصادر ما يشير إلى وجود من اشتغل بالنحو وحده؛ الأمر الذي كان شائعًا في العالم الإسلامي آنذاك.

ومن هؤلاء أبو الحسن علي بن عساكر البطائحي، المعروف بالبطائحي المقرئ النحوي الضرير[4]، الذي كان عالمًا بالعربية[5] ونحويًّا جيدًا، ارتحل إلى بغداد ، وجمع بين تدريس النحو وعلوم القرآن؛ حيث ذكر القفطي: "أفاد الناس في علوم القرآن والنحو"[6].

أيضًا من أبرز النحاة البطائحيين، محمد بن محمد بن عيسى، أبو الحسن الخَيْشيّ النَّحْويّ، ذكر الذهبي أنه من أهل البطيحة. وقد برع في النحو، حتى قيل عنه إنه من أئمة النحاة

---

(١) عبد الوهاب الشعراني: المصدر السابق، جـ١، ص١٧٨.
(٢) الشنبكي: هو أبو محمد الشنبكي، انتهت اليه رياسة هذا الشأن في وقته وبه تخرج السالكون والصادقون مثل الشيخ أبي الوفاء والشيخ منصور البطائحي وغيرهما. وكان في بدايته يقطع الطريق على القوافل فتاب على يد أبي بكر بن هوار البطائحي. (عبد الوهاب الشعراني: المصدر السابق، جـ١، ص١٧٧).
(٣) نفس المصدر، جـ١، ص١٧٩- ١٨٠.
(٤) سبق ذكره بالتفصيل في علم القراءات.
(٥) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، مج٦، ص٤٠١.
(٦) إنباه الرواة على أنباه النحاة، جـ٢، ص٢٩٨.

المشهورين بالفضل والنبل. وعلى ما يبدو فقد كان يعنى بالحديث أيضًا؛ حيث "نزل واسطًا مدة، وروى بها كثيرا، وببغداد. مات ببغداد سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٧م، عن عمر ٩١ سنة[١].

ب- الشعر:

برز عدد من البطائحيين في قرض الشعر؛ أمثال: هبة الله بن عيسى[٢]، وأيضًا الصارم مرجى بن بتاه البطائحي خال مهذب الدولة الثاني، وهو من فحول الشعراء، وأعيان الفضلاء[٣]. وهناك أيضًا الأمير مُضَر بن أبي الفتوح بن أبي الجبر، الذي سبق ذكره؛ حيث ورد أن له شعرًا[٤]. كذلك أبو القاسم عمر بن الحسن بن أحمد بن الباسيسي، جمال الإسلام، فقد كان من أهل الغَراف، وكان شيخًا فاضلًا متميزًا عاقلًا متعززًا، وكان المظفر بن حماد يثق به ويعتمد عليه في أشغاله؛ إذ رآه ثقة وعدلاً حوى أدباً وفضلاً[٥]. وغيرهم من شعراء البطائح.

أما عن أغراض الشعر لدى شعراء البطائح من الوصف والمديح والزهد والشكوى والرثاء والهجاء والفخر[٦]، فسنوضح دور طبيعة أرض البطائح والحياة السياسية بها في شيوع بعض تلك الأغراض هناك.

فمن شعر الوصف: القصيدة التي كتبها الأمير أحمد بن أبي الفتوح المختار بن محمد بن أبي الجبر الملقب بنجم الدولة (ابن أخي مهذب الدولة الثاني[٧])، إلى الشيخ أبي محمد القاسم ابن علي الحريري صاحب المقامات بالبصرة، والقصيدة التي كتبها الحريري جوابًا عنها[٨]. وهناك شعر الأمير أحمد نفسه؛ إذ يصف السفينة (لما لها من تأثير في الحياة بالبطائح) بقوله:

يـا أيُّـها الرّائـحُ، تَنْـحُو بـه   هَوْجاءُ، تنقضُّ انـقضاضَ العُقابْ.
لـم يَرْأَمِ الفحلُ أمَّـها فـي الفَـلا   ولا عِراضـاً لَقِـحَتْ فـي الضِّرابْ.

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، مج ٩، ص٥٧٧- ٥٧٨.
(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٥، ص١١٠.
(٣) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٣٢.
(٤) نفس المصدر، جـ٤، مج٢، ص٥٨٤.
(٥) نفس المصدر، جـ٤، مج٢، ص٥٨٥.
(٦) عبد القادر سلمان المعاضيدي: المرجع السابق، ص٢٨٢.
(٧) الصفدي: الشعور بالعور، تحقيق عبد الرزاق حسين، ط١، عمان (دار عمار)، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص١١٢.
(٨) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٦١.

ولا رعـــت حَـمْضـاً ولا خُـلَّـةً ... يوماً، ولـم تَجْتَرَّ بُهـمْى العَـدابْ.
ولا اعتــقَى الحـالبُ أَغبْـــارَها ... ولا رَأتْ سَقْبـــاً لـها فـي السِّقـابْ.
لا تشتكي الأَيْنَ، إذا ما اشتـكت ... من الوَجَـى الوَجْنـاءُ ذاتُ الهِبابْ.
دَهمـــاء، لم تَلْمِسْ لها أَشْطُراً ... كلبيّـةً، قد عصَّبَـتْها اعتـــصابْ.
تـنـــسابُ، والتَّيّـارُ ذو حَـوْمَةٍ، ... مثـلَ الحُبابِ الصِّلّ، فوقَ الحَـباب.
طالــت على العَـوْدِ بــأعوادها ... والنّـــابِ، لكنْ ما لَـها قَطُّ نــابْ[^1].

وللأمير أحمد بن أبي الفتوح بن أبي الجبر شعر آخر يصف فيه الأقلام الواسطية التي أهداها إلى القاضي أبي القاسم عمر بن الباسيسي، يقول:

قــد بعَثننا بــها رِشاقـاً دِقـاقـاً ... كالقَنـــا في لُدونـــة واستـواءِ.
قُطِعتْ عنـــدَما طلوعِ "سُهَيْـــلٍ" ... إذْ وجَدنـــــا طِيباً لحُلو الهواءِ.
لم تُـــغادَرْ حتَــى تَجِـفَّ، ولكنْ ... قطَعُوها: فيــها بَــــــقِيَّةُ مـاءِ.
من قِصار ومن طِوال، تُـضاهِي ... فـــي تمامٍ أَصابــــعَ العَذْراءِ.
تـركتْ بـــعضَها كمـا خَلقَ الل ... ـــــــهُ وبعضاً عَلَّتْـهُ بالحِنّاءِ.
فابْرِها، ثُمَّتَ اسْقِها النِّفسَ، واكتُبْ ... بسَوادٍ منــــــــه على بيضاءِ[^2].

وفي شعر الوصف واللغز قدَّم الشاعر عمر بن الحسن بن أحمد الباسيسي، (ت سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧م) وصفًا للرمح عن طريق اللغز، وهو بذلك يعكس تأثير البيئة في الشعر خلال تلك المرحلة؛ حيث قال:

يـا أخـا الفضلِ والبـلاغةِ والمُظْ ... ـهِر سِرَّ العلومِ بـعدَ احتـــجابِ.
أيُّ شـيءٍ نـشا من الخَطِّ، والعا ... مِلُ فيـــه مقصِّرٌ فـي الحساب؟
وَهْوَ في الكُتْب لا يزالُ، ولا تَـلْـ ... ـحَظُهُ مَعْ مُصَنِّــفٍ وكِتــابِ.
نازحٌ عن مَواطنِ الوحشِ، والثَّعْـ ... ـلَــبُ فيــه مجاورٌ للـعُقابِ.
وَأصَــمّ إذا مــدحـت، وهــذي ... صفةٌ، فاكشِفَنْه لـي عن صوابِ.
وبـيــانٌ أُرِيــدُهُ لـك، فيــــه ... عَسَلٌ غيــرُ نــافعٍ مستـطابِ.
وتَــراهُ مـع الملوك وفـي المَــوْ ... صِلِ يبــدو إليك من كلّ بـابِ[^3].

[^1]: (١) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٦٥- ٥٦٦.
[^2]: (٢) نفس المصدر، جـ٤، مج٢، ص٥٧٩.
[^3]: (٣) نفس المصدر، جـ٤، مج٢، ص٥٩٥.

كما أنشد ابن الباسيسي أيضاً لُغْزًا في الجرادة، وهو:

وطــــائـــــرةٍ مـــــن الشَّـــــــجَـــرِ تُــرَى في البَـدْوِ والحَـضَــرِ.
لـهــــا ذَكَـــرٌ، وتـفــضُــــلُــه وليــــس البِنــــتُ كـــالذَّكَر.
إذا مـــــا رِجـــلُـها انقطــعـــــت أتـــــت رِجلٌ عـــلى الأَثَــرِ.
وإنْ وَرَدَتْ إلـــــى بـلــــــــد فــما للـــتورِّدِ من صَــدَرِ[1].

وفي وصف الديك أنشد الشاعر الأديب أبو الحسن الكاتب البطيحي، محمد بن عبد الكريم ابن علي بن بشر الرئيس الذي كان من أهل البطيحة، وتوفي بها:

ومغـــــرد بفصـــاحـــة وبـــيـــــان شـوقاً إلــى القرنـــاء والإخوان.
متـــدرع ديبــاجة ممـــــزوجــــــة بـــغرايـب الأصبــاغ والألـوان.
متـشـمـر لـطـلـوعـه وهبــوطـتـه يــرتاح للتــصفيق بـالأردان[2].

ومن شعر المديح شعر للأمير مهذب الدولة الثاني، فهو من الأدباء الشعراء، وله ديوان شعر، وقد مدح الخليفة المستظهر بالله[3] بقصيدة أولها:

ياحبـــــذا رمــل الكثيـــب الراسي وظلال دوح يـفاعه الميّــاس.
وغياث وادي الروضــتــين ملــهى ظبـاء كنـائس وكناس.
مشـــتـى ومـــرتـــبـع لـــهندٍ والهوى عذب الموارد مسفر الإيناس[4].

كذلك للأمير أحمد بن أبي الفتوح قصائد في مدح المظفر بن حماد منها:

إذا أراد الإلـــــهُ خـيـــــــراً بـــمَعْشر، إذْ لـــه الخِيــــارُ.
وَلَّـــــى عليـــهم أَميــرَ صِدقٍ لـــه التُّقَـــى والنُّـــهَى شِعارُ.
مثلَ ابنِ حمّادَ ذي الأيــادي ومَنْ بـــه يُمْنَـعُ الّذِمـارُ.
ومَنْ إليـــتـه في كلّ خَـطْبٍ تُـخافُ أَحداثهُ، يُـشارُ.

---

(١)الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٩٥.
(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٣، ص٢٣٢.
(٣) الخليفة العباسي المستظهر: (٤٨٧ - ٥١٢ هـ/١٠٩٤ - ١١١٨م) أحمد بن المقتدي بأمر الله، أبو العباس، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه، واتسق له الأمر على حداثة سنه، وكان ممدوح السيرة. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص٣٩٦- ٣٩٩).
(٤) الصفدي: المصدر السابق، جـ٨، ص٢٧- ٢٨.

إنْ خَـــفَّ في النّـــائبـات قـــومٌ زيَّنَـــــه الحِـــلمُ والوَقـــارُ[١].

كما مدح الصارم مرجى بن بتاه البطائحي خال مهذب الدولة بن أبي الجبر الخليفة المستظهر بالله، بقوله:

أصبحت بالمستظهر بن المقتدي بـالله بـن القائـم بـــن القـــادر.
مستـــعصمًا أرجو نـــوافل جوده وبأن يكون على العشيرة ناصري.
فيــقر مــع كبــري قراري عنـــده ويـفوز من مدحي بشعر سائر[٢].

كما اشتهر الصارم مرجى بن بتاه البطائحي بالهجاء؛ حيث ذكره الأصبهاني بقوله: "لا يرى عن الهجاء البتة إحجامًا، فلسان الصارم صارم، مصاول مصادم، قريضه كالمقراض في قطع الأعراض بما له من الأغراض، وكلمه كلم، والحرب في نظره سلم، وثلبه ثلم. لا يثلب إلا كبيراً، ولا يثلم إلا سريراً. فكم أجرم مرجى، ومزح في هجو مرجى حين هجا، حتى هجا ولده وامرأته وخاله، وأجرى على هذا النمط عمره حاله"[٣].

وقد كان الهجاء في وقته سلوكًا أقرب إلى الحقيقة، وكان متكسبًا؛ لذا فقد كان أمراء البطائح وأعيانها يخشون هجاءه لهم بالإحسان إليه، وقد تناولت قصائده في الهجاء غير واحد من الأمراء والشخصيات؛ مثل هجائه للأمير نصر بن مهذب الدولة، وهجائه لأهل الحويزة، وهجائه للمظفر بن حماد الذي أمر بقتله، وقد هجا من اشترك في قتل سيف الدولة صدقة بن مزيد سنة٥٠١هـ/١١٠٧م[٤].

ومن شعر الحزن شعر قد سبق ذكره للأمير مُضَر بن أبي الفتوح بن أبي الجبر أخي الأمير أحمد بن أبي الفتوح. قال جمال الإسلام بن الباسيسي: إنه كان أصغر من الأمير أحمد، وله شعر أيضاً، وأنشدني له:

ما لي رِضيتُ الهُوَيْنَى، واقتنـــعتُ بها؟ كأنَّ سيــفيَ مسلولٌ بــغيرِ يـدي.

(١) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٧٩- ٥٨٠.
(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، مج١١، ص١٨٥.
(٣) خريدة القصر وجريدة العصر، جـ٤، مج٢، ص٥٣٢.
(٤) نفس المصدر، جـ٤، مج٢، ص٥٣٢- ٥٣٤.

أُعْطَــى القليــلَ، ولا آبــى تــقَبُّـــلَه   كالصَّقْرِ قَنَّعَه القَنّاصُ بالصُّرّدِ[١].

وهناك شعر الشكوى؛ من مثل شعر هبة الله بن عيسى، الذي كان مهذب الدولة الأول يفضله على الأدباء والعلماء، وجعله كاتبًا له ووزيرًا يقول:

اضنن بليلى وهى غير سخية   تبـــــخل ليلـــى بالهوى وأجــــود.
وأعذل في ليلى ولست بمنته   وأعلم أنى مخـــــطئ وأعـــود[٢].

ومن شعر الشكوى أيضًا شعر مهذب الدولة الثاني:

دهريَ بالحــادثات يرشُقُنـــــي   حتّــى كأنِّــي لنَبْــلهِ هَـــدَفُ.
ما أنعــــمَ الجـاهلَ الغبيِّ وما   أشقـــى رِجالاً بالفضل قد عُرِفُوا[٣].

وحين مات ابن للأمير أحمد بن أبي الفتوح، بكى عليه إلى أن ذهبت إحدى عينيه، ثم تلتها الأخرى؛ فقال يشكو الزمان:

كأنــما آلــى علـــى نــفســـه   أن لا يــــرى شمـلاً لاثـنيــــن.
لم يكفه أن نـــال من مهجتـــي   حتــى أصاب العيــــن بالعين[٤].

وقد مات هذا الولد بالحويزة، وكان اسمه أبا الحسين، فقال في رثائه:

لبِـس الجنود جديدهم في عـيدهم   ولبِـستُ حزن (أبي الحسين) جديدا.
ووَدِدْتُ لو حضَر المُصَلَّى فيــهِمُ   حيّـــاً، وكنــتُ المُسْبَـتَ المَلْـحُودا.
أيـسُرُّنــي عيـدٌ، ولم أرَّ وجـــهَهُ   فيــــه أَلا بُــعداً لــذلك عيــدا.
كيـفَ المَسرَّة لامْرِئٍ فقَدَ الــهـوى   وحـثــتـا عليـــه جَنادِلاً وصَعيـدا؟
أَفحيـنَ عادَ الليـثُ، بـــأساً يُتَّقَى   والبـــدرُ حُسنـــاً، والسَّحابــةُ جودا[٥].

(١) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ٥٨٤.
(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق، جـ١٥، ص١١٠.
(٣) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٢٨.
(٤) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٨، ص١١٣.
(٥) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٥٤.

ومن شعر الغزل ما أبدعه أبو الخطاب البطايحي محمد بن محمد بن أحمد المضري الشاعر، الذي كان من أهل البطائح، وقيل إنه "متقدم الزمان على بن الساعاتي"(١). ومن شعر أبو الخطاب:

يـــا قاتـلـي ظـلـما بـــلا زلـــــة	مـا كــــان أولاك بــأن ترحـــما.
جـعلـت خـــدي ظالما فـي الهـوى	للدمــع أرضاً وجفونـــــي سمـــا.
شربــــت مـن فيــك بـــلا رقبـة	كأســاً دهاقاً من سلاف اللمـــى.
ولســــــت أروى مــــن شـــراب	إذا شـربته زدت إليــه ظــما(٢).

وكذلك قوله:

يـا راقد العين عيني فيـــك ساهـرة	وفارغَ القلب قلبـي منـــك ملآنُ.
إنـــي أرى منك عَذْبَ الثغر عذبنـي	وأيقظَ الجَفْنَ جفنٌ منك وَسْنـانُ(٣).

وقد وُصف هذان البيتان بأنهما في الذروة من النظم، ومن العجب أنهما تنازعهما الشعراء، وأغاروا عليهما، ومن قصيدته المشهورة:

غـال من الهم في خلخاله حـــرج	فقلبـــه فـــارغ والقــلب مــــلآن.
يذكـــي الجــوى بـارد من ريقه شبم	ويـوقظ الطرف طرف منه وسنان(٤).

ومن شعر التفاخر، قصيدة لمهذب الدولة الثاني يتفاخر فيها بنسبه، أنشدها ووهبها لصدقة عندما كان نائبًا له في حكم واسط، وعجز عن دفع المال المقرر عليه فحبسه، ثم أطلقه، ولعله أطلق سراحه بسبب هذه الأبيات. على نحو ما سبق بيانه:

سَــــلْ بقومي في الجـــاهليّةِ والإس	لامِ يُخْبِرْك مجـــدُهم والعَـــــلاءُ.
مـــــن غِـفـــار وضَمْـرَة وفِـــــراس	زعـمـــــاءٌ أَشِـــدَّةٌ حُـلَمـــــاءُ(٥).

---

(١) ابن الساعاتي: لعله علي بن محمد بن رستم بن هردوز، بهاء الدين أبو الحسن، الشاعر، ولد بدمشق سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م، وتوفي سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٨م. (الصفدي: المصدر السابق، جـ٢٢، ص٥).
(٢) نفس المصدر، جـ١، ص١٣٣.
(٣) نفس المصدر، جـ١، ص١٣٣.
(٤) الصفدي: المصدر السابق، جـ١، ص١٣٣.
(٥) الأصبهاني: المصدر السابق، جـ٤، مج٢، ص٥٢٥.

٣- العلوم الإنسانية:

أ- علم التاريخ:

من أبرز مؤرخي البطائح زمن الدراسة: هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة، قال عنه ياقوت: "كان رجلا جمّ العلم دقيق الفهم، وكان يكتب الكتب الطوال في الفتوح وغيرها"(١). توفى سنة ٤٠٥هـ/١٠١٥م(٢) .

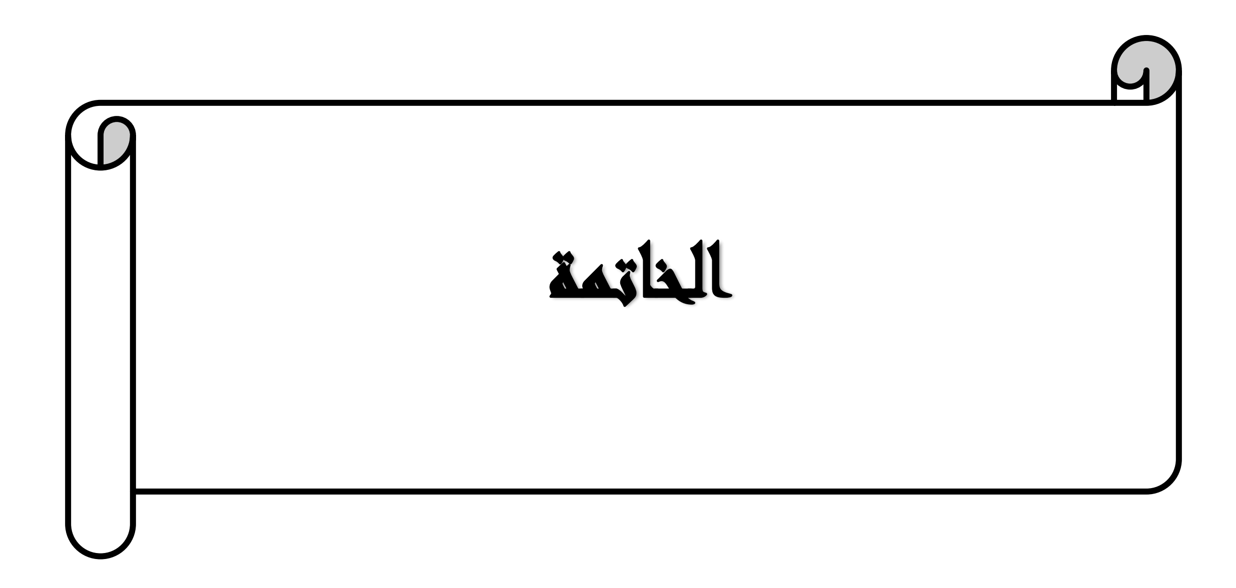
كما ذكر الذهبي أن مهذب الدولة الثاني كان إخباريًّا(٣). ويتضح لنا هنا أن مؤرخي البطائح السابق ذكرهم قد تقلدوا مناصب مهمة في البطائح، كما كانوا قريبين من الخلفاء العباسيين من جهة أخرى. بالرغم من ذلك لم تشر المصادر لدينا إلى أي من مؤلفاتهم في علم التاريخ.

وهناك أيضًا أبو العباس الواسطي المعروف بابن المندائي، أحمد بن بختيار بن علي بن محمد بن جعفر بن إبراهيم، وهو من البطائح؛ حيث نشأ بها، وكتب بخطه الكتب المطولة من الفقه والحديث والتاريخ، وكان يكتب خطًا حسنًا صحيحًا، وله اليد الباسطة في كتب السجلات والكتب الحكمية، وصنف كتبًا منها كتاب: "تاريخ البطائح". توفي سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م(٤).

ونستخلص -مما سبق- غياب الازدهار عن الحياة الثقافية بالبطائح زمني وجود البويهيين والسلاجقة بالعراق، وذلك مقارنة بالكوفة والبصرة وواسط آنذاك، وهي مدن قريبة من البطائح. ولا يمنع هذا من أن البطائح قد أنجبت عددًا من القراء والمحدِّثين والفقهاء والأدباء والنحويين، بجانب المؤرخين، وقد نال بعض هؤلاء منزلة علمية كبيرة وشهرة واسعة؛ فشد الرحال إليهم عدد من طلبة العلم؛ بغرض الدراسة والحصول على إجازاتهم العلمية. وقد تبيَّن لنا أيضًا أن البيئة العلمية بالبطائح لم تكن في عزلة عن البيئات العلمية في العالم الإسلامي آنذاك، فبالإضافة إلى الطلاب الذين وفدوا لتلقي العلم هناك، فقد غادر البطائح عدد من أبنائها إلى مختلف المراكز الثقافية في العالم الإسلامي طلبًا للعلم كذلك.

---

(١) معجم الأدباء، جـ٥، ص١٩٤٧.
(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٢٧، ١٨١.
(٣) تاريخ الإسلام، مج١١، ص١٣٠.
(٤) الصفدي: المصدر السابق، جـ٦، ص١٦٣.


الخاتمة

هذه الرسالة محاولة لدراسة التاريخ السياسي والحضاري لبطائح العراق خلال عصري البويهيين والسلاجقة (٣٣٤-٥٩٠هـ/٩٤٥-١١٩٤م). وقد تبيَّن لنا من دراسة الحياة السياسية بالبطائح أنها ظلت تشارك مشاركة فعالة في معظم الأحداث السياسية المهمة التي وقعت في العراق خلال عصري البويهيين والسلاجقة، وأن أمراء البطائح قد لعبوا دورًا بارزًا في تلك الأحداث، كما تمتعت البطائح بقدر من القوة السياسية والاستقلال الذاتي في ظل حكم طائفة من أمرائها زمني البويهيين والسلاجقة، وقد تنوعت علاقة هؤلاء الأمراء بالخلافة العباسية، وبحكام بني بويه وبالسلاجقة، ما بين العداء تارة والسلم تارة أخرى.

ونظرًا لأهمية البطائح الاستراتيجية، فقد اضطر البويهيون ثم السلاجقة إلى الاعتراف بأمراء البطائح بل والتعاون معهم؛ خوفًا من زيادة اتساع نفوذهم، وتعرضهم بالإيذاء للتجارة العابرة على طرق التجارة البرية والنهرية المارة بالبطائح.

كما يظهر مدى استقلال البطائح سياسيًّا من خلال وجود جند وقادة يشكلون جيشًا بها، وهو الجيش الذي تكوَّن من عناصر مختلفة؛ أبرزها الترك والديلم. كما أفاد جيش البطائح من الخصوصية الجغرافية لتلك المنطقة؛ لاسيما التلال المرتفعة والمستنقعات الكثيرة؛ وذلك لغرض حماية البطائحيين من أعدائهم، وتحقيق بعض الانتصارات داخل البطائح أو خارجها؛ حيث أجاد جند البطائح القتال على الأنهار في مواضع مختلفة، على نحو ما فعل جند ابن مرزوق حين حاصروا البصرة.

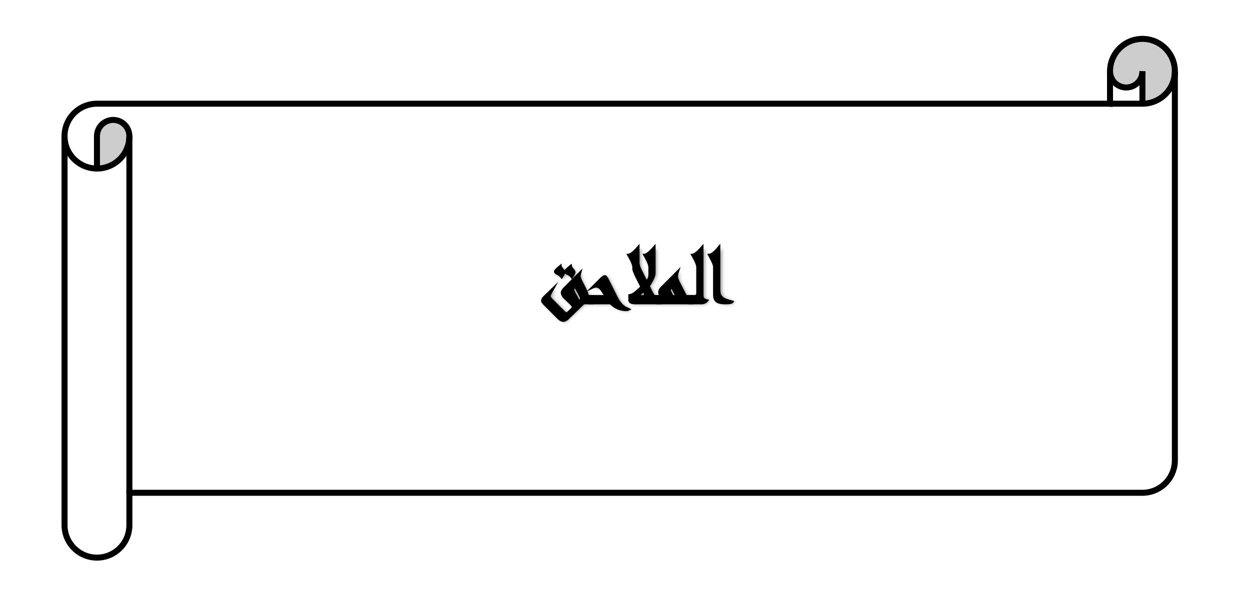
ومن ناحية أخرى فقد تنوعت أسس تداول السلطة بين أمراء البطائح؛ فتارة تكون من خلال الوراثة والعهد، وتارة تكون من خلال التغلُّب باستعمال القوة، أو باختيار قادة الجند خاصة أو باختيار الناس عامة، كما عرفت البطائح نظام البيعة يأخذها حكامها من الناس هناك، مثلما استشار بعضهم وجوه الناس في بعض القضايا المصيرية، على نحو ما فعل الشرابي.

أما من خلال دراسة الحياة الاقتصادية بالبطائح، فقد ظهر لنا أنها عرفت زراعة محاصيل عديدة من الحبوب والفاكهة وغير ذلك، كما اشتهرت بزراعة محصول الأرز بل صدرته إلى بغداد، في حين غاب عن المصادر أي ذكر لمحاصيل الخضروات؛ ولعلها كانت من القلة

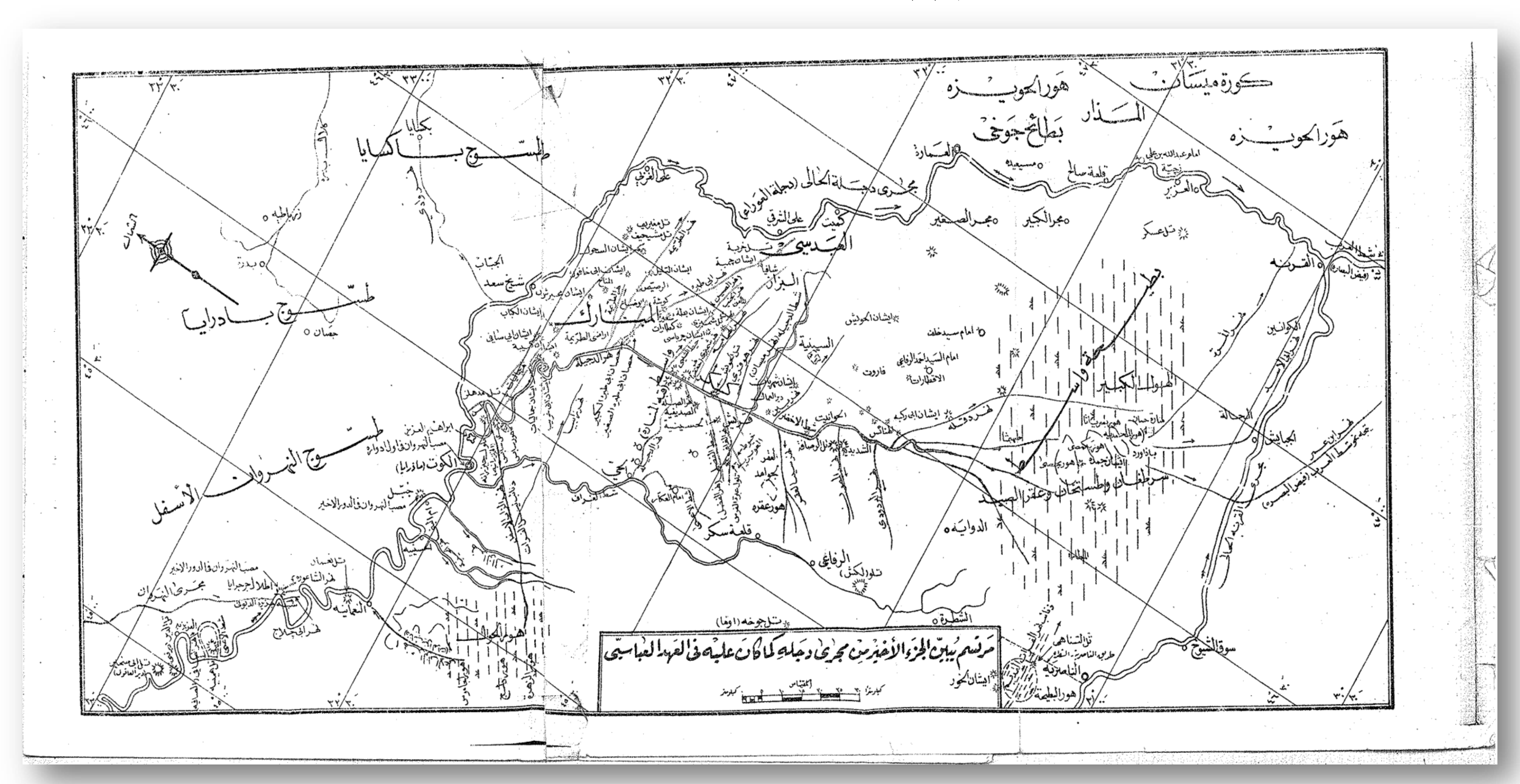
بحيث لم تستحق الذكر. كما نجحت بيئة البطائح في توفير العديد من المواد الخام للصناعة؛ مثل القصب مما ساعد على انتشار صناعات عديدة بها. أما على مستوى النشاط التجاري، فقد حظيت البطائح بموقع جغرافي أمَّن لها المشاركة الفعالة في التجارة داخل العراق وخارجه؛ وعلى أثر ذلك شهدت نشاطًا تجاريًّا رائجًا، ووجد بها الأسواق والمحلات، كما عرفت التجار المثرين.

أما دراسة الحياة الاجتماعية، فقد أظهرت أنه على الرغم من أن البطائح كانت مسكونة بعناصر متنوعة سكانيًّا ولغويًّا أيضًا، فلم يرد ما يشير إلى أن ثمة فتنًا أو مصادمات وقعت بينهم وبين المسلمين؛ ومن هنا يمكن القول إن البطائح قدمت نموذجًا للتوطُّن والاستقرار يقوم على تجاور مجموعة من العناصر السكانية المختلفة في بيئة واحدة، ولا يمنع هذا القول بأن شأن العرب قد قوي هناك على حساب بقية العناصر؛ وذلك لاستئثارهم بالسلطة.

كان غياب الازدهار عن الحياة الثقافية بالبطائح من الأمور المهمة التي توصلنا إليها من خلال دراستنا، وذلك مقارنة بالكوفة والبصرة وواسط آنذاك، وهي مدن محيطة وقريبة من البطائح. ولا يمنع هذا من أن البطائح قد أنجبت عددًا من القراء والمحدِّثين والفقهاء والأدباء والنحويين، بجانب المؤرخين، وقد نال بعض هؤلاء منزلة علمية كبيرة وشهرة واسعة؛ فشد الرحال إليهم عدد من طلبة العلم؛ بغرض الدراسة والحصول على إجازاتهم العلمية. وقد تبيَّن لنا أيضًا أن البيئة العلمية بالبطائح لم تكن في عزلة عن البيئات العلمية في العالم الإسلامي آنذاك، فبالإضافة إلى الطلاب الذين وفدوا لتلقي العلم هناك، فقد غادر البطائح عدد من أبنائها إلى مختلف المراكز الثقافية في العالم الإسلامي طلبا للعلم.

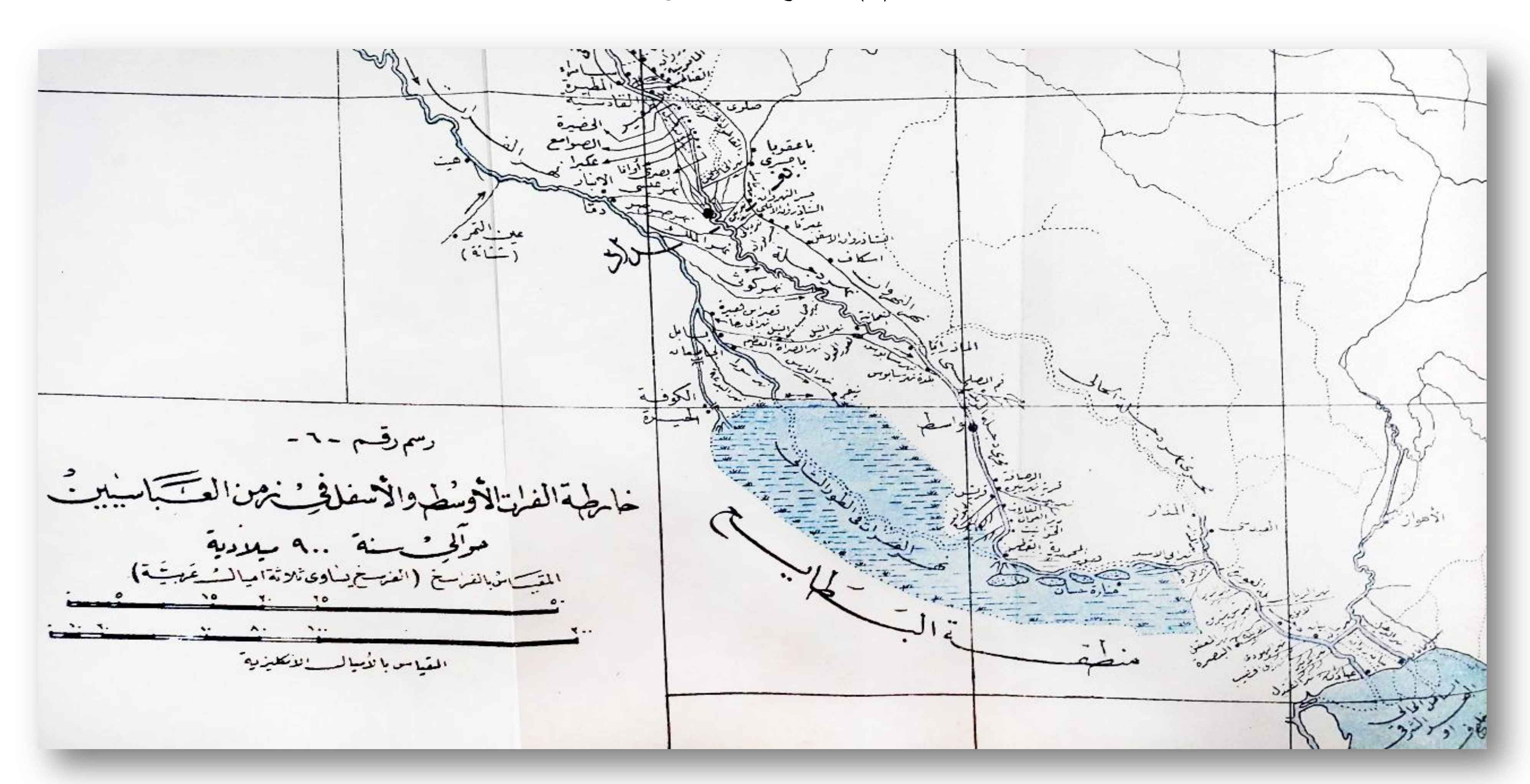

الملاحق

ملحق رقم (١): خريطة (أ) البطائح الواقعة على نهر دجلة



نقلًا عن: أحمد سوسة: ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، ط١، بغداد (مطبعة المعارف)، ١٩٤٩م.

خريطة (ب) البطائح الواقعة على نـهر الفرات



نقلًا عن: أحمد سوسة: وادي الفرات ومشروع سدة الهندية، ط١، بغداد (مطبعة المعارف)، ١٩٤٥م، جـ٢.

ملحق رقم (٢)

قائمة بالخلفاء العباسيين خلال التسلطين البويهي ثم السلجوقي على العراق

الخليفة	تاريخ حكمه
المتقي لله إبراهيم بن جعفر المقتدر	٣٢٩هـ/٩٤١م
المستكفي بالله عبد الله بن علي المكتفي	٣٣٣هـ/٩٤٤م
المطيع لله الفضل بن جعفر المقتدر	٣٣٤هـ/٩٤٥م
الطائع لله عبد الكريم بن الفضل المطيع	٣٦٣هـ/٩٧٤م
القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر	٣٨١هـ/٩٩١م
القائم بأمر الله عبد الله بن أحمد القادر	٤٢٢هـ/١٠٣١م
المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد بن عبد الله	٤٦٧هـ/١٠٧٤م
المستظهر بالله أحمد بن عبد الله المقتدي	٤٨٧هـ/١٠٩٤م
المسترشد بالله الفضل بن أحمد المستظهر	٥١٢هـ/١١١٨م
الراشد بالله منصور بن الفضل المسترشد	٥٢٩هـ/١١٣٥م
المقتفي لأمر الله محمد بن أحمد المستظهر	٥٣٠هـ/١١٣٦م
المستنجد بالله يوسف بن محمد المقتفي	٥٥٥هـ/١١٦٠م
المستضئ بأمر الله الحسن بن يوسف المستنجد	٥٦٦هـ/١١٧١م
الناصر لدين الله أحمد بن المستضئ بأمر الله	٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م

ملحق رقم (٣)

قائمة بالأمراء البويهيين في العراق

الأمير	تاريخ حكمه
معز الدولة أحمد بن بوية	٣٣٤هـ/ ٩٤٦م
عز الدولة بختيار بن أحمد	٣٥٦هـ/ ٩٦٧م
عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة	٣٦٧هـ/ ٩٧٨م
صمصام الدولة المرزبان بن عضد الدولة	٣٧٢هـ/ ٩٨٣م
شرف الدولة شيرزل بن عضد الدولة	٣٧٦هـ/ ٩٨٧م
بهاء الدولة أبو نصر فيروز بن عضد الدولة	٣٧٩هـ/ ٩٨٩م
سلطان الدولة أبو شجاع	٤٠٣هـ/ ١٠١٢م
مشرف الدولة أبو علي	٤١٢هـ/ ١٠٢١م
جلال الدولة فيروزجرد بن بهاء الدولة	٤١٦هـ/ ١٠٢٥م
عماد الدين المرزبان بن شرف الدولة	٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م
الملك الرحيم خسرو فيروز بن عماد الدين	٤٤٠-٤٤٧هـ/ ١٠٤٨-١٠٥٥م

ملحق رقم (٤)

قائمة بالسلاجقة العظام وسلاجقة العراق

السلطان	تاريخ حكمه
ركن الدين أبو طالب طغرلبك	٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م. (أول سلاطين السلاجقة، حيث توجه إلى العراق سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م).
عضد الدين أبو شجاع محمد ألب أرسلان	٤٥٥هـ/١٠٦٣م.
جلال الدين أبو الفتح ملكشاه	٤٦٥هـ/١٠٧٣م.
ناصر الدين محمود بن ملكشاه	٤٨٥هـ/١٠٩٢م.
ركن الدين أبو المظفر بركيارق	٤٨٧هـ/١٠٩٣م.
غياث الدين أبو شجاع محمد بن ملكشاه	٤٩٨هـ/١١٠٥م.
مغيث الدين محمود بن محمد بن ملكشاه	٥١١هـ/١١١٧م
غياث الدين داود بن محمود	٥٢٥هـ/١١٣١م
ركن الدين طغرل الأول بن محمد	٥٢٦هـ/١١٣٢م
أبو الفتح غياث الدين مسعود بن محمد	٥٢٧هـ/١١٣٣م
معين الدين ملكشاه بن محمود	٥٤٧هـ/١١٥٢م
غياث الدين محمد بن محمود	٥٤٨هـ/١١٥٣م
سليمان شاه بن محمد	٥٥٥هـ/١١٦٠م
ركن الدين آرسلان شاه بن طغرل	٥٥٦هـ/١١٦١م
ركن الدين طغرل الثاني بن آرسلان شاه	٥٧٣-٥٩٠هـ/١١٧٧-١١٩٤م

ملحق رقم (٥)

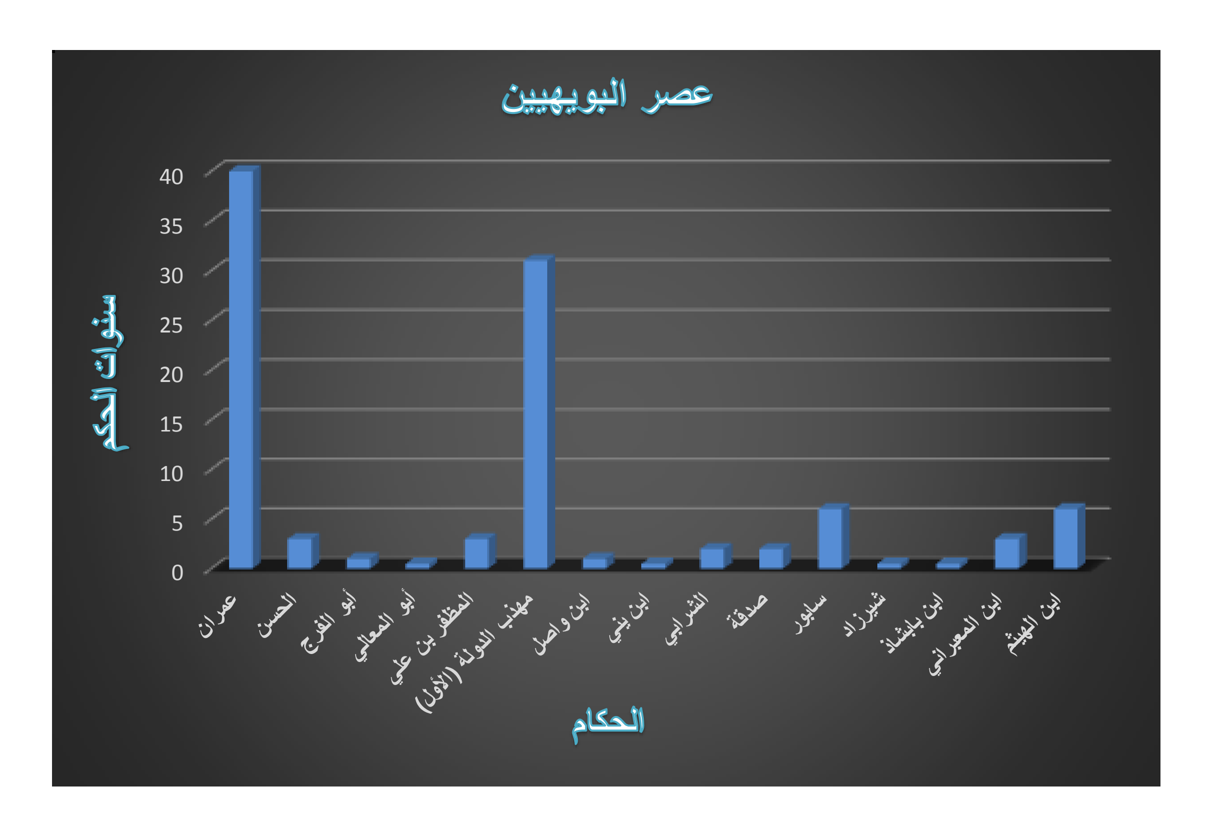
قائمة بحكام البطائح خلال عصري البويهيين والسلاجقة

حكام البطائح في ظل سيطرة البويهيين	تواريخ الحكم	مدة الحكم
عمران بن شاهين	٣٢٩- ٣٦٩هـ/ ٩٤٠- ٩٧٩م(١)	٤٠ سنة
الحسن بن عمران	٣٦٩ -٣٧٢هـ/٩٧٩م – ٩٨٢م	٣ سنوات
أبو الفرج محمد بن عمران	٣٧٢هـ / ٩٨٢م	عدة أشهر
أبو المعالي بن الحسن بن عمران	٣٧٣هـ/٩٨٣م	سنة
المظفر بن على (الحاجب)	٣٧٣- ٣٧٦هـ / ٩٨٣-٩٨٦م	٣ سنوات
مهذب الدولة (الأول)	٣٧٦ – ٣٩٤هـ / ٩٨٦م -١٠٠٣م	١٨ سنة
أبو العباس بن واصل	٣٩٤-٣٩٥هـ/١٠٠٣- ١٠٠٤م	عدة أشهر
مهذب الدولة (الأول)	٣٩٥- ٤٠٨هـ / ١٠٠٤-١٠١٧م	١٣ سنة
أبو عبد الله بن يني (ابن أخت مهذب الدولة)	٤٠٨هـ/ ١٠١٧م	عدة أشهر
الحسين بن بكر الشرابي	٤٠٨-٤١٠ هـ/ ١٠١٧- ١٠١٩م	سنتان
صدقة بن فارس المازياري	٤١٠- ٤١٢هـ / ١٠١٩- ١٠٢١م	سنتان
سابور بن المرزبان بن مروان	٤١٢-٤١٨ هـ/ ١٠٢١-١٠٢٩م	عدة أشهر
أبو نصر شيرزاد بن الحسن بن مروان	٤١٨هـ / ١٠٢٧م	عدة أشهر
أبو محمد بن بابشاذ وزير أبي كاليجار	٤١٨هـ / ١٠٢٧م	عدة أشهر
الشرابي (ولاية ثانية)	٤١٨هـ / ١٠٢٧م	عدة أشهر
أبو نصر بن الهيثم	٤٣٣- ٤٣٩هـ / ١٠٤٢- ١٠٤٧م	٦سنوات

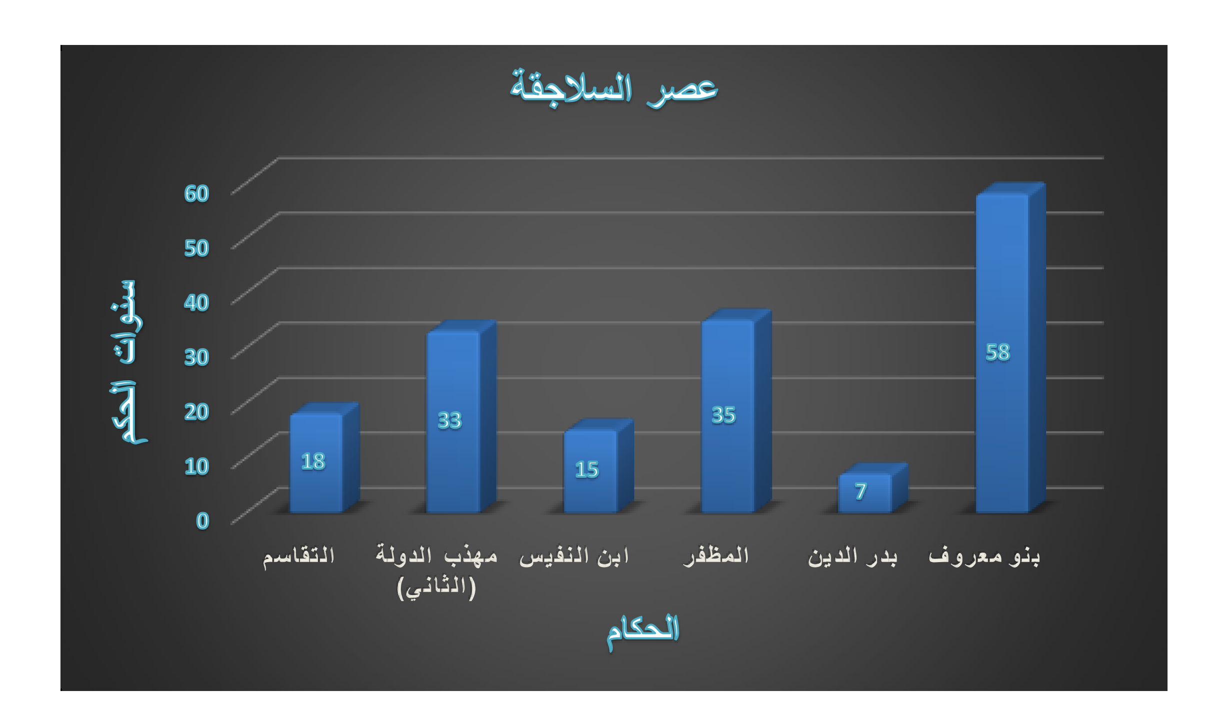
(١) التاريخ المذكور هو تاريخ بداية سيطرة عمران على البطائح، أما تاريخ اعتراف الخلافة به فيرجع إلى سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م.

حكام البطائح في ظل سيطرة السلاجقة	تواريخ الحكم	مدة الحكم
أبو علي محمد بن أبي الجبر (المختص)	٤٥٠ –٤٦٨هـ / ١٠٥٨ –١٠٧٥م	١٨ (المنافسة على حكم البطائح بين آل أبي الجبر، وأبو نصر بن الهيثم)
أحمد بن محمد بن أبي الجبر (مهذب الدولة الثاني)	٤٦٨ –٥٠١هـ/ ١٠٧٥ –١١٠٧م	٣٣ سنة
نصر بن النفيس بن مهذب الدولة	٥٠١ –٥١٦هـ / ١١٠٧ –١١٢٢م	١٥ سنة
المظفر بن حماد	٥١٦هـ – ٥٥١هـ/١١٢٢م – ١١٥٦م	٣٥ سنة
بدر الدين بن المظفر بن حماد	٥٥١–٥٥٨هـ/ ١١٥٦–١١٦٣م	٧ سنوات

شكل رقم (١)



شكل رقم (٢)



ملحق رقم (٦)

علماء البطائح خلال عصري البويهيين والسلاجقة

علماء انتسبوا إلى البطائح	تخصصوا في علم	المدة التي عاشوها	الأمراء البطائحيون الذين عاصروهم	الأماكن التي رحلوا إليها طلبًا للعلم
أبو الحسن علي بن أحمد بن الغريب الجامدي	القراءات	عاش سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م. أي في القرن ٤هـ/١٠م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم:** عمران بن شاهين (٣٢٩- ٣٦٩هـ). الحسن بن عمران (٣٦٩- ٣٧٢هـ). أبي الفرج محمد (٣٧٢هـ). أبي المعالي بن الحسن بن عمران (٣٧٣هـ). المظفر بن على (الحاجب) (٣٧٣- ٣٧٦هـ).	أقرأ بالجامدة فارتحل إليه طلاب العلم ليستزيدوا من علمه.
أحمد بن علي، أبو الحسن البتي	الفقه ومحدث	توفي: ٤٠٣هـ/١٠١٢م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم بني معروف** (٥٥٨- ٦١٦هـ).	
هبة الله بن عيسى	الشعر والتاريخ وكان كاتبًا	توفي: ٤٠٥هـ/١٠١٥م.	حكم مهذب الدولة الأول (٣٧٦- ٤٠٨هـ).	
محمد بن محمد، أبو الحسن الخَيْشيّ	النحو	توفي: ٤٣٨هـ/١٠٤٧م	ابن المعبراني (٤١٨- ٤٣٣هـ). أبو نصر بن الهيثم (٤٣٣- ٤٣٩هـ).	

أبو الحسن البطيحي، وهو محمد بن عبد الكريم بن علي بن بشر	الحديث	توفي: ٤٩٠هـ/١٠٩٧م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم:** ابن المعبراني (٤١٨- ٤٣٣هـ). أبي نصر بن الهيثم (٤٣٣- ٤٣٩هـ). أبي علي محمد بن أبي الجبر (٤٥٠- ٤٦٨هـ). مهذب الدولة الثاني (٤٦٨- ٥٠١هـ). نصر بن النفيس (٥٠١- ٥١٦هـ).	حدَّث بواسط.
الأمير أحمد بن أبي الفتوح المختار بن محمد بن أبي الجبر الملقب بنجم الدولة	الشعر	هو ابن أخي مهذب الدولة الثاني. لعله عاش خلال القرن ٥هـ/١٢م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم مهذب الدولة الثاني** (٤٦٨- ٥٠١هـ).	الأمير أحمد بن أبي الفتوح المختار بن محمد بن أبي الجبر الملقب بنجم الدولة
الصارم مرجى بن بتاه البطائحي	الشعر	هو خال مهذب الدولة بن أبي الجبر. لعله عاش خلال القرن ٥هـ/ ١٢م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم مهذب الدولة الثاني** (٤٦٨- ٥٠١هـ).	
مُضَر بن أبي الفتوح بن أبي الجبر أخي الأمير أحمد بن أبي الفتوح	الشعر	هو من أبناء أخي مهذب الدولة الثاني. لعله عاش خلال القرن ٥هـ/ ١٢م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم مهذب الدولة الثاني** (٤٦٨- ٥٠١هـ).	
الأمير مهذب الدولة الثاني	الشعر والتاريخ	توفى: ٥٠١هـ/١١٠٧م.	**مهذب الدولة الثاني** (٤٦٨- ٥٠١هـ).	
أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الله ابن قاذويه البزّاز، ويعرف بابن العجمي	الحديث	(٤٣١هـ- ٥١١هـ/١٠٣٩م- ١١١٧م) عاش ٨٠ سنة.	ابن المعبراني (٤١٨- ٤٣٣هـ). أبو نصر بن الهيثم (٤٣٣- ٤٣٩هـ). أبو علي محمد بن أبي الجبر (٤٥٠- ٤٦٨هـ). مهذب الدولة الثاني (٤٦٨- ٥٠١هـ). نصر بن النفيس (٥٠١- ٥١٦هـ).	ارتحل الى بغداد وعاش بها، توفي بواسط.

حذيفة بن يحيى بن محمد البطائحيّ	القراءات	(٤٩٠هـ- ٥٥١هـ/١٠٩٦م- ١١٥٧م) عاش ٦١ سنة.	مهذب الدولة الثاني (٤٦٨- ٥٠١هـ). نصر بن النفيس (٥٠١- ٥١٦هـ). المظفر بن حماد (٥١٦- ٥٥١هـ).	بغداد.
أبو العباس المعروف بابن المندائي، أحمد بن بختيار بن علي بن محمد بن جعفر بن إبراهيم	الفقه والحديث والتاريخ، وكانت له معرفة بالأدب والنحو واللغة	(٤٧٦هـ-٥٥٢هـ/١٠٨٤ -١١٥٧م) عاش ٧٦ سنة.	مهذب الدولة الثاني (٤٦٨- ٥٠١هـ). نصر بن النفيس (٥٠١- ٥١٦هـ). المظفر بن حماد (٥١٦- ٥٥١هـ). بدر الدين بن المظفر (٥٥١هـ). بنو معروف (٥٥٨- ٦١٦هـ).	تفقه بواسط وولى قضاء الكوفة.
القاضي أبو القاسم، عمر بن الحسن ابن أحمد بن الباسيسي	الفقه والشعر	توفي: ٥٦٢هـ/١١٦٧م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم بني معروف (٥٥٨- ٦١٦هـ).**	هو من أهل الغراف.
أبو المعالي، هبة الله بن فضل الله بن محمد بن النخاس الغرافي	الفقه وله معرفة بالأدب	توفي: ٥٦٢هـ/١١٦٧م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم بني معروف (٥٥٨- ٦١٦هـ).**	عمل قاضيًا بالغراف، ثم سكن مدينة واسط.
أبو الحسن علي بن عساكر البطائحي	القراءات والنحو	(٤٩٠هـ -٥٧٢هـ/١٠٩٦م- ١١٧٨م) عاش ٨٢ سنة.	مهذب الدولة الثاني (٤٦٨- ٥٠١هـ). نصر بن النفيس (٥٠١- ٥١٦هـ). المظفر بن حماد (٥١٦- ٥٥١هـ). بدر الدين بن المظفر (٥٥١هـ). بنو معروف (٥٥٨- ٦١٦هـ).	رحل إلى بغداد وسكن فيها حتى وفاته.
الحسن بن أحمد بن محمد بن أحمد، أبو علي بن الحويزي، العباسي	القراءات	توفي: ٥٧٣هـ/١١٧٨م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم بني معروف (٥٥٨- ٦١٦هـ).**	رحل إلى بغداد، وأقرأ القراءات بواسط.

أبو العباس أحمد الرفاعي البطائحي	الفقه والتصوف	توفي: ٥٧٨هـ/١١٨٢م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم بني معروف (٥٥٨– ٦١٦هـ).**	
منصور البطائحي	التصوف	هو خال الشيخ أحمد الرفاعي. يرجح أنه عاش خلال القرن ٦هـ/١٢م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم بني معروف (٥٥٨– ٦١٦هـ).**	
محمد بن أحمد بن سلطان، أبو الفضل الغرافي	الحديث	توفي: ٥٨٧هـ/١١٩١م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم بني معروف (٥٥٨– ٦١٦هـ).**	
يحيى بن هبة الله بن فضل الله بن محمد، أبو الحسن بن النخاس الغرافي	الحديث	توفي: ٥٨٧هـ/١١٩١م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم بني معروف (٥٥٨– ٦١٦هـ).**	
أبو الحسن البطائحى، علي بن جابر ابن زهير بن على	الفقه والأدب	(٥٢٩هـ– ٥٩٤هـ/١١٣٥– ١١٩٨م) عاش ٦٥سنة.	المظفر بن حماد (٥١٦– ٥٥١هـ). بدر الدين بن المظفر (٥٥١هـ). بنو معروف (٥٥٨– ٦١٦هـ).	تفقه ببغداد ورحل إلى الشام.
أبو بكر بن هوار البطائحي	التصوف	يرجح أنه عاش خلال القرن ٦هـ/١٢م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم بني معروف (٥٥٨– ٦١٦هـ).**	
تاج العارفين أبو الوفاء	التصوف	يرجح أنه عاش خلال القرن ٦هـ/١٢م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم بني معروف (٥٥٨– ٦١٦هـ).**	

عزاز بن مستودع البطائحي	التصوف	يرجح أنه عاش خلال القرن ٦هـ/١٢م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم بني معروف (٥٥٨- ٦١٦هـ).**	
عيسى بن يوسف بن أحمد الغرافي	الفقه	توفي سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٦م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم بني معروف (٥٥٨- ٦١٦هـ).**	الشام.
أبو الخطاب البطايحي محمد بن محمد ابن أحمد المضري	الشعر	هو متقدم الزمان على ابن الساعاتي. الذي توفي سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٨م. لعله عاش خلال القرن٦هـ/ ١٢م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم** نصر بن النفيس (٥٠١- ٥١٦هـ). المظفر بن حماد (٥١٦- ٥٥١هـ). بدر الدين بن المظفر (٥٥١هـ). بني معروف (٥٥٨- ٦١٦هـ).	
أبو بكر أحمد بن صدقة بن علي الغرافي المقرئ الخياط	الحديث	توفي: ٦١٤هـ/١٢١٧م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم بني معروف (٥٥٨- ٦١٦هـ).**	حدث بواسط وبغداد كما أنه توفي بواسط.

علماء لم ينتسبوا إلى البطائح وإن أثروا في الحياة العلمية بها	تخصصوا في علم	المدة التي عاشوها	الأمراء البطائحيون الذين عاصروهم	الأماكن التي تلقوا فيها علمهم
محمد بن القاسم بن يحيى بن عبد الله ابن نزار، أبو القاسم التكريتي	القراءات	ارتحل إليه غلام الهراس: الذي ولد سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م، وتوفى سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م. لعله بذلك عاش خلال القرن ٥هـ/١١م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم** ابن المعبراني (٤١٨- ٤٣٣هـ). أبي نصر بن الهيثم (٤٣٣- ٤٣٩هـ). علي محمد بن أبي الجبر (٤٥٠- ٤٦٨هـ). مهذب الدولة الثاني (٤٦٨- ٥٠١هـ).	عاش بالجامدة.
محمد بن نزار بن القاسم بن يحيى بن عبد الله بن نزار، أبو بكر التكريتي	القراءات	قيل إنه (ابن أخي محمد بن القاسم المتقدم) فلعله عاش خلال القرن ٥هـ/١١م.	**من المرجح أنه عاش خلال حكم** ابن المعبراني (٤١٨- ٤٣٣هـ). أبي نصر بن الهيثم (٤٣٣- ٤٣٩هـ). علي محمد بن أبي الجبر (٤٥٠- ٤٦٨هـ). مهذب الدولة الثاني (٤٦٨- ٥٠١هـ).	عاش بالجامدة، وأصبح مقرئ الجامدة.
محمد بن محمد بن محمد بن الحسين ابن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء	الفقه	(٤٩٤هـ-٥٦٠هـ/١١٠١م- ١١٦٥م).	مهذب الدولة الثاني (٤٦٨- ٥٠١هـ). نصر بن النفيس (٥٠١- ٥١٦هـ). المظفر بن حماد (٥١٦- ٥٥١هـ). بدر الدين بن المظفر (٥٥١هـ). بنو معروف (٥٥٨- ٦١٦هـ).	ولى قضاء واسط، وعاش فترة بالبطائح، وتوفى ببغداد.

ملحق رقم (٧)

مناظرة عقدت في البطائح

فصل من رسائله[١]

لما دخل البطيحة وبها أبو القاسم هبة الله بن عيسى وزير مهذب الدولة، فدخل إلى ابن المغربي رجل يعرف بسليمان بن الربيع، وسلم إليه قصيدة قد بنيت على السؤال عن ألفاظ من اللغة على جهة الامتحان لمعرفته، فلما وقف عليها امتعض في الحال، وأحفظه ما لقي من التعدي والسؤال، ونسب ذلك إلى فعل أبي القاسم وزير مهذب الدولة البطيحي، فكتب عقب الوقوف على ذلك لوقته جواباً أثبت بعض فصوله، لطوله، بعد هذه الأبيات المذكورة:

يا أفضل الأدباء قو	لاً لا تعارضه الشكوك
لا العلم ناءٍ من حجا	ك إذا نطقت ولا فروك
عرضت مسائل أنت للفـ	ـتوى بمشكلها دروك
ما الحي والحيوت أم ما	جلبح نضو بروك
أم ما ترى في برقعٍ	رقشاء مجهدها حبيك
أم ما الصرنقح والزرير	وما الملمعة النهوك
ولك الدراية والبصيرة	في مداحيها السهوك
وأبن لنا ما خمطط	أبداً بأمرغة معيك
أو ما اعتنانة فوهدٍ	فيه الملامة لا تحيك
أم، ما ترفل [هبرج]	يرتب مرسنه هلوك
ولرب ألفاظ أتتك	وفي مطاويها حلوك
فارفق بنشرك طيها	وانظر بذوقك ما تلوك
هذا وقد لذمت فؤادي	خرمل هرط ضحوك
دعكنة نظرنة	في خيس غانظها شكوك
تغدو وخرفعها المذيـ	ـل في طوائفه سدوك
وأراك ما لك مشبه	في ما علمت ولا شريك
حقاً لقد حزت العلو	م حيازة العلم الضريك

(١) المقصود رسائل ابن المغربي. (ابن بسام: المصدر السابق، ق٤، مج١، ص٤٧٩- ٤٨١).

فأجابه ابن المغربي برقعةٍ قال فيها: وقفت على ما ذكرت أن بعض أهل الأدب كلفك المسألة عن شعر وجدته، لا أحب أن أقول في صناعته شيئاً، مشتملاً على ألفاظ من حوشي اللغة لا يتشاغل بمثلها أهل التحصيل، ولا يتوفر على تأملها إلا كل ذي تأمل عليل، لخروجها عما ينفع في الأديان، ويعترض في القرآن، ولمباينتها ما يجري في المذاكرة، وتستخدم فيه المحاورة، وزاد في عجبي منها صدرها عن البطيحة وفيها الأستاذ الفاضل هبة الله بحر الأدب الذي عذبت موارده مصادره، وري العقول الظماء، وطب الجهل، المستغمر الداء، والباب الذي يفتح عن الدهر تجربةً علماً، والمرآة التي تتصفح بها أوجه الأيام.

ملحق رقم (٨)- صور

(أ) صور بعض الأسماك التي عرفتها البطائح

سمكة شبوط:



نقلًا عن:

https://www.facebook.com/372319746273104/photos/a.372773339561078.1073741828.372319746273104/372773296227749/?type=3&theater

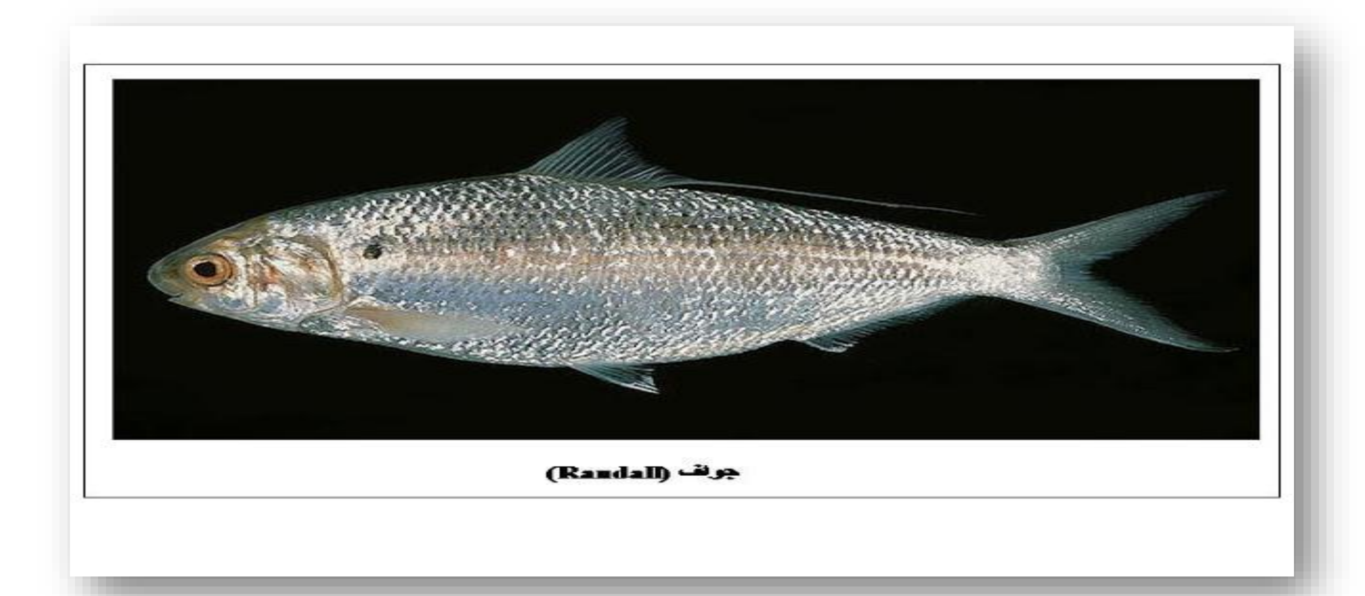
سمكة الكوسج:



نقلًا عن:

https://www.facebook.com/372319746273104/photos/a.372773339561078.1073741828.372319746273104/925840204254386/?type=3&theater

سمكة الجواف:



نقلًا عن:

http://www.gafrd.org/posts/89317

سمكة بز:



نقلًا عن:

https://www.facebook.com/372319746273104/photos/a.372818712889874.1073741829.372319746273104/376994632472282/?type=3&theater

روبيان بحري:



نقلًا عن:

https://www.facebook.com/372319746273104/photos/a.372773339561078.1073741828.372319746273104/474288689409542/?type=3&theater

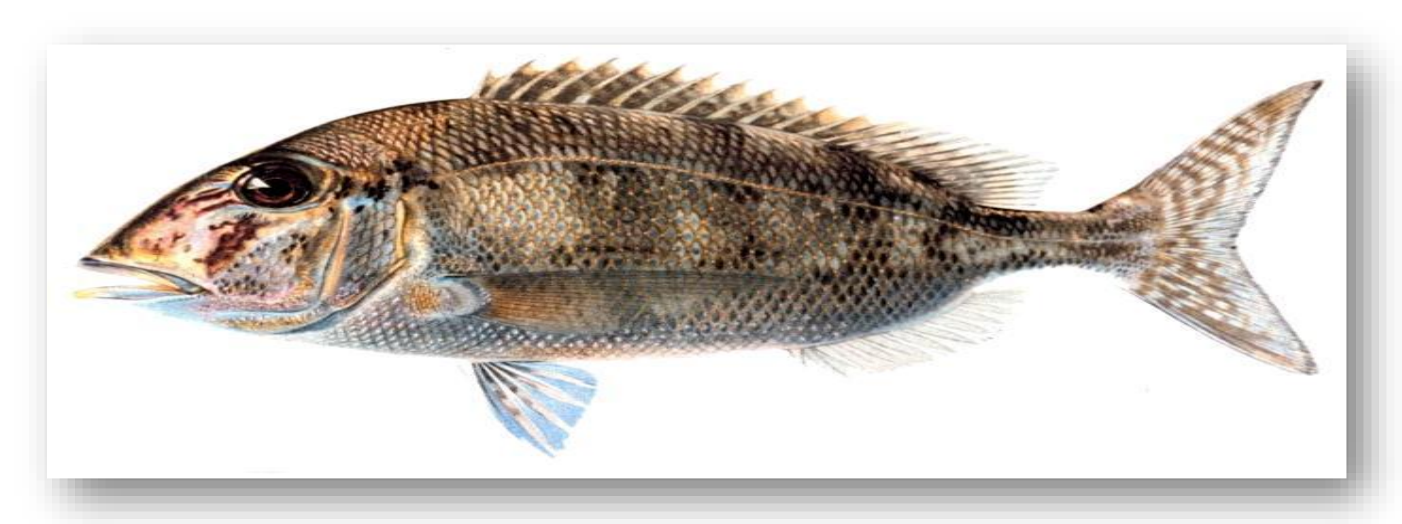
العراقي:



نقلًا عن:

http://www.esyria.sy/eraqqa/__print.php?site=raqqa&filename=200909171020011

فصيلة الأُسْبُور



نقلًا عن:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%B5%D9%8A%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%A8%D9%88%D8%B1

(ب) صورة لجاموس البطائح



نقلًا عن:

http://algardenia.com/maqalat/24474-2016-06-26-15-35-08.html

(جـ) صورة لأكواخ البطائح



نقلًا عن:

http://algardenia.com/maqalat/24474-2016-06-26-15-35-08.html

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المخطوطات:

الكتبي: عيون التواريخ، أحداث سنة ٣٥٩:٣١١، مخطوط بدار الكتب المصرية.

ثانيًا: المصادر:

١- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي الجزري ت:٦٣٠هـ/١٢٣٣م): التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل)، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة، (دار الكتب الحديثة).

٢- ـــــــــــ: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، محمد يوسف الدقاق، ط١، بيروت (دار الكتب العلمية)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣- ـــــــــــ: اللباب في تهذيب الأنساب، بغداد (مكتبة المثنى).

٤- ابن الأثير (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ت: ٦٠٦هـ/١٢١٠م): جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، (مكتبة الحلواني)، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٥- الإدريسي (الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد ت:٥٦٠هـ/١١٦٥م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بورسعيد (مكتبة الثقافة الدينية).

٦- الأصبهاني (عماد الدين محمد بن محمد بن صفي الدين ت: ٥٩٧هـ/١٢٠١م): خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمد بهجت الأثري، بغداد (مطبعة المجمع العلمي العراقي)، ١٩٧٣م.

٧- الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ت: نحو ٣٤٦هـ/٩٥٧م): المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحسيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦١م.

٨- ابن بسام (أبو الحسن علي الشنتريني ت: ٥٤٢هـ/١١٤٨م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط١، بيروت (دار الثقافة)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٩- ابن بطوطة (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، الرباط، المملكة المغربية (سلسلة التراث)، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٠- البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٩م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ط٢، بيروت (دار الجيل)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١١- البغدادي (عبد القادر بن عمر ت: ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م): خزانة الأدب ولب لباب أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، القاهرة (مكتبة الخانكي)، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٢- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي ت:٤٨٧هـ/١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت (عالم الكتاب).

١٣- البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ت:٢٧٩هـ/٨٩٢م): أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار، ورياض زركلي، ط١، بيروت (دار الفكر)، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٤- ـــــــــــ: فتوح البلدان، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، بيروت (مؤسسة المعارف)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٥- البيروني (أبو ريحان محمد بن أحمد ت: ٤٤٠هـ/١٠٤٨م): الآثار الباقية عن القرون الخالية، ليبزج، ١٨٧٩م.

١٦- البيهقي (أبو الحسن علي بن زيد ابن فندمه ت: ٥٦٥هـ/١١٦٩م): لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، تحقيق السيد مهدي الرجائي، ط٢، (مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى)، ٢٠١٧م.

١٧- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت: ٨٧٤/١٤٧٠م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة)، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

١٨- التنوخي (أبو علي المحسن بن علي ت: ٣٨٤هـ/٩٩٤م): الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، بيروت (دار صادر)، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٩- ـــــــــــ: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، ط٢، بيروت (دار صادر)، ١٩٩٥م.

٢٠- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت:٤٢٩هـ/١٠٣٨م): خاص الخاص، ط١، مصر (مطبعة السعادة)، ١٣٢٦هـ/١٨٠٩م.

٢١- ـــــــــــ: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة (دار المعارف)، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

٢٢- الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر ت:٢٥٥هـ/٨٦٩م): الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، مصر (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده)، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٢٣- ــــــــــــــ: المحاسن والأضداد، تحقيق فوزي عطوى، بيروت، ١٩٦٩م.

٢٤- ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني ت: ٦١٤هـ/١٢١٧م): رحلة ابن جبير، بيروت (دار صادر).

٢٥- ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ت: ٨٣٣هـ/١٤٣٠م): غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج برجشتراسر، ط١، بيروت (دار الكتب العلمية)، ٢٠٠٦م.

٢٦- الجصاص (أبو بكر أحمد بن علي الرازي ت:٣٧٠هـ/٩٨٠م): أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، بيروت (دار إحياء التراث العربي)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٧- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ت: ٥٩٧هـ/١٢٠١م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت (دار الكتب العلمية)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٨- الجوهري (إسماعيل بن حماد ت: ٣٩٣هـ/١٠٠٣م): الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، بيروت (دار العلم للملايين)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٢٩- ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٩مـ): تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق علي محمد البجاوى، بيروت (المكتبة العلمية).

٣٠- ــــــــــــــ: تهذيب التهذيب، مؤسسة الرسالة.

٣١- ــــــــــــــ: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (المكتبة السلفية).

٣٢- ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٤م): رسائل ابن حزم الأندلسي، ط٢، تحقيق إحسان عباس، بيروت (المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، ١٩٨٧م.

٣٣- الحسيني (صدر الدين علي بن ناصر ت: بعد ٦٢٢هـ/١٢٢٥م): أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق محمد إقبال، لاهور، ١٩٣٣م.

٣٤- الحميري (محمد بن عبد المنعم ت_ كما قيل_ ٩٠٠هـ/١٤٩٥م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت (مكتبة لبنان)، ١٩٨٤م.

٣٥- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي ت: ٣٦٧هـ/٩٧٧م): صورة الأرض، ط٢، ليدن (مطبعة بريل)، ١٩٦٧م.

٣٦- ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت:٢٨٠هـ/٨٩٣م): المسالك والممالك، ليدن (مطبعة بريل)، ١٨٨٩م.

٣٧- الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م): تاريخ مدينة السلام أخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وارديها، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، بيروت (دار الغرب الإسلامي)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٣٨- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٦م): تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحاتة، بيروت (دار الفكر)، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣٩- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت (دار صادر).

٤٠- الخوارزمي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف ت: ٣٨٧هـ/٩٩٧م): مفاتيح العلوم، تحقيق محمد كمال الدين الأدهمي، ليدن (مطبعة بريل)، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م.

٤١- الدبيثي (أبو عبد الله محمد بن سعيد ت: ٦٣٧هـ/١٢٤٠م): ذيل تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، بيروت (دار الغرب الإسلامي)، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٤٢- الدمشقي (أبو الفضل جعفر بن علي ت: بعد ٥٧٠هـ/١١٧٥م): الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، ١٣١٨هـ.

٤٣- الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م): عيون الأخبار، بيروت (دار الكتاب العربي)، ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م.

٤٤- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٨م): تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد، ط١، بيروت (دار الغرب الإسلامي)، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤٥- ــــــــــــ: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢، بيروت (مؤسسة الرسالة)، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٤٦- ـــــــــــــ: العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، بيروت (دار الكتب العلمية)، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤٧- ـــــــــــــ: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق طيار آلتى قولاج، إستانبول، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٨- الراوندي (محمد بن علي بن سليمان): راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي وآخرون، القاهرة (المجلس الأعلى للثقافة)، ٢٠٠٥م.

٤٩- ابن رجب (عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ت: ٧٩٥هـ/١٣٩٣م): ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، الرياض (مكتبة العبيكان)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٥٠- ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م): الأعلاق النفيسة، ليدن (مطبعة بريل)، ١٨٩١م، مج٧.

٥١- الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، الكويت (التراث العربي)، ١٩٩٠م.

٥٢- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر ت: ٥٣٨هـ/١١٤٣م): الجبال والأمكنة والمياه، القاهرة (الجزيرة)، ٢٠٠٧م.

٥٣- ابن الساعي (علي بن أنجب بن عثمان ت: ٦٧٤هـ/١٢٧٥م): مختصر أخبار الخلفاء، ط١، القاهرة (المطبعة الأميرية)، ١٣٠٩هـ.

٥٤- سبط ابن الجوزي (أبو المظفر يوسف قيزوغلي ت: ٦٥٤هـ/١٢٥٧م): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق محمد أنس الخن، وكامل محمد الخراط، ط١، دمشق (دار الرسالة العالمية)، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٥٥- السبكي (تاج الدين عبد الوهاب ت: ٧٧١هـ/١٣٧٠م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية).

٥٦- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس، المغرب (معهد مولاي الحسن)، ١٩٥٨م.

٥٧- ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ت: ٢٤٤هـ/٨٥٨م): الكنز اللغوي في اللسن العربي، تحقيق أوغست هفنر، بيروت (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين)، ١٩٠٣م.

٥٨- خميس الحوزي: سؤالات الحافظ السلفي لخميس الحوزي عن جماعة من أهل واسط، تحقيق مطاع الطرابيشي، دمشق (مجمع اللغة العربية)، ١٩٧٦م.

٥٩- السمعاني (أبو السعد عبد الكريم ت: ٥٦٢/١١٦٧م): أدب الإملاء والاستملاء، بيروت (دار الكتب العلمية).

٦٠- ــــــــــــ: الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، ط١، بيروت (دار الجنان)، ١٩٨٨م.

٦١- سهراب (توفى في النصف الأول من ق٤هـ): عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، تحقيق هانس فون مزيك، فيينا (مطبعة آدولف هولز هوزن)، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.

٦٢- ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل ت:٤٥٨هـ/١٠٦٥م): المخصص، ط١، بيروت (دار إحياء التراث العربي)، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٦٣- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، ط١، بيروت (دار ابن حزم)، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦٤- الشابشتي (أبو الحسن علي بن محمد ت: ٣٨٨هـ/٩٩٨م): الديارات، تحقيق كوركيس عواد، ط٢، بغداد (مطبعة المعارف)، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٦٥- الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد ت: ٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة (دار الاتحاد العربي)، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

٦٦- أبو شجاع (الوزير ظهير الدين الروذراوري محمد بن الحسين ت: ٤٨٨هـ/١٠٩٥م): ذيل كتاب تجارب الأمم، تحقيق هـ ف آمدرور، القاهرة (دار الكتاب الاسلامي).

٦٧- ابن الشجري: أمالي ابن الشجري، تحقيق محمود محمد الطناحي، ط١، القاهرة (المؤسسة السعودية)، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، جـ١، ص٢٢٠.

٦٨- الزيلعي (فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي ت: ٧٤٣هـ/١٣٤٣م): تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي (وبهامشه حاشية شهاب الدين أحمد بن محمد الشِّلْبِيُّ ت: ١٠٢١ هـ/١٦١٢م)، ط١، القاهرة (المطبعة الأميرية)، ١٣١٣هـ.

٦٩- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م): أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد، وأخرين، ط١، بيروت (دار الفكر المعاصر)، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٧٠- ــــــــــــ: الشعور بالعور، تحقيق عبد الرزاق حسين، ط١، عمان (دار عمار)، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٧١- ــــــــــــ: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط١، بيروت (دار إحياء التراث العربي)، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٧٢- الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى ت: ٣٣٥هـ/٩٤٦م): أخبار الراضي بالله والمتقي لله (تاريخ الدولة العباسية)، القاهرة، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

٧٣- ابن طباطبا (محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي ت: ٧٠٩هـ/١٣٠٩م) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مصر (المطبعة الرحمانية).

٧٤- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة (دار المعارف)، ١٩٦٠م.

٧٥- طيفور (أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ت: ٢٨٠هـ/٨٩٣م): كتاب بغداد، بيروت (دار الجنان)، ١٩٠٨م.

٧٦- عبد الوهاب الشعراني (أحمد بن علي الحنفي ت: ٩٧٣هـ/١٥٦٥م): لواقح الأنوار في طبقات الأخيار.

٧٧- ابن العديم (كمال الدين عمر ت: ٦٦٠هـ/١٢٦٢م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، بيروت (دار الفكر).

٧٨- عزرا حداد: ملحق (٣) بكتاب رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة عزرا حداد، ط١، أبو ظبي (المجمع الثقافي)، ٢٠٠٢م.

٧٩- ابن عساكر (أبو القاسم علي ت: ٥٧١هـ/١١٧٦م): تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمروي، بيروت (دار الفكر)، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٨٠- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ت: ٣٩٥هـ/١٠٠٥م): الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، ط١، القاهرة (دار البشير)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٨١- ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، ط١، دمشق (دار ابن كثير)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٨٢- عمرو بن متى: أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، طبع في رومية الكبرى، ١٨٩٦م.

٨٣- الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد ت: ٥٠٥هـ/١١١١م): إحياء علوم الدين، ط١، بيروت (دار ابن حزم)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٨٤- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا ت:٣٩٥هـ/١٠٠٥م): معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، (دار الفكر)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٨٥- الفارقي (أحمد بن يوسف بن علي الأزرق ت: بعد ٥٧٧هـ/١١٨١م): تاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض، القاهرة (المطابع الأميرية)، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

٨٦- أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن علي ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م): تقويم البلدان، بيروت (دار صادر).

٨٧- ــــــــــــ: المختصر في أخبار البشر، ط١، مصر (المطبعة الحسينية).

٨٨- الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي ت: ٨١٧هـ/١٤١٤م): القاموس المحيط، ط٣، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٨٩- الفيومي (أحمد بن محمد بن علي ت: ٧٧٠هـ/١٣٦٩م): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط٣، القاهرة (المطبعة الأميرية)، ١٩١٢م.

٩٠- قدامة بن جعفر (أبو الفرج ت: ٣٣٦هـ/٩٤٨م): الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، العراق (دار الرشيد)، ١٩٨١م.

٩١- القرشي (يحيى بن آدم ت: ٢٠٣هـ/٨١٨م): الخراج، تحقيق حسين مؤنس، ط١، القاهرة (دار الشروق)، ١٩٨٧م.

٩٢- القرطبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت: ٦٧١هـ/١٢٧٣م): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري، الرياض (دار عالم الكتب)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٩٣- القرطبي (عريب بن سعد ت: ٣٦٩هـ/٩٨٠م): صلة تاريخ الطبري (ملحق بكتاب تاريخ الطبري الجزء ١١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت (دار سويدان).

٩٤- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت (دار صادر).

٩٥- ــــــــــــ: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط١، بيروت (مؤسسة الأعلمى)، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٩٦- القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي ت: ٦٢٤هـ/١٢٢٧م): إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، بيروت (دار الكتب العلمية)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٩٧- ــــــــــــ: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة (دار الفكر العربي)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٩٨- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت: ٨٢١هـ/١٤١٨): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة (دار الكتب المصرية)، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.

٩٩- ــــــــــــ: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط٢، القاهرة (دار الكتاب المصري)، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٠٠- ــــــــــــ: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط٢، بيروت (دار الكتاب اللبناني)، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٠١- ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٣م): البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، الجيزة (دار هجر)، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٠٢- ابن ماكولا (أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر ت: ٤٧٥هـ/١٠٨٢م): الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، و نايف العباسي، ط٢، القاهرة (دار الكتاب الإسلامي)، ١٩٩٣م.

١٠٣- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت: ٤٥٠هـ/١٠٥٨م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، ط١، الكويت (مكتبة دار ابن قتيبة)، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٠٤- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م): التنبيــه والإشراف، ليدن (مطبعة بريل)، ١٨٩٣م.

١٠٥- ــــــــــــ: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، بيروت (دار الفكر)، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٠٦- مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م): تجارب الأمم، القاهرة (دار الكتاب الإسلامي).

١٠٧- المطرزي (أبو الفتح ناصر الدين ت:٦١٠هـ/١٢١٤م): المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، ط١، حلب (مكتبة أسامة بن زيد)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٠٨- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله البشاري ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن (مطبعة بريل)، ١٨٧٧م.

١٠٩- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م): إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: كرم حلمي فرحات، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤١٧هـ/٢٠٠٧م.

١١٠- ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم ت: ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، بيروت (دار صادر).

١١١- مهيار الديلمي: ديوان مهيار الديلمي، ط١، القاهرة (دار الكتب المصرية)، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م.

١١٢- مؤلف مجهول (ت: بعد ٣٧٢هـ/٩٨٢م): حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، ط١، القاهرة (الدار الثقافية)، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

١١٣- ابن ناصر الدين الدمشقي (شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي ت: ٨٤٢هـ/١٤٣٩م): توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، (مؤسسة رسالة).

١١٤- ابن النديم (محمد بن اسحاق ت: ٣٨٥هـ/٩٩٥م): الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ما صنفوه من الكتب، تحقيق رضا تجدد.

١١٥- ابن نقطة (أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي ت: ٦٢٩هـ/١٢٣٢م): تكملة الإكمال، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، ط١، مكة (مركز إحياء التراث الإسلامي)، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١١٦- الهروي (أبو سهل محمد بن علي بن محمد ت: ٤٣٣هـ/١٠٤٢م): إسفار الفصيح، تحقيق أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، المدينة المنورة (الجامعة الاسلامية)، ١٤٢٠هـ.

١١٧- الهمذاني (محمد بن عبد الملك ت: ٥٢١هـ/١١٢٧م): تكملة تاريخ الطبري (ملحق بكتاب تاريخ الطبري الجزء ١١)، تحقيق محمد أبو الفضل، بيروت (دار سويدان).

١١٨- الصابي (أبو الحسن هلال بن المحسن ت: ٤٤٨هـ/١٠٥٦م): تاريخ الصابئ ملحق بكتاب ذيل تجارب الأمم، تحقيق هـ ف آمدروز، القاهرة (دار الكتاب الاسلامي).

١١٩- ــــــــــــ: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، بيروت (الآباء اليسوعيون).

١٢٠- ابن وحشية النبطي (أبو بكر أحمد بن علي بن قيس ت: ٩٣٠هـ/١٥٢٤م): كتاب النخل، تحقيق إبراهيم السامرائي، منشور ضمن مجلة المورد، المجلد الأول، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

١٢١- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط١، بيروت (دار الغرب الإسلامي)، ١٩٩٣م.

١٢٢- ــــــــــــ: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط١، بيروت (دار الكتب العلمية)، ١٩٩٠م.

١٢٣- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ت: ٢٨٤هـ/٨٩٧م): البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٤- أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم ت: ١٨٢هـ/٧٩٨م): الخراج، بيروت (دار المعرفة)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

ثالثًا: المراجع:

١- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادى أبو ريدة، ط٥، بيروت (دار الكتاب العربي).

٢- إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ط١، بيروت (دار الكتاب العالمي)، ١٩٨٩م.

٣- إبراهيم الشريف: الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخ العام حتى الفتح الاسلامي، بغداد، ١٩٩٦م.

٤- أحمد سوسة: ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، ط١، بغداد (مطبعة العارف)، ١٩٤٩م.

٥- ــــــــــــ: وادي الفرات ومشروع سدة الهندية، ط١، بغداد (مطبعة المعارف)، ١٩٤٥م.

٦- أحمد عبد المنعم العدوي: الصابئة منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، ط١، القاهرة (دار رؤية)، ٢٠١٢م.

٧- أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستان في الإسلام، ط٢، بيروت (دار الرائد العربي)، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٨- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، القاهرة (عالم الكتاب)، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٩- أحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر، ط١، الدمام (مكتبة الملك فهد الوطنية)، ١٩٩٦م.

١٠- أمين المعلوف: معجم الحيوان، بيروت (دار الرائد العربي).

١١- أمينة أحمد إمام الشوربجي: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي (٣٥٨- ٥٦٧هـ/٩٦٩- ١١٧١م)، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ١٩٩٤م.

١٢- أنور محمود زناتي: معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، ط١، عمان (دار زهران)، ٢٠١١م.

١٣- جاسم محمد الخلف: محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ط٢، مصر (معهد الدراسات العربية العالمية)، ١٩٦١م.

١٤- جعفر حسين خصباك: العراق في عهد المغول الإيلخانيين٦٥٦-٧٣٦هـ/١٢٥٨-١٣٣٥م، ط١، بغداد، ١٩٦٨.

١٥- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، (جامعة بغداد)، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٦- حامد عبد المجيد دراز، والمرسي السيد حجازي: مبادئ الاقتصاد العام، الإسكندرية.

١٧- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي في العصر العباسي الثاني، ط١٤، بيروت (دار الجيل)، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٨- حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط٥، القاهرة (دار الفكر العربي).

١٩- حورية عبده سلام: الحياة الاجتماعية في العراق زمن البويهيين، ط١، القاهرة (دار العالم العربي)، ٢٠٠٨م.

٢٠- درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية (جامعة الإسكندرية)، ١٩٧٤.

٢١- رجب عبد الجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس، ط١، القاهرة (دار الآفاق العربية)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٢- رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، بغداد (دار الشؤون الثقافية العامة)، ١٩٩٩م.

٢٣- الزركلي: الأعلام، ط١٥، بيروت (دار العلم للملايين)، ٢٠٠٢م.

٢٤- سترك: البطيحة، ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي، وآخرين، دار الفكر، ١٩٣٣م، مج٣.

٢٥- السموءل بن يحيى المغربي: بذل المجهود في إفحام اليهود، ط١، دمشق (دار القلم).

٢٦- شاكر مصطفى سليم : الجبايش دراسة أنثروبولوجية لقرية في أهوار العراق، بغداد (مطبعة العاني)، ١٩٧٠.

٢٧- صفاء حافظ عبد الفتاح: الموانئ والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ٢٠١٠م.

٢٨- طاهر راغب حسين: النقود الإسلامية الأولى، الكتاب الأول، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٢٩- عاتق بن غيث البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط١، مكة المكرمة (دار مكة)، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣٠- ابن عاشور: التحرير والتنوير، سورة البقرة آية ٦٢، تونس (الدار التونسية)، ١٨٨٤م.

٣١- عبد العزيز أحمد إسماعيل: أحكام القراءات لأئمة السبعة، الرياض، ١٩٩٦م.

٣٢- عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٣، بيروت (مركز دراسات الوحدة العربية)، ١٩٩٥م.

٣٣- ــــــــــــــ: العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، ط٣، بيروت (دار الطليعة)، ١٩٩٧م.

٣٤- عبد القادر سلمان المعاضدي: واسط في العصر العباسي دراسة في تنظيماتها الإدارية وحياتها الاجتماعية والفكرية ٣٢٤-٦٥٦هـ/٩٣٥-١٢٥٨م، ط١، بيروت، لبنان (الدار العربية للموسوعات)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

٣٥- عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط٥، القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية)، ١٩٨٦م.

٣٦- عزيز سباهي: أصول الصابئة، ط١، دمشق، دار المدى، ١٩٩٦م.

٣٧- علي حسني الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ط٢، القاهرة (مكتبة الخانجي)، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٣٨- علي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ البصرة، تحقيق عزة رفعت، بورسعيد (مكتبة الثقافة الدينية).

٣٩- علي عبد الرازق جلبي، والسيد عبد العاطي السيد، وإسماعيل علي سعد: علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية)، ١٩٩٩م.

٤٠- فاروق عمر فوزي: تاريخ النظم الإسلامية دراسة لتطور المؤسسات المركزية في الدولة في القرون الإسلامية الأولى، ط١، الأردن (دار الشروق)، ٢٠١٠م.

٤١- فيصل السامر: ثورة الزنج، ط٢، دمشق (المدى)، ٢٠٠٠م.

٤٢- كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط٢، بيروت (مؤسسة الرسالة)، ١٩٨٢م.

٤٣- الليدي دراوور: الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي، وغضبان الرومي، ط٢، دمشق، دار المدى، ٢٠٠٦م.

٤٤- محمد أبو زهرة: أبو حنيفة حياته وعصره- آراؤه وفقهه، ط٢، (دار الفكر العربي).

٤٥- محمد حسيني الزبيدي: العراق في العصر البويهي، القاهرة، (دار النهضة العربية)، ١٩٦٩م.

٤٦- محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، ط٤، بيروت، ١٩٩٢م.

٤٧- محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ط١، القاهرة (دار الشروق)، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٤٨- محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ط٤، القاهرة (ابن سينا)، ٢٠٠٠م.

٤٩- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ط١١، القاهرة (مكتبة وهبة)، ٢٠٠٠م.

٥٠- نادية حسني صقر: مطلع العصر العباسي الثاني، ط١، جدة (دار الشروق)، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٥١- هندي: إظهار الحق، تحقيق محمد أحمد عبد القادر خليل، ط١، السعودية (الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد)، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٥٢- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية: الموسوعة الفقهية الكويتية، ط٢، الكويت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٥٣- وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ط٢، دمشق (دار الفكر).

رابعًا: الدوريات:

١- حسين علي المسري: "الإمارة الشاهينية في البطائح- عمران بن شاهين يتحول من مجرم هارب إلى حاكم يخطب العباسيون وده"، مجلة **الوثيقة**، البحرين، ١٩٨٦م، مج٤، العدد ٨، ص١٠٥- ١٢٣.

٢- خالد حسن الجبالي: "الزط وأثرهم في تاريخ الدولة العربية الإسلامية (١- ٢٩٥هـ/٦٢٢-٩١٥م)"، مجلة **كلية الآداب**، جامعة طنطا، العدد٢٣، ٢٠١٠م، جـ٣، ص١٢٠٥- ١٢٤٩.

٣- سعاد عبد الله محمود: "أمراء البطيحة في العصر العباسي الثاني"، مجلة **كلية الآداب**، جامعة حلوان، العدد١٨، يوليو ٢٠٠٥م، جـ١، ص٣٤٧-٣٨٨.

٤- سكريد فيسفال هلبوش:"مدينة المعدان في الحاضر والماضي"، ترجمة محمود الأمين، مجلة **سومر**، المجلد ١٣، جـ١، ١٩٥٧م، ص٨٣-٩٤.

٥- صلاح خليل إبراهيم سلام: إمارة عمران بن شاهين بالبطائح (٣٣٠-٣٧٦هـ/٩٤١-٩٨٦م)، مجلة **كلية الآداب**، جامعة بنها، العدد ٣٧، ٢٠١٤م، جـ٢، ص٧٩١-٨٥٤.

٦- علي الشرقي: "بعض مدن البطائح القديمة وقراها"، مجلة **لغة العرب**، السنة الخامسة، جـ٣، ص١٤٣-١٤٥.

٧- فايزة إسماعيل أكبر: "البطائح تحت نفوذ عمران بن شاهين من حوالي ٣٣٠-٣٦٩هـ/٩٤١- ٩٧٩م"، مجلة **كلية الآداب**، جامعة الملك سعود، العدد١، ١٩٩٥م، مج٧، ص١١٣-١٣٧.

٨- ـــــــــــــ: "ثورة الزنج (هل هي ثورة عبيد)"، مجلة **المؤرخ المصري**، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد١٤، ١٩٩٥م، ص٢١٩-٢٤٠.

٩- ــــــــــــ: "الزط وموقعهم في التاريخ الإسلامي"، مجلة **العصور**، مج٨، جـ١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١٢٧-١٤٢.

١٠- ماجد السيد ولي محمد: "الجغرافية التاريخية لأهوار العراق"، مجلة **كلية الآداب**، جامعة البصرة، دار الطباعة الحديثة، السنة الخامسة، العدد ٦، ص٢٠٥-٢٢٨.

١١- محمود كامل محمد السيد عبد الكافي، وآخرون: "ثورة الزط في العراق ودور العباسيين في إخمادها"، مجلة **البحث العلمي في الآداب كلية البنات**، جامعة عين شمس، العدد١٤، جـ٤، ص٥٤٨- ٥٥٩.

١٢- نوري خليل البرازي: "التربة وأثرها في التطور الزراعي في سهل العراق الرسوبي"، مجلة **الجمعية الجغرافية العراقية**، بغداد، السنة الأولى، المجلد الأول، آب ١٩٦٢م، ص١١١-١٣٩.

١٣- وفاء محمد علي: دولة البطائح في عهد البويهيين، مجلة **ندوة التاريخ الإسلامي**، كلية دار علوم، جامعة القاهرة، العدد ٨، ١٩٩٠م.

خامسًا: الرسائل العلمية:

أ- رسائل الدكتوراه:

١- بدر عبد الرحمن محمد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب/جامعة القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢- مريزن سعيد مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٤-١٤٠٥هـ/١٩٨٤- ١٩٨٥م.

ب- رسائل الماجستير:

١- عادل عبدالله خطاب: إقليم الأهوار في جنوب العراق (دراسة جغرافية)، رسالة ماجستير، كلية الآداب/جامعة القاهرة، ١٩٦٧م.

٢- يسري أحمد زيدان: الأوضاع الاقتصادية في العراق والشام في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم/جامعة القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

سادسًا: المراجع الأجنبية:

1. Adriansen H. K., "The Iraqi Marshlands: Is Environmental Rehabilitation Possible?", *Papers of the Applied Geography Conferences* (2006) 29.
2. Al- Hamdani A., Kingdom of Reeds: The Archaeological Heritage of Southern Iraqi Marshes, Iraq Heritage Report, 11th September, 2015.
3. Al- Tameemi R., "Reading the Cultural Specificities of the Iraqi Marsh Arabs From Their Landscape", *Landscape Research Record*, no 5.
4. Beeston A. F. L., "Saba", in *The Encyclopedia of Islam*, Brill, Leiden, 1995, vol. viii.
5. Bowen H., The Life and the Times of Ali Ibn Isa, The Good Vizir, Cambridge, 1928.
6. Dave von Zoonen and Wirya K, The Sabean- Mandaeans: Perceptions of Reconciliation and Conflict, Middle East Research Institute, Iraq, 2017.
7. Wilferd Thesiger, "Marsh Dwellers of Southern Iraq", *The National Geographic Magazine*, Vol. CXIII, (February.1958).

سابعًا: المواقع الإلكترونية:

١- هيثم الشيباني: أهوار العراق، مجلة الكاردينيا، حزيران ٢٠١٦.

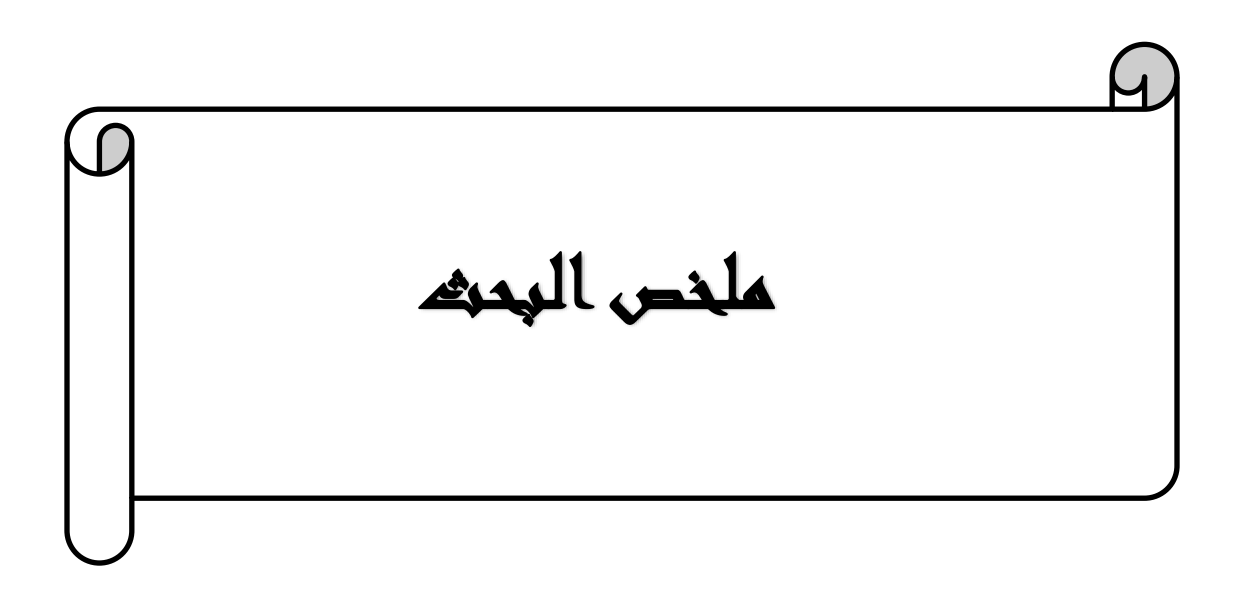
2http://www.algardenia.com/maqalat/24474-2016-06-26-15-35-08.html

3https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%B5%D9%8A%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%A8%D9%88%D8%B1

4http://www.esyria.sy/eraqqa/__print.php?site=raqqa&filename=200909171020011

5https://www.facebook.com/372319746273104/photos/a.372773339561078.1073741828.372319746273104/372773296227749/?type=3&theater

6http://www.gafrd.org/posts/89317


ملخص البحث

الباحثة: **نرمين مصطفى كامل مصطفى**

الدرجة: **ممتاز**

إشراف: **أ.د/ محمد بركات البيلي (أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب– جامعة القاهرة)**

أ.د/ محمد علاء الدين منصور (أستاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب– جامعة القاهرة (متوفى))

التخصص الدقيق: **تاريخ إسلامي**

تأتي هذه الدراسة تحت عنوان: "**التاريخ السياسي والحضاري لبطائح العراق خلال عصري البويهيين والسلاجقة(٣٣٤-٥٩٠هـ/٩٤٥- ١١٩٤م)**".

ويستمد موضوع البحث أهميته من إلقائه الضوء على الخصوصية الجغرافية والاجتماعية لبطائح العراق، ودورها في الأحداث السياسية بالعراق زمني البويهيين والسلاجقة.

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وملاحق وقائمة بالمصادر والمراجع. جاء التمهيد تحت عنوان: "**الجغرافيا التاريخية لبطائح العراق**" ويختص باستعراض جغرافية البطائح، وما حوته من الأنهار والمدن، مع توضيح أثر الطبيعة الجغرافية للبطائح في الأوضاع السياسية قبل حركة عمران بن شاهين.

أما الفصل الأول، فجاء بعنوان: "**الحياة السياسية بالبطائح خلال عصري البويهيين والسلاجقة**"، وقد تتبعنا في هذا الفصل العوامل التي ساعدت عمران بن شاهين على إقامة الإمارة الشاهينية هناك، ثم استعرضنا –على نحو مفصَّل– أحوال البطائح السياسية في ظل سيطرة البويهيين ثم السلاجقة، وذلك من خلال استعراض: حكام البطائح، وكيفية توليهم الحكم، وعلاقتهم بالسلطة المركزية ببغداد.

أما الفصل الثاني، فعنوانه: "**الحياة الاقتصادية بالبطائح خلال عصري البويهيين والسلاجقة**"، وقد خُصِّص لدراسة الأنشطة الاقتصادية في البطائح من خلال الحديث عن: الزراعة، والصناعة، والتجارة، والصيد. كما تضمن هذا الفصل أيضًا دراسة النظام المالي في البطائح من خلال الحديث عن: الموارد، والمصارف، والعملات المتداولة.

بينما أتى الفصل الثالث تحت عنوان: "**الحياة الاجتماعية بالبطائح خلال عصري البويهيين والسلاجقة**"، وقد تحدثنا فيه عن عناصر السكان، وطبقات المجتمع البطائحي، كذلك تحدثنا عن مظاهر الحياة الاجتماعية، والمنشآت الاجتماعية بالبطائح.

ثم الفصل الرابع: "**الحياة الثقافية بالبطائح خلال عصري البويهيين والسلاجقة**"، وقد بدأ بتحديد العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية هناك، ثم تناولنا فيه مراكز النشاط العلمي، ثم كان الانتقال إلى دراسة العلوم الدينية الإسلامية، والعلوم اللسانية، والعلوم الإنسانية التي عرفت طريقها إلى تلك المنطقة، مع التطرُّق إلى العلماء الذين برزوا في هذه العلوم ومؤلفاتهم. ثم جاءت الخاتمة؛ لتبين أهم نتائج البحث.

ومن هذه النتائج ما يأتي:

١- تمتعت البطائح بقدر من القوة السياسية والاستقلال الذاتي في ظل حكم طائفة من أمرائها زمني البويهيين والسلاجقة، وقد تنوعت علاقة هؤلاء الأمراء بالخلافة العباسية، وبحكام بني بويه وبالسلاجقة، ما بين العداء تارة والسلم تارة أخرى.

٢- عرفت البطائح زراعة محاصيل عديدة وصدَّرت بعضها إلى بغداد، وتوافر بها العديد من المواد الخام الضرورية للصناعة، وقد حظيت بموقع جغرافي أمَّن لها المشاركة الفعالة في التجارة داخل العراق وخارجه. كما سكنتها عناصر متنوعة ساد بينها وئام، ولم تعرف البطائح الازدهار الثقافي الذي عرفته بعض المدن المجاورة لها، غير أن هذا لم يمنع وجود طائفة من العلماء هناك.

The third chapter addressed: **"The Social Life of Bata'ih during The Buwayhid and Suljuki eras"**, in which we talked about the elements of the population in Al- Bata'ih, the strata of society there, the social phenomena, and also the social establishments.

The fourth chapter entitled: **"The cultural Life of Bata'ih during The Buwayhid and Suljuki eras"** and started with identifying the key factors that affect the cultural Life of Al- Bata'ih, then we dealt with the cultural centers. We also dealt with the Islamic sciences, linguistics, and humanities in Al- Bata'ih, with focusing on their notable scholars and their books.

Then there was a conclusion which indicated the most important results of the study.

Among these results the following:

1- Al- Bata'ih became an independent state and sometimes had a political power under some of its rulers during the Buwayhid and Suljuki eras. The relations between those and the Abbasid caliphs, Buwayhid dynasty and Suljukis were varied between hostility and peace.

2- In Al- Bata'ih, many crops were grown, a number of them were exported to Baghdad. There were also a lot of raw materials which are necessary for industry. The geographical location of Al- Bata'ih enabled it to participate effectively in trade inside and outside Iraq. There were various elements of population lived together in harmony. Although there was not a cultural prosperity like some cities nearby, scholars were not completely absent in Al- Bata'ih.

Summary

Prepared by: **Nermeen Mostafa Kamel Mostafa.**
Supervisors: **Prof. Muhammed Barakat Al- Bialy (Professor of Islamic History- Faculty of Arts Cairo University), Prof. Muhammed Alaadin Mansour (Professor of Oriental languages - Faculty of Arts Cairo University).**
Grade: **Excellent.**
Branch: **Islamic History.**

This study entitled: **(History of Politics and Civilization in Bata'ih of Iraq during The Buwayhid and Suljuki eras H. 334- 590 / A.D. 945- 1194).**

This subject is considered an important one, due to it focused on the impact of the extraordinary geographical location of Bata'ih (marshlands/plains) of Iraq and also the impact of its society on the political events in Iraq throughout the Buwayhid and Suljuki eras.

The research consisted of an introduction, preface, four chapters, conclusion, appendixes, and list of sources and references.

The preface entitled: **"The Historical Geography of Bata'ih of Iraq"** dealt with the geographical aspect of the Iraq's Bata'ih, their rivers, their cities, and their geographical impact on political situations before Imran ibn Shahin's movement.

The first chapter addressed: **"The Political Life of Bata'ih during The Buwayhid and Suljuki eras"**, which followed the factors that helped Imran ibn Shahin to establish the Shahinian Emirate (state). We also studied in detail the Politics of Al- Bata'ih during the Buwayhid then Suljuki eras, by displaying the rulers of that area, how they took office, and also the relations between those and the authority of Baghdad.

The second chapter entitled: **"The Economic Life of Bata'ih during The Buwayhid and Suljuki eras"**, dedicated to study economic issues of Al- Bata'ih, which are divided into agriculture, industry, trade, and fishing and hunting. This chapter additionally included studying the financial system of Al- Bata'ih by talking about: revenues, expenses, and the traded currencies.

<u>مستخلص الرسالة</u>

تمتعت البطائح بالاستقلال الذاتي والقوة السياسية، في ظل حكم طائفة من أمرائها زمني البويهيين والسلاجقة، كماعرفت زراعة محاصيل عديدة وصدَّرت بعضها إلى بغداد، وتوافر بها العديد من المواد الخام الضرورية للصناعة، وقد حظيت بموقع جغرافي أمَّن لها المشاركة الفعالة في التجارة داخل العراق وخارجه، كما سكنتها عناصر متنوعة ساد بينها وئام، ولم تعرف البطائح الازدهار الثقافي الذي عرفته بعض المدن المجاورة لها، غير أن هذا لم يمنع وجود طائفة من العلماء هناك.

(الكلمات الدالة): **البطيحة، البطائح، جنوب العراق، الآجام، الأهوار، عمران بن شاهين، الإمارة الشاهينية، مهذب الدولة.**

Abstract

Al- Bata'ih became an independent state and had a political power under some of its rulers during the Buwayhid and Suljuki eras. Many crops were grown there, a number of them were exported to Baghdad. There were also a lot of raw materials which were necessary for industry. The geographical location of Al- Bata'ih enabled it to participate effectively in trade inside and outside Iraq. There were various elements of population lived together in harmony. Although there was not a cultural prosperity in Al- Bata'ih like some cities nearby, scholars were not completely absent.

Key words:

Batiha- Bata'ih- south of Iraq- marshlands- plains- Imran ibn Shahin- Shahinian Emirate (state)- Muhazeb el Dawla.



Cairo University
Faculty of Arts
Department of History



History of Politics and Civilization in Bata'ih of Iraq during The Buwayhid and Suljuki eras

H. 334- 590 / A.D. 945- 1194

Master degree

By

Nermeen Mostafa Kamel Mostafa

Supervisors

Prof. Muhammed Barakat Al- Bialy

Professor of Islamic History- Faculty of Arts
Cairo University

Prof. Muhammed Alaadin Mansour

Professor of Oriental languages - Faculty of Arts
Cairo University

2018 A.D/1439 H.